في عقائد الإسلام

من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ - ١٢٠٦هـ

ويليه

جواب أهل السنة النبوية

في نقض كلام الشيعة والزيدية

لمؤلفه

عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

المعروف بابن الشيخ

١١٦٥ - ١٢٤٢هـ

صححه وعلق حواشيه

محمد رشيد رضا

مراجعة وتقديم

لجنة إحياء التراث العربي

في دار الآفاق الجديدة

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

في عقائد الإسلام

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ / ١٢٠٦ هـ

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، رأس الوهابية وإمامهم، وزعيم النهضة الدينية الاصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. ولد ونشأ في العيينة، من اقليم العارض في نجد، وكان ابوه شيخا فقيها، فربي في كنفه على المذهب الحنبلي. قيل ان جده سليمان وكان ينسب الى آل البيت، قد رأى في منامه ناراً خرجت من سرته وأضاءت البوادي جميعها، وقد فسّر بعضهم هذه الرؤيا، بأنه سيخرج من صلبه رجل عظيم يهدي الناس، وينشيء ملكاً واسعاً ، وكان التفسير وكان حفيده الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

طلب محمد العلم في دمشق، وتشرب مبادىء الامام الحافظ حجة الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية، وابن عروة الحنبلي وغيرهم من فحول أئمة الحنابلة. ثم رحل الى الحجاز، ومكث في المدينة يقرأ على بعض علمائها. ودخل البصرة فأوذي فيها، وعاد الى نجد، فسكن «حريملاء» وتزوج فيها. وأقام في حريملاء، ناهجا منهج السلف الصالح، داعيا الى التوحيد الخالص ونبذ البدع وترك ما علق بالاسلام من اوهام. أنحى على قومه باللائمة لتقاعسهم عن الفروض الدينية، واهمالهم قواعد الدين الحنيف، وبالغ في تعنيفهم، وانكر عليهم الاعتقاد بالأولياء وزيارة القبور والاستغاثة بغير الله،حتى تآمر بعضهم على قتله، وتربصوا به ليقتلوه، لكنه ادرك خطتهم، ففر الى بلده العيينة، وأخذ من هناك يعمل على اجتذاب الأحزاب اليه تارة بالوعظ وتارة بالمراسلة والاقناع، فالتفت حوله جماعات كثيرة، من بلدته وما يحيط بها، وقوي نفوذه، وصار يحكم بين اتباعه بما يراه. وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر الى دعوته فناصره اول الامر ثم بعد ذلك خذله، وسعى امير الحسا في قتله بعد انتشار

دعواه، ففر الى الدرعية في نجد عام ١١٥٧، فتلقاه اميرها محمد بن سعود بالاكرام، وقبل دعوته وآزره. فتكاثرت انصاره، وانتشرت تعاليمه في نجد وغيرها، وكانت دعوته وقد جهر بها، الشعلة الاولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله، فقد تأثر بها رجال الاصلاح في الهند ومصر والعراق والشام. فظهر الآلوسي الكبير في بغداد، والأفغاني في أفغانستان، ومحمد عبده في مصر، وجمال الدين القاسمي في الشام، وخير الدين التونسي في تونس وغيرهم ممن عرفت اسماؤهم واشتهروا. وقد اطلق على من ناصروه ووالوه لقب «أهل التوحيد»، أو «إخوان من أطاع الله» وقد سماهم خصومهم بالوهابيين نسبة له، وقد شاعت هذه التسمية عند المستشرقين، فكتبوها في مصنفاتهم ومعاجمهم الحديثة، وأخطأ البعض فعدّها مذهبا حديثاً في الاسلام.

وما زال محمد بن عبد الوهاب عاملاً على نشر تعاليمه من الدرعية وابن سعود يؤازره ويعضده، حتى توفي محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز. وقد آزر عبد العزيز أيضاً الوهابية وعمل على انتشارها، وقاتل من خالفها.وهكذا عمل آل سعود على نصرة الوهابية وانتشارها،حتى دخول ابراهيم باشا الدرعية عام ١٢٣٣ هـ.

توفي الشيخ محمد في ٢٩ شوال من العام ١٢٠٦ هـ في الدرعية بعد مكوثه فيها ستاً واربعين سنة، وحفداؤه اليوم يعرفون ببيت «الشيخ» ولهم مقام رفيع عند آل سعود.

كِتابُ

الجَواهِرِ المضِيّة

تأليف

الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب

وفيه بيان عقيدته وما دعا اليه، ويليه بضع رسائل له
في بيان حقيقة التوحيد وكلمته والشرك الجلي
والخفي والنفاق الاعتقادي والعملي

﴿ عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل اليه من المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد أخبركم اني ولله الحمد عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الائمة الاربعة واتباعهم إلى يوم القيامة ، لكني بينت للناس اخلاص الدين ونهيتهم عن دعوة الانبياء والاموات من الصالحين وغيرهم ، وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لايشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ،وهو الذي دعت اليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة. وأنا صاحب منصب في قريتي مسموع الكلمة فأنكر هذا بعض الرؤساء لكونه خالف عادة نشئوا عليها .

وأيضاً ألزمت من تحت يدي باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله . ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه لكونه مستحسناً عند العوام ، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد وما نهيتهم عنه من الشرك ، ولبسوا على العوام ان هذا خلاف ما عليه الناس ، وكبرت الفتنة جداً ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله، فنقول:

التوحيد نوعان : توحيد الربوبية وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء وغيرهم ، وهذا حق لابد منه لكن لايدخل الرجل في الاسلام، بل أكثر الناس مقرون به ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) وأن الذي يدخل

الرجل في الاسلام هو توحيد الآلهية وهو أن لا يعبد إلا الله لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ،

وذلك أن النبي ﷺ بعث والجاهلية يعبـدون أشياء مع الله ، فمنهم من يعبد الاصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن اتبعه ووحد الله فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصـاه ودعا عيسى أو الملائكة واستنصرهم والتجأ اليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع اقراره انه لا يخلق ولا يرزق إلا هو .

وهذه جملة لها بسط طويل ولكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء

فلما جرى في هذه الامة ما أخبر به نبيها ﷺ حيث قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذة حتى لو دخـلوا جحر ضب لدخلتموه) وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وصار ناس من الضالين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبدالقادر الجيلاني واحمد البدوي وعدي بن مسافر وأمثالهم من أهـل العبادة والصلاح صاح عليهم أهل العلم من جميع الطوائف أعني على الداعين

وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم، وبين أهل العلم في أمثال هذا انه هو الشرك الاكبر وعبادة الاصنام، فان الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يدعى معه إله آخر

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة .

واعلم أن المشركين في زماننـا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ

بانهم يدعون الملائكة والاولياء والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب اليهم وإلا فهم مقرون بان الامر لله، فهم لايدعونهم إلا في الرخاء ، فاذاجاءت الشدائد أخلصوا لله . قال الله تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية

واعلم ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواع ويغوث ويعوق ونسراً . وآخرهم محمد ﷺ . وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى ، يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين . فبعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم ، ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لايصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ، فضلا عن غيرهما ، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون ان الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وانه لايخلق ولا يرزق إلا هو ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، وان جميع السموات السبع ومن فيهن ، والارضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره

فاذا أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل

شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون* سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وغير ذلك من الآيات الدالات على تحقق انهم يقرون بهذا كله ، وانه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ وعرفت(١) ان التوحيد الذي جحدوه وهو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا خوفا وطمعاً ثم منهم من يدعو الملائكة والانبياء والصالحين لاجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا لهم ويدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسى ـ وعرفت ان رسول الله ﷺ قاتلهم على ذلك ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله كما قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية . وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلها لله — وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم — عرفت(٢) حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبي عن الاقرار به المشركون .

وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فان الاله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكا أو نبياً ، أو ولياً أو شجرة ، أو قبراً أو جنياً ، لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فانهم يقرون أن ذلك لله

---

(١) قوله وعرفت — لم يتقدمه مايصح عطفه عليه ولعل أصل الكلام: فاذا عرفت ان التوحيد الخ والا كان هنالك شرط عطف هذا عليه وسقط من الناسخ كان يكون: اذا عرفت ذلك

(٢) هذه الجملة جواب الشرط المذكور

وحده، كما قدمت لك، وانما يعنون بالاله مايعني المشركون في زماننا بلفظ السيد . فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد وهي لا إله الا الله . والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو افراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فانه لما قال لهم قولوا : لا اله الا الله قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب)

فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من معنى هذه الكلمة ماعرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن أن معناها لايخلق ولا يرزق ، ولا يحيي ولا يميت ، ولا يدبر الامر الا الله . فلا خير في رجل جهالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله

فاذا عرفت ماقلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذي قال فيه : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وعرفت ماأصبح غالب الناس اليوم فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين : الاولى الفرح بفضل الله ورحمته ، قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضاً الخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه الى الله ، كما ظن المشركون خصوصاً ان ألهمك الله ماقص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم انهم أتوه قائلين (اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد الا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي

بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)

فاذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق الى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج كما قال تعالي (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) الآية. فالواجب عليك أن تعلم من دين الله مايصير لك سلاحا تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولكن إن أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يغلب الالف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) فجنده هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان. وانما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد منّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين. فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ماينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة

والحاصل أن كل ماذكرنا من الاسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان، وما أعجب ماجرى من الرؤساء المخالفين فاني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية، وقوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وما ذكر الله من اقرار الكفار في قوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر) الآية وغير ذلك قالوا لايجوز العمل لنا ولا لمثلنا بكلام الله ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين ، ولا نطيع إلا ماذكره المتأخرون .

ولما قلت لهم انا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي كل أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم ، فلما أبوا ذلك نقلت كلام العلماء من كل مذهب لأهله . وذكر كل ماقالوا بعدماصرحت الدعوة عند القبور والنذر لها فعرفوا ذلك وتحققوه فلم يزدهم إلا نفوراً

وأما التكفير فاني أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ماعرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الامة ولله الحمد ليسوا كذلك

وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة وجزاء سيئة سيئة مثلها . وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ماعرفه

فان تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لاريب فيه وان الواجب اشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدى الواجب عليه ، وتاب إلى الله ، وأقر على نفسه، فان التائب من الذنب كمن لاذنب له ، ونسئل الله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضى والله أعلم .



رسالة في المسائل الخمس

(الواجبة معرفتها)

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

الواجب عليك ان تعرف خمس مسائل :

(الاولى) ان الله لما ارسل محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق كان أول كلمة أرسله الله بها قوله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر) ومعنى قوله (فانذر) الانذار عن الشرك بالله. وكانوا يجعلونه دينا يتقربون به الى الله تعالى مع انهم يفعلون من الظلم والفواحش مالا يحصى، ويعلمون أنه معصية . فمن فهم فهما جيدا ان الله امره بالانذار عن دينهم الذي يتقربون به الى الله قبل الانذار عن الزنى ونكاح الامهات والاخوات، وعرف الشرك الذي يفعلونه رأى العجب العجاب، خصوصا ان عرف ان شركهم دون شرك كثير من الناس اليوم لقوله تعالى (وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار)

(الثانية) انه لما أنذرهم عن الشرك أمرهم بالتوحيد الذي هو اخلاص الدين لله تعالى وهو معنى قوله تعالى (وربك فكبر) يعني عظمه بالاخلاص. وليس المراد تكبير الاذان وغيره فانه لم يشرع الا في المدينة

فاذا عرف الانسان ان ترك الشرك لا ينفع الا إذا لبس ثوب الاخلاص وفهم الاخلاص فهما جيدا وعرف ما عليه كثير من الناس من ظنهم أن الاخلاص وترك دعوة الصالحين نقص لهم، كما قال النصارى: ان محمداً يشتم عيسى، لما ذكر انه عبد الله ورسوله ليس يعبد مع الله تعالى

فمن فهم هذا عرف غربة الاسلام خصوصا ان أحضر بقلبه ما فعل الذين يدعون

انهم من العلماء من معاداة هذه المسئله وتكفيرهم من دان بها وجاهدهم مع عباد قبة ابي طالب وأمثالها وقبة الكواز وأمثالها ، وفتواهم لهم بحل دمائنا وأموالنا لتركنا ماهم عليه . ويقولون لهم انهم ينكرون دينكم . فلا تعرف هذه والتي قبلها الا باحضارك في ذهنك ما علمت انهم فعلوا مع أهل هذه المسئلة وما فعلوا مع المشركين، فحينئذ تعرف ان دين الاسلام ليس مجرد المعرفة فان ابليس وفرعون يعرفونه ، وكذلك اليهود يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، وانما الاسلام هو العمل بذلك والحب والبغض وترك موالاة الاباء والابناء في هذا

(الثالثة) أن تحضر قلبك ان الله سبحانه لم يرسل الرسول إلا ليصدق ويتبع ولم يرسله ليكذب ويعصى. فاذا تأملت إقرار من يدعي انه من العلماء بالتوحيد وانه دين الله ورسوله ، لكن من دخل فيه فهو من الخوارج الذين تحل دماؤهم واموالهم ، ومن ابغضه وسبه وصد الناس عنه فهو الذي على الحق ، وكذلك اقرارهم بالشرك وقولهم : ليس عندنا قبة نعبدها بل جهادهم الجهاد المعروف مع اهل القباب وان من فارقهم حل ماله ودمه ،

فاذا عرف الانسان هـذه المسئلة الثالثة كما ينبغي وعرف انه اجتمع في قلبه ولو يوما واحدا ان قلبه قبل كلامهم أن التوحيد دين الله ورسوله ولـكن لا بد من بغضه وعداوته ، وان ماعليه اهل القباب هو الشرك ولكن هم السواد الاعظم وهم على الحق ولا يقول انهم يفعلون الشرك ، فاجتماع هذه الاضداد في القلب مع انها ابلغ من الجنون فهي من أعظم قدرة الله تعالى وهي من أعظم ما يعرفك بالله وبنفسك، ومن عرف نفسه وعرف ربه تم امره . فكيف اذا علمت ان هذين الضدين اجتمعا في قلب صالح وحيوان وأمثالهما اكثر من عشرين سنة

(الرابعة) انك تعلم ان الله أنزل على رسوله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) مع انهم راودوه

على قول كلمة او فعل مرة واحدة ، ووعدوه ان ذلك يقودهم إلى الاسلام

اذا عرفت ان أعظم أهل الاخلاص وأكثرهم حسنات لو قال كلمة الشرك مع كراهيته لها ليقود غيره بها إلى الاسلام حبط عمله وصار من الخاسرين، فكيف بمن أظهر انه منهم وتكلم بمائه كلمة لاجل تجارة او لاجل أن يحج لما منع الموحدين من الحج كما منعوا النبي ﷺ وأصحابه حتى فتح الله مكة

فمن فهم هذا فهما جيداً انفتح له معرفة قدر التوحيد عند الله عز وجل وقدر الشرك ، ولكن ان عرفت هذه بعد أربع سنين نعمى لك أعني المعرفة التامة كما تعرف ان قطرة من البول تنقض الوضوء الكامل إذا خرجت ولو بغير اختياره

(الخامسة) ان الرسول ﷺ فرض الايمان بما جاء به كله لاتفريق فيه ، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا ، بل لا بد من الايمان بالكتاب كله، فاذا عرفت ان من الناس من يصلي ويصوم ويترك كثيراً من المحرمات لكن لايورثون المرأة ويزعمون ان ذلك هو الذي ينبغي اتباعه بل لو ورثها أحد عندهم وخالف عادتهم لانكرت قلوبهم ذلك ، او ينكر عدة المرأة في بيت زوجها مع علمه بقول الله تعالى (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) ويزعم ان تركها في بيت زوجها لايصلح ، وان اخراجها منه هو الذي ينبغي فعله، او أنكر التحية بالسلام مع معرفته أن الله شرعها حبا لتحية الجاهلية لما ألفها، فهذا يكفر لانه آمن ببعض، وكفر ببعض، بخلاف من فعل المعصية او ترك الفرض مثل فعل الزنى وترك بر الوالدين مع اعترافه انه مخطيء وان أمر الله هو الصواب(١)

واعلم أني مثلت لك بهذه الثلاث لتحذو عليها فان عند الناس من هذا

(١) يعنى أن الكفر في استقباح شرع الله وتفضيل العادات المحرمة عليه لا مجرد فعل المحرم مع اعتقاد فاعله انه مذنب وأن فعله قبيح

كثير يخالف ماحد الله في القرآن، وصار المعروف عندهم ماألفوه عند أهلهم ، ولو يفعل أحد ماذكر الله ويترك العادة لأنكروا عليه واستسفهوه ، بخلاف من يفعل او يترك مع اعترافه بالخطأ ، وإيمانه بما ذكر الله ،

واعلم ان هـذه المسئلة الخامسة من أشد ماعلى الناس خطراً في وقتنا بسبب غربة الاسلام والله أعلم

رسالة في النفاق بقسميه وصفات المنافقين

قال : أسكنه الله الفردوس الاعلى :

اعلم رحمك الله ان الله تعالى منذ بعث محمداً ﷺ وأعزه بالهجرة والنصر صار الناس ثلاثة أقسام: قسم مؤمنون وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطنا ، وقسم كفار وهم الذين أظهروا الكفر به ، وقسم منافقون وهم الذين آمنوا به ظاهرا لاباطنا. ولهذا افتتح الله سورة البقرة باربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين ، وثلاث عشرة في صفة المنافقين ،

وكل واحد من الايمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب كما دل عليه الكتاب والسنة، وكما فسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه ،

فمن النفاق ماهو نفاق أكبر ويكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار كنفاق عبدالله بن أبيّ وغيره، مثل ان يظهر تكذيب الرسول او جحود بعض ماجاء به او بغضه او عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، او المسرة بانخفاض دينه ، او المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لايكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله ، وهذا القدر موجود في زمن الرسول ﷺ . ومازال بعده أكثر من عهده لكون موجبات الايمان على عهده أقوى ، فاذا كانت مع قوتها والنفاق موجود فوجوده فيمادون ذلك أولى به ، وهذا ضرب النفاق الاكبر والعياذ بالله

وأما النفاق الاصغر فهو نفاق الاعمال ونحوها، مثل ان يكذب إذا حدث ويخلف إذا وعد، او يخون اذا ائتمن. للحديث المشهور عنه ﷺ قال «آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا ائتمن خان، وان صلى وصام وزعم انه مسلم»

ومن هذا الباب الاعراض عن الجهاد، فانه من خصال المنافقين لقوله ﷺ «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم.

وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين كما قاله ابن عباس رضي الله عنه قال» هي الفاضحة، مازالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا ان لايبقى أحد الا ذكر فيها» وعن المقداد بن الاسود قال: هي سورة البحوث لانها بحثت عن سرائر المنافقين. وقال قتادة: هي المثيرة لانها أثاوت مخازي المنافقين. وهذه السورة نزلت في آخر مغازي رسول الله ﷺ يوم غزوة تبوك، وقد أعز الله الاسلام وأظهره فكشف فيها عن أحوال المنافقين، ووصفهم فيها بالجبن والبخل. فأما الجبن فهو ترك الجهاد، واما البخل فهو عن النفقة في سبيل الله

وقال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) الآية. وقال (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا القتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله) الآية

فاما وصفهم فيها بالجبن والفزع فقد قال تعالى (ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ) يلجئون اليه مثل المعاقل والحصون (او مغارات) يغورون فيها كما يغور الماء (أو مدخلا) وهو الذي يتكلف الدخول اليه ولو بكلفة ومشقة (لولوا اليه) عن الجهاد (وهم يجمحون) أي يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح الذي اذا حمل لم يرده اللجام. وقد قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) لحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد . وقال تعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآيتين . فهذا اخبار من الله ان المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد وانما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله ، فكيف بالتارك من غير استئذان؟

وقال في وصفهم بالشح (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم - الى قوله - ولا ينفقون الا وهم كارهون) فاذا كان هذا ذم الله تبارك وتعالى لمن أنفق وهو كاره ، فكيف بمن ترك النفقة رأسا .

وقد أخبر ان المنافقين لما قربوا من المدينة تارة يقولون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فانتم الذين دعوتم الناس الى هذا الدين وقاتلتم عليه وخالفتموهم. وتارة يقولون: أنتم الذين اشرتم علينا بالمقام هنا والا لو كنا قد سافونا ما اصابنا هذا .وتارة يقولون: انتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو وقد غركم دينكم. وتارة يقولون: انتم مجانين لا عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم وتهلكوا الناس معكم . وتارة يقولون أنواعا من الكلام المؤذي ، فاخبر الله عنهم بقوله عز وجل (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) فوصفهم تبارك وتعالى بثلاثة أوصاف :

الاول انهم لخوفهم يحسبون الاحزاب لم ينصرفوا عن البلد وهذا حال الجبان الذي في قلبه مرض ، فان قلبه يبادر الى تصديق الخبر المخوف وتكذيب خبر الامن . الوصف الثاني : ان الاحزاب اذا جاؤا تمنوا ان لا يكونوا بينكم بل في البادية بين الاعراب يسألون عن انبائكم : ايش خبر المدينة؟ وايش خبر الناس ؟ الوصف الثالث : ان الاحزاب اذا اتوا وهم فيكم لم يقاتلوا الا قليلا

وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس .

رسالة في كلمة لا اله الا الله

بين فيها حقيقة التوحيد ومعناه ، وكونه لا ينجي من النار سواه

وله في معنى لااله الا الله ما نصه :

قال رحمه الله تعالى ، هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وهو افرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان ؛

فرحم الله امرأ نصح نفسه وعرف أن وراءه جنة ونارا ، وان الله عز وجل جعل لكل منها اعمالا . فان سأل عن ذلك وجد رأس اعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى . فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعا ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال ، ورأس اعمال أهل النار الشرك بالله . فمن مات على ذلك ، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والاحسان فهو من أهل النار قطعاً ، كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ويزهد في الدنيا ويتعبد الليل والنهار لكنه خلط ذلك بالشرك بالله ـ تعالى الله عن ذلك

قال الله عز وجل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) وقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء) الآية .

فرحم الله امرءاً تنبه لهذا الامر العظيم قبل ان يعض الظالم على يديه ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم عليهم ، وان يجنبنا طريق المغضوب عليهم ، وهم العلماء الذين علموا ولم يعملوا ، وطريق الضالين وهم العباد الجهال

فما اعظم هذا الدعاء وما احوج من دعا به ان يخلص قلبه في كل ركعة

إذا قرأ بها بين يدي الله تعالى ان يهديه وان ينجيه فان الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في الفاتحة إذا دعا به الانسان من قلب حاضر

(فنقول) لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية ملة ابراهيم وهي التي جعلها الله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لاجلها المخلوقات، وبها قامت الارض والسموات، ولاجلها أرسلت الرسل وانزلت الكتب، قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والمراد معني هذه الكلمة، واما التلفظ باللسان مع الجهل بمعناها فلا ينفع ، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الاسفل من النار .

(فاعلم) أن معنى هذه الكلمة نفي الآلهية عما سوى الله تبارك وتعالى، واثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل كما قال تعالى (إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الآية

.فاذا قيل: لا خالق إلا الله فهذا معروف لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وإذا قيل لا رزق إلا الله فكذلك ، فاذا قيل لا إله إلا الله فكذلك

فتفكر رحمك الله واسأل عن معنى لا إله إلا الله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق

فاعلم ان الاله هو المعبود . هذا هو تفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم، فمن عبد شيئا فقد اتخذه إلها من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علوا كبيراً

والعبادة أنواع كثيرة لكني أمثلها بانواع كثيرة لا تنكر: من ذلك السجود

فلا يجوز لعبد ان يضع وجهه على الارض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له ، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل ولا لولي. ومن ذلك الذبح فلا يجوز لاحد ان يذبح إلا لله وحده كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) والنسك هو الذبح وقال (فصل لربك وانحر) فتفطن لهذا

واعلم أن من ذبح لغير الله من جني أو قبر فهو كما لو سجد له . وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال « لعن الله من ذبح لغير الله »

ومن أنواع العبادة الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلا ونهاراً في الشدة والرخاء وحده ، لا يشك أحد ان هذا من أنواع العبادة (١)

فتفكر رحمك الله أنه فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء، هذا يريد سفراً فيأتي عند قبر أو غيره فيدخل عليه بماله عمن ينهبه . وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبد القادر أو السمان أو بنبي من الانبياء أو ولي من الاولياء ، أن ينجيه من هذه الشدة .

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الاله هو المعبود وتعرف أن الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقا ميتاً عاجزاً وتترك الحي القيوم الرءوف الرحيم القدير؟ فيقول هذا المشرك : ان الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك .

(١) وهو أعلى الانواع وأدلها على الايمان الصحيح والتوحيد الخالص ، فالسجود انما كان عبادة بحكم الشرع، وقد كان عادة في التحية من قبل، ومنه سجود يعقوب واولاده لولده يوسف عليهم السلام. واما الدعاء فهو ركن العبادة الاعظم بمقتضى الفطرة وفي دين الله على ألسنة جميع الامم ، ولذلك قال (ص) « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم من حديث النعمان بن بشير وأبو يعلى من حديث البراء وفي معناه « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي من حديث أنس

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الاصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار الذي يدبر الامر وانما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله، كما قل تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وإلا فهم يعترفون بان الله هو الخالق الرازق النافع الضار كما أخبر عنهم بقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله. فقل أفلا تتقون)

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة وناراً — هذا الموضع، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية وقال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فما بعد هذا البيان بيان، اذا كان الله عز وجل قد حكى عن الكفار أنهم يقرون أنه هو الخالق الرازق، والمحيي المميت الذي يدبر الامر، وانما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم — التقرب والشفاعة عند الله تعالى (فكم من) آية في القرآن ذكر الله فيها هذا كقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله — الى قوله — فأنى تسحرون) وكقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله) وغير ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم انهم أقروا بهذا لله وحده، وانهم ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة لا غير ذلك.

فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون في اصنام من حجارة وخشب، ونحن نعتقد في الصالحين. قيل له والكفار أيضا منهم من يعتقد في الصالحين مثل

الملائكة وعيسى بن مريم . وفي الاولياء مثل العزير واللات ، وناس من الجن .
وقد ذكر الله عز وجل في كتابه مايدل على هذا فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال فيمن اعتقد في عيسى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقال (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم) فاذا كان عيسى بن مريم وهو من أفضل الرسل قيل فيه هذا فكيف بعبد القادر أو غيره إذ يقال فيه انه يملك ضراً أو نفعاً؟

وقال في حق الاولياء (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب* ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعزيرا والمسيح فقال الله :هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي ، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي

فرحم الله امرأ تفكر في هذه الآية العظيمة وفيما نزلت فيه، وتفكر ان الذين اعتقدوا فيهم إنما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده بهم. وهذا كله يدور على كلمتين

الاولى أن تعرف ان الكفار يعرفون ان الله سبحانه هو الخالق الرازق الذي يدبر الامر وحده ، وانما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله تعالى

والثانية ان تعرف ان منهم أناساً يعتقدون في أناس من الانبياء والصالحين مثل عيسى والعزير والاولياء، فصاروا هم والذين يعتقدون في الاصنام من الحجر والشجر واحداً ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون في الاوثان من الخشب والحجر . والذين يعتقدون في الانبياء والصالحين

إذا تبين هذا لك عرفت دين الله .

ولو قال المشرك بعد ذلك : هذا بين نعرفه في أول الامر ولا نخاف منه.

قيل: ان كان أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم، ومن أنواع الشرك أشياء ماعرفوها إلا بعد سنين، فان عرفت هذا بلاتعلم فأنت أعلم منهم ، بل الانبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى، قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ (فاعلم انه لا إله الا الله) وقال تعالى (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

فاذا كان هذا حال نبينا وحال الخليل ابراهيم عليه السلام إذ يوصي بها أولاده وهم أنبياء . قال الله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (وقال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) فاذا كان هذا الامر لايخاف على المسلمين منه فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام)؟ مابال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات الى النور جعله في هذا الامر، وأكثر الكلام فيه وبينه، وضرب فيه الامثال، وحذر منه وأبدى وأعاد ؟ فاذا كان الناس يفهمونه بلاتعلم، ولا يخاف عليهم منه فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه فأصمهم وأعمى أبصارهم

وأنت يامن منّ الله عليه بالاسلام وعرف معنى لا إله إلا الله لاتظن أنك اذا قلت : هذا هو الحق وتارك ماسواه (١) لكن لاأتعرض لهم ولا أقول فيهم شيئاً، لاتظن أنك غير عاص ربك ، بل لا بد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم

«١» كذا في الاصل ويظهر انه سقط من هنا شيء

ومعاداتهم كما قال أبوك ابراهيم والذين معه لقومهم (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) الآية، وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

ولو قال رجل أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق لكن لا أتعرض للات والعزى ولا أتعرض لابي جهل وأمثاله، ماعلي منهم ؟ لم يصح اسلامه

وأما مجادلة بعض المشركين بان هؤلاء الطواغيت ماأمروا الناس بهذا ولا رضوا به، فهذا لا يقوله إلا مشرك مكابر، فان هؤلاء ماأكلوا أموال الناس بالباطل ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا ما قربوا إلا بهذا، واذا رأوا رجلا موحداً منكراً لهذا الشرك سبوه وآذوه. واذا رأوا مشركا كافراً تابعا للشيطان قربوه وأحبوه وزوجوه بناتهم وعدوا ذلك شرفا.

وهذا القائل يعلم أن قوله ذلك كذب فانه لو يحضر عندهم ويسمع بعض المشركين يقول: جاءتني شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له فخلصني، لم يجزأن يقول هذا القائل لايضر ولا ينفع إلا الله، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس لأبغضه الطواغيت بل لو قدروا على قتله لقتلوه، وبالجملة لا يقول هذا إلا مشرك مكابر، وإلا فدعواهم هذه وتخويفهم الناس وذكرهم السوالف الكفرية التي اشتهرت عن آبائهم مشهور لا ينكره من عرف حالهم كما قال تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر)

*
* *

ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة لمن اعتبر. قال تعالى في حق الكفار (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه) فذكر عن الكفار أنهم اذا جاءتهم الشدة تركوا غيره وأخلصوا له الدين، وأهل زماننا اذا جاءتهم الشدة والضر التجؤا إلى غير الله سبحانه وتعالى عن ذلك. فرحم الله من تفكر في هذه الآية وغيرها من الآيات

وأما من منّ الله عليه بالمعرفة فليحمد الله تعالى وإن أشكل عليه شيء فليسأل أهل العلم عما قال الله ورسوله ولا يبادر بالانكار لأنه ان رد رد على الله . قال الله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون)

***

اعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الاكبر وقع فيها بعض المصنفين على جهالة لم يفطن لها من ذلك قوله في البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وفي الهمزية من جنس هذا وغيره أشياء كثيرة ، وهذا من الدعاء الذي هو العبادة التي لاتصلح إلا لله وحده ،

وإن جادلك بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه وقال بجهله كيف هذا ؟ فقل له : أعلم منه وأجل أصحاب موسى الذين اختارهم الله وفضلهم على العالمين وقد قالوا (ياموسى اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة) فاذا خفي هذا على بني اسرائيل مع جلالتهم وفضلهم فما ظنك بغيرهم(١) وقل لهذا الجاهل:

(١) فيه أن بني اسرائيل الذين قالوا هذا القول لم يكونوا أصحاب جلالة وفضل ولا علم بالدين ولا كانت التوراة نزلت عليهم وانما كانوا مشركين انقذهم موسى عليه السلام من ظلم فرعون وقومه ليتخذ منهم شعبا يعبد الله وحده ويقيم دينه، وقد أجابهم موسى عليه السلام بقوله (إنكم قوم تجهلون) وقد اتخذوا العجل بعد ذلك وعبدوه . وفي القرآن وكذا في التوراة من ذم قوم موسى وتمردهم وعنتهم وايذائهم له في عهد التشريع العجب العجاب ، واما تفضيل بني اسرائيل على العالمين في زمانهم فالمراد به جملتهم بما كان فيهم من الانبياء والصالحين من قبل موسى الى عهد عيسى عليهم السلام (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) =

اصلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد لما مروا بشجرة فقالوا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قال بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)

ففي هذا عبرتان عظيمتان : الاولى أن النبي ﷺ صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها أنه متخذها إلها ، وإلا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون أنها لاتخلق ولا ترزق، وانما ظنوا أن النبي ﷺ اذا أمرهم بالتبرك بها صار فيها بركة

والعبرة الثانية : أن الشرك قد يقع ممن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لايدري كما قال رسول الله ﷺ « الشرك أخفى من دبيب النمل» بخلاف قول الجاهل هذا بين نعرفه . فاذا أشكل عليك من هذا شيء وأردت بيانه من كلام أهل العلم وانكار جنس الشرك الذي حرمه الله فهو موجود وابحث عن كلام العلماء في هذا إن أردت من الحنابلة وإن أردت من غيرهم والله أعلم

= واما صاحب البردة فيدرأ عنه ردة الشرك في هذا البيت حمل الحادث العمم فيه على هول الموقف اذ يلوذ الناس بالانبياء لاجل الشفاعة فلا يلبيهم غير المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وقد حقق شيخ الاسلام ابن تيمية ان العبارات التي تنافي الايمان يجب أن يقال انها كفر في ذاتها للتحذير منها ولكن لا يحكم بكفر قائلها المعين بها لاحتمال انه متأول فيها أو جاهل جهلا يعذر به ، كانكار بعض الصحابة لبعض القرآن، وذكر شواهد أخرى، وقد صرح المؤلف هنا بأن صاحب البردة قال ماقال عن جهالة ولم يخطر في باله مسألة التأول لان المقام مقام الزجر لا إقامة الحد ، على أن ما ذكرنا من معنى البيت هو المتبادر من لفظه وما كنا نفهم منه غيره فهو ليس بتأويل له

رسالة أخرى في الشهادتين

(وبعثة محمد ﷺ ودلائل رسالته)

قال ـ صب الله عليه من شآبيب بره ورحمته ووالى :

هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وقد غلط أهل زماننا فيها، وأثبتوا لفظها دون معانيها، وقد يأتون بادلة على ذلك تلتبس على الجاهل المسكين، ومن ليس له معرفة في الدين، وذلك يفضي الى أعظم المهالك.

فمن ذلك قوله ﷺ «أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم» الحديث . وكذا قوله ﷺ لما سئل عن شفاعته من أحق بها يوم القيامة؟ قال «من قال لااله الا الله خالصا من قلبه» وقوله ﷺ « من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة» وكذلك حديث عتبان بن مالك « فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله »

وهذه الاحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره طابت نفسه ، وقرت عينه، واستنقذه المساعد على ذلك ، وليس الامر كما يظنه هذا الجاهل المشرك ،فلو انه دعا غير الله أو ذبح له أو حلف به أو نذر له لم ير ذلك شركا ولا محرما ولا مكروها . فاذا أنكر عليه بعض ماينافي التوحيد لله والعمل بما أمر الله اشمأز ونفر وعارض بقوله قال رسول الله وقال رسول الله ، وهذا لم يدر حقيقة الحال، فلو كان الامر كما قال لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة «والله لو منعوني عناقا ـ او قال عقالا ـ كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» أفيظن هذا الجاهل انهم لم يقولو لااله الا الله؟ وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج «اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم فانهم شر قتيل

تحت أديم السماء »؟ أفيظن هذا الجاهل ان الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ هذا انهم لم يقولوا لاإله الا الله وقال ﷺ « في هذه الامة ـ ولم يقل منها ـ قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم » (١) وكذلك أهل حلقة الذكر لما رآهم أبو موسى في المسجد في كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائة ، هللوا مائة . الحديث فلما انكر عليهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قالوا والله ما أردنا الا الخير. قال: كم من مريد للخير لم يصبه(٢) ان رسول الله ﷺ حدثنا « ان قوما يقرؤن القرآن لايجاوز حلوقهم » أو قال « تراقيهم » وايم الله لا أدري ان يكون أكثرهم الا منكم ، قال عمرو بن سلمة: فما كان الا قليل حتى رأوا أولئك يطاعنون أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج. أفيظن هذا الجاهل المشرك انهم يتركون ذلك لكونهم يسبحون ويهللون ويكبرون

وكذلك المنافقون على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ويحجون معه ، قال الله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أفيظن هذا الجاهل انهم لم يقولوا لااله الا الله؟ وكذلك قاتل النفس بغير حق يقتل . أفيظن هذا الجاهل انه لم يقل لااله الا الله؟ وانه لم يقلها خالصا من قلبه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من عباده وأخفى عليه الصواب ، وأسلكه مسلك البهائم والدواب ، (أولئك كالانعام بل هم أضل) حتى قال هؤلاء الجهلة ممن ينتسب

---

(١) فيه ان الخليفة الرابع رضى الله عنه قاتلهم ببغيهم ولم يحكم بكفرهم وكانوا متأولين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في عدة مواضع

(٢) انكر ابن مسعود (رض) ذلك على قائله لأنه بدعة كما بينه الشاطبي في الاعتصام وغيره

الى العلم والفقه قبلتنا من أمها لا يكفر (١)

فلاإله إلا الله نفي واثبات الالهية كلها لله فمن قصد شيئا من قبر أو شجر أو نجم أو ملك مقرب أو نبي مرسل لجلب نفع وكشف ضر فقد تخذه إلها من دون الله فكذب بلااله الا الله يستتاب فان تاب والا قتل

فان قال هذا المشرك: لم أقصد إلا التبرك، وأني لاعلم ان الله هو الذي ينفع ويضر. فقل له: ان بني اسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت كما أخبر الله عنهم أنهم لما جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فاجابهم بقوله (انكم قوم تجهلون) الآيتين. وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر إنها السنن(٢) قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم »

وقال تعالى (افرأيتم اللات والعزى) وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره أنه رجل صالح كان يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره

فيرجع هذا المشرك ويقول هذا الشجر والحجر، وانا أعتقد في اناس

---

(١) يعني الشيخ رحمه الله ان هؤلاء الجهلة لم يفهموا قول أهل السنة انهم لايكفرون احداً من اهل القبلة وانهم يعنون به عدم التكفير بالذنب لا بالشرك والكفر الذي لا يحتمل التأويل . والتأويل الذي يمنع تكفير الشخص المعين انما يمنعه مادام محتملا فاذا قامت عليه الحجة وذهب احتمال التأويل ظهر أنه مرتد ليس له عذر

(٢) الضمير هنا ضمير القصة والشأن، والسنن سنن الله في الامم وهي قواعد الاجتماع والاحوال التي يستن فيها بعض الناس بما كان عليه غيرهم

صالحين انبياء واولياء أريد منهم الشفاعة عند الله كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله، فقل له: هذا مذهب الكفار بعينه كما أخبر سبحانه بقوله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقوله (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا)

وقد ذكر أناسا يعبدون المسيح وعزيراً فقال الله هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون، ويخافون عذابي كما تخافون وأنزل الله سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآيتين وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟) الآيتين.

والقرآن بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الشرك وكفر أهله، وانهم اعداء الله ورسوله، وانهم اولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل عملهم، كما قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً) وقال تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون) قال ابن مسعود وابن عباس: لا تجعلوا له اكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله. وقال رجل للنبي ﷺ ماشاء الله وشئت فقال «اجعلتني لله ندا؟ قل ماشاء الله وحده» وقال ﷺ لاصحابه «اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر» فسئل عنه فقال «الرياء»

وبالجملة فاكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام والاوثان، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم عليه السلام. وعبادتها في الارض من قبل قوم نوح كما ذكر الله وهي كلها ووقوفها وسدانتها وحجابتها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الارض قال إمام الحنفاء (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) كما قص الله ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين.

وكفى في معرفة كثرتهم وانهم أكثر أهل الارض ما صح عن النبي ﷺ أن

بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله)وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

***

ولما أراد سبحانه إظهار توحيده ، وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، بعث محمداً خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين ، وما زال في كل جيل مشهوراً ،وفي توراة موسى وانجيل عيسى مذكورا ، الى أن أخرج الله تلك الدرة، بين بني كنانة وبني زهرة، فأرسله على حين فترة من الرسل، وهداه إلى أقوم السبل ، فكان له ﷺ من الآيات الدالة على نبوته قبل مبعثه مايعجز أهل عصرها . فمن ذلك قوله ﷺ « أنا دعوة أبي ابراهيم و بشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني انه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام » وولد ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل، وانشق ايوان كسرى ليلة مولده حتى سمع انشقاقه وسقط أربعة عشر شرفة(١) وهو باق إلى اليوم آية من آيات الله، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك، وغاضت بحيرة ساوة ، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق عراق العجم وهمدان تسير فيها السفن وهي أكثر من ستة فراسخ فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة كأن لم يكن بها ماء ،واستمرت على ذلك حتى بني مكانها مدينة ساوة وهي باقية الى اليوم، وأرسلت الشهب على الشياطين كما أخبر الله بقوله (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) الآية. وأنبته الله نباتا حسنا وكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأعزهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثا حتى سماه قومه « الامين» لما جعل الله فيه من الاحوال الصالحة والخصال المرضية

ووصل بصرى من أرض الشام مرتين فرآه بحيرا الراهب فعرفه وأخبر

(١) كذا في الاصل: ولا بد ان يكون صوابه :اربع عشرة شرفة منه او من شرفاته

عمه انه رسول الله ، ونصحه أن يرده ، فرده مع بعض غلمانه وقال امه: احتفظ به فلم نجد قدماً أشبه بالقدم الذى بالمقام(١) من قدمه . واستمرت كفالة أبي طالب له كما هو مشهور ، وبغض اليه الاوثان ودين قومه فلم يكن شيء ابغض اليه من ذلك .
والدليل على انه رسول الله ﷺ من العقل والنقل :

فاما النقل فواضح. وأما العقل فنبه عليه القرآن :من ذلك ان ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهي لايناسب في حق الله ونبه عليه في قوله (وماقدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء)

ومنه أن قول الرجل اني رسول الله إما أن يكون خير الناس واما أن يكون شرهم وأكذبهم . والتميز بين ذلك سهل يعرف بامور كثيرة ، ونبه على ذلك بقوله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) الآيات

ومنه شهادة الله بقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم كما في هذه الآية

ومنها — وهي عظم الآيات العقلية— هذا القرآن الذي تحداهم بسورة من مثله ، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمه من معرفتنا بشدة عداوة أهل الارض له، علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا واستعجازهم به ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه وادخال الشبهة على الناس ، ومنها تمام ماذكرنا وهو اخباره سبحانه انه لايقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم

ومنها نصره من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس . ومنها خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم

ومنها أنه رجل أمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء ولا ادعى

(١) مقام ابراهيم، يعني انه ﷺ أشبه الناس بابراهيم

ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم ، ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب الاولى كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذاً لارتاب المبطلون)

وقال رحمه الله تعالى :

ولما بلغ أربعين سنة بعثه الله بشيراً ونذيراً (وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) ولما أتى قومه بلا إله إلا الله قالت قريش (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟) قال الترمذى :حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن مروان وغيرهم قالوا : قام رسول الله ﷺ ثلاث سنين مستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر سنين يوافي الموسم كل عام فيقول « أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا ،وتملكوا بها العرب،وتدين لكم بها العجم،فاذا متم كنتم ملوكا في الجنة» وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فانه صابيء كذاب ، فيردون عليه أقبح الرد

ولما أمره الله بالهجرة هاجر واظهر الله دينه على الدين كله،وقاتل جميع المشركين ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر ،ومازال يعلم الناس التوحيد ، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد ، حتى ازال الله الجهل والجهال وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال .

وعن انس قال : قال اناس يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال ﷺ « ياأيها الناس انا محمد عبدالله ورسوله ، ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل » وعن عبدالله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلت: انت سيدنا فقال «السيد الله » وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال « لاتطروني كما اطرت النصارى المسيح بن مريم انما انا عبدالله ورسوله »وما زال ﷺ معلما لاصحابه هذا التوحيد، ومحذراً من الشرك حتى اتاهم مرة وهم يتذاكرون الدجال فقال « ألا اخبركم بما هو اخوف

ما اخاف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا: بلى، يارسول الله قال « الشرك الخفي . يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » وحتى قال « لا تحلفوا بابائكم . من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله في شيء » وحتى قال « لا يقول أحدكم ما شاء الله وشاء فلان » وحتى قال « لاتقولوا لولا الله وفلان » وحتى قال « لا يقول احدكم عبدي وامتي » وحتى قال « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر » وحذرهم من الشرك بالله في الاقوال والاعمال حتى قال « انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب، وانا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور ومن تركه كان على الردى » وحتى قال « خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت والتحذير . لنا من هذا الشرك حتى قال « اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وحتى قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » الحديث ، وحتى حذرهم عن الكفر بنعمة الله قيل هو قول الرجل هذا مالي ورثته من ابائي وقال بعضهم هو كقوله : الريح طيبة والملاح حاذق ، ونحو ذلك

ولما ذكر شيخ الاسلام تقي الدين الاحاديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله إلا الله » وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وقال « ان الصلاة من حقها والزكاة من حقها » كما قال الصديق لعمر ووافقه عمر وسائرهم على ذلك. ويكون ذلك أنه قال قد شرع في العصمة وإلا بطل . وقد قال النبي ﷺ كل واحد من الحديثين في وقت ليعلم المسلمون ان الكافر إذا قالها جبّ الكفر عنه ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين

ليعلم ان تمام العصمة يحصل بذلك لئلا يقع شبهة واما مجرد الاقرار فلا يعصمهم على الدوام(١) كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها الصديق رضي الله عنه ووافقوه

وقال ابن القيم في شرح المنازل(٢) : شهادة ان لا إله إلا الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد . هذا هو التوحيد الذي نفى الشرك الاعظم وعليه نصبت القبلة، وبه حقنت الدماء والاموال، وانفصلت دار الايمان من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة وان لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن يسلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب ، وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد وهي إرسال الرسل الصنائع (٣) ويجب بالسمع ويوجد بتبصير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد (٤) والحمد لله رب العالمين

(١) الاقرار بالشهادتين هو المدخل في الاسلام والعنوان على ترك الكفر السابق فهما كافيتان في العصمة من القتل في اثناء القتال واما الاعتداد باسلام قائليها بعد ذلك فلا بد فيه من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة لقوله تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال بعدها (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)

«٢» هذه العبارة التي نقلها هنا هي عبارة كتاب المنازل لا شارحه ابن القيم

«٣» عبارة المنازل: وهي « أي الشواهد » الرسالة والصنائع · قال ابن القيم ومقصوده ان الشواهد نوعان آيات متلوة وهي الرسالة ، وآيات مرئية وهي الصنائع

«٤» هذه آخر عبارة المنازل



رسالة في كلمة التوحيد

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

اعلم - رحمك الله - ان فرض معرفة شهادة ان لا اله الا الله قبل فرض الصلاة والصوم ، فيجب على العبد ان يبحث عن معني ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم. وتحريم الشرك والايمان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الامهات والجدات. فأعظم مراتب الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله

ومعني ذلك أن يشهد العبد أن الالهية كلها لله ليس منها شيء لنبي ولا لملك ولا لولي بل هي حق لله على عباده والالهية هي التي تسمى في زماننا السر . والاله في كلام العرب هو الذي يسمى في زماننا الشيخ والسيد الذي يدعى ويستغاث به ، فاذا عرف الانسان ان هذا الذي يعتقده كثيرون في السمان (١) وأمثاله أو في قبر بعض الصحابة هو العبادة التي لا تصلح الا لله وأن من اعتقد في نبي من الانبياء (٢) فقد كفر وجعله مع الله الها آخر فهذا لم يكن قد شهد ان لا اله الا الله

ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان اباك وأخاك .

فاما من قال انا لا أعبد الا الله وأنا لا اتعرض السادة والقباب على القبور .

---

(١) السمان شيخ كان اهل نجد يعتقدون ولايته فيدعونه في الشدائد

(٢) اي انه يدعى ويستغاث به فيدعوه لكشف الضر وجلب النفع سواء اعتقد المعتقد انه يفعل مايدعي له بنفسه او بتأثيره عند الله تعالى ، فان اعتقاد هذا التأثير في ارادة الله وفعله عين الاشراك في حصول المقصود ، فهو من الشرك

وأمثال ذلك فهذا كاذب في قول لا اله الا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت .

وهذا كلام يسير، يحتاج الى بحث طويل واجتهاد في معرفة دين الاسلام، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله ﷺ والبحث عما قال العلماء في قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ويجتهد في تعلم ما علم الله رسوله وما علمه الرسول لامته من التوحيد . ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه وآثر الدنيا على الدين لم يعذره الله بالجهالة والله أعلم

رسالة اخرى في كلمة التوحيد

(وكونها تنفي اربعا وتثبت اربعا)

قال رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله، ان معنى لا اله الا الله نفي واثبات، تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع، تنفي: الالهة، والطواغيت، والانداد، والارباب. فالالهة: ماقصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر فانت متخذه الها، والطواغيت من عبد وهو راض أو رشح للعبادة، مثل السمان أو تاج أو أبي حديدة، والانداد ماجذبك عن دين الاسلام من أهل او مسكن أو عشيرة أومال فهو ند لقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) والارباب من افتاك بمخالفة الحق وأطعته، مصداقا لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون)

وتثبت أربعة انواع : القصد، وهو كونك ماتقصد الا الله . والتعظيم والمحبة لقوله عز وجل (والذين آمنوا أشد حبا لله) والخوف والرجاء لقوله تعالى (وان

يمسسك الله بضر فلا كاشف الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)

فمن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله . ولا تكبر عليه جهامة الباطل كما أخبر الله عن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بتكسيره الاصنام وتبريه من قومه لقوله تعالى(قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) الآية .

مذاكرة

الشيخ محمد رحمه الله مع أهل بلد حريملة

في كلمة التوحيد ، والجمع بين التوحيد والشرك

قال لهم: لا إله إلا الله قد سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع [1] وغيره ولا لقينا عندهم إلا انها لفظة مالها معنى، ومعناها لفظها ومن قالها فهو مسلم. وقد يقولون لها معنى لكن معناها لا شريك له في ملكه

ونحن نقول لا إله الا الله ليست باللسان فقط لا بد للمسلم اذا لفظ بها ان يعرف معناها بقلبه، وهي التي جاءت لها الرسل والا الملك ماجاءت الرسل له، وأنا أبين لكم إن شاء الله مسئلة التوحيد ومسئلة الشرك

تعرفون المشهد فيه قبة والذي من الرجال صلى الظهر قام وتقبل القبر وولى الكعبة قفاه وركع لعلي ركعتين : صلاته لله توحيد ، وصلاته لعلي شرك ، أءنتم فهمتم ؟ قالوا فهمنا ، صار هذا مشرك صلى لله وصلى لغيره .

ولله سبحانه حق على عبده في البدن والمال. والصلاة زكاة البدن والزكاة في المال حق له تعالى فاذا زكيت لله وخرجت بشيء تفرقه عند القبة فزكاتك لله توحيد ، وزكاتك للمخلوق شرك

(١) المطوع : هو الذي يعلم العامة ويفقههم وهو دون العالم

كذلك سفك الدم إن ذبحت لله توحيد وإن ذبحت لغيره صار شركا، كما قال تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له) والنسك سفك الدم (١)

كذلك التوكل من أنواع العبادة إن توكلت على الله صار توحيداً وإن توكلت على صاحب القبة صار شركا . قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه)

وأكبر من ذلك كله الدعاء، تفهمون انه يذكر(٢) أن الدعاء مخ العبادة ؟ قالوا نعم، قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) أنتم تفهمون ان هنا من يدعو الله ويدعو الزبير، ويدعو الله ويدعو عبدالقادر، الذي يدعو الله وحده مخلص، وإن دعا غيره صار مشركا. فهمتم هذا ؟ قالوا فهمنا

قال الشيخ : هذا إن فهمتوه فهذا الذي بيننا وبين الناس، فان قالوا هؤلاء يعبدون أصناما يدعونهم يريدون منهم، ونحن عبيد مذنبون وهم صالحون ونبغي بجاههم، فقل لهم عيسى نبي الله عليه السلام وأمه صالحة، والعزير صالح والملائكة كذلك، والذين يدعونهم أخبر الله عنهم انهم ماأرادوا منهم ماأرادوا بجاههم إلا قربة وشفاعة واقرأ عليه الآيات في الملائكة في قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة) الآية، وفي الانبياء قوله (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم) الآية وفي الصالحين (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) الآية، ولم يفرق بينهم النبي ﷺ

رسالة اخرى في كلمة التوحيد

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

اعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته وأوجب عليك طاعته، ومن أفرض عبادته عليك معرفة لاإله إلا الله علما وقولا وعملا ، والجامع لذلك قوله تعالى

(١) اي لاجل القربة كالاضحية وفدية الاحرام ومثلها النذر لله وحده

(٢) اي يذكر في الحديث عن النبي (ص)

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

فاعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والاسلام فعند ذلك افترق الناس سواء جهلا أو بغياً أو عناداً ، والجامع لذلك اجتماع الامة على وفق قول الله تعالى (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) الآية

فالواجب على كل أحد اذا عرف التوحيد وأقر به أن يحبه بقلبه ، وينصره بيده ولسانه ، وينصر من نصره ووالاه ، واذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه ، ويخذله بلسانه ، ويخذل من نصره ووالاه باليد واللسان والقلب. هذه حقيقة الامرين ، فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فنقول لاخلاف بين الامة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب الذي هو العلم ، واللسان الذي هو القول ، والعمل الذي هو تنفيذ الاوامر والنواهي ، فان أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وابليس ، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يعتقده باطناً فهو منافق خالص ، وهو شر من الكافر ، والله أعلم

قال رحمه الله وهو نوعان : توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم ، وأما توحيد الالوهية فهو الفارق بين الكفر والاسلام ، فينبغي لكل مسلم أن يميز بين هذا وهذا ويعرف أن الكفار لاينكرون أن الله الخالق الرازق المدبر ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) الآية (ولئن سألتهم

من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله) الآية .

فاذا ثبت لك أن الكفار يقرون بذلك عرفت أن قولك لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، ولا يدبر الامر إلا الله ، لا يصيرك مسلماً حتى تقول لا إله إلا الله مع العمل بمعناها . فهذه الاسماء كل منها له معنى يخصه .

أما قولك الخالق فمعناه الذي أوجد جميع مخلوقاته بعد عدمها ، وأما قولك الرازق فمعناه أنه لما أوجد الخلق أجرى عليهم أرزاقهم . وأما المدبر فهو الذي تنزل الملائكة من السماء إلى الارض بتدبيره ، وتصعد إلى السماء بتدبيره ، ويسير السحاب بتدبيره ، وتصرف الرياح بتدبيره ، وكذا جميع خلقه هو الذي يدبرهم على مايريد . فهذه الاسماء تتعلق بتوحيد الربوبية الذي يقر به الكفار

وأما توحيد الالوهية فهو قولك لا إله إلا الله وتعرف معناها كما عرفت معنى الاسماء المتعلقة بالربوبية ، فقولك لا إله الا الله نفي واثبات : فتنفي الالوهية كلها عن غير الله وتثبتها لله وحده ، فمعنى الاله في زماننا الشيخ والسيد الذي يقال فيهم سر ممن يعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرة

فمن اعتقد في هؤلاء أو غيرهم نبيا كان أو غيره هذا الاعتقاد فقد اتخذه إلها من دون الله ، فان بني اسرائيل لما اعتقدوا في عيسى بن مريم وأمه سماهم لله آلهين قال تعالى (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟ قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك ، انك أنت علام الغيوب)

ففي هذا دليل على ان من اعتقد في مخلوق جلب منفعة أو دفع مضرة فقد اتخذه الها ، فاذا كان الاعتقاد في الانبياء هذه حاله فما دونهم أولى

وأيضاً فان من تبرك بحجر أو شجر ، أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بهم فقد اتخذهم آلهة[1]

والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، يريدون بذلك التبرك ، قال « الله أكبر انها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون* ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون* قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) فوصف قول الصحابة في ذات انواط بقول بني اسرائيل وسماه إلها[2]

ففي هذا دليل على ان من فعل من ذلك شيئا مما ذكرناه فقد اتخذه إلهاء والاله هو المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له وهو الله وحده ، فمن نذر لغير الله أو ذبح له فقد عبده ، وكذلك من دعا غير الله ، قال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) وفي الحديث

---

(١) كذا في الاصل بضمير العقلاء . ويعني بالتبرك المنافي للتوحيد ما فشا في العوام من اعتقاد ان هذه الاشياء المتبرك بها تنفع فتشفي من المرض وترد البلاء وغير ذلك ، بخلاف التبرك المروي عن بعض الصحابة بآثار النبي (ص) وبدم حجامته ونخامته وتبرك الشافعي بقميص الامام احمد الذي روي بالسند كما في طبقات السبكي ، ولكن شيخ الاسلام ابن تيمية قال ان هذه الرواية غير ثابتة وعلى تقدير ثبوتها يراد بها وبأمثالها ذكرى الحب كالمعهود من عشاق الحسان

(٢) ان الذين قالوا للنبي (ص) ماذكر كانوا حديثي عهد بالشرك فظنوا ان مايجعله لهم النبي (ص) من ذلك يكون مشروعا لا ينافي الاسلام . وأما بنو اسرائيل الذين طلبوا من موسى جعل الآلهة لهم فكانوا جاهلين بحقيقة التوحيد بما تربوا عليه من شرك الفراعنة كما تقدم في حاشية سابقة

«ان الدعاء مخ العبادة» وكذلك من جعل بينه وبين الله واسطة وزعم انها تقربه الى الله فقد عبده . وقد ذكر الله ذلك عن الكفار فقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء : مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وكذلك ذكر عن الذين جعلوا الملائكه وسائط فقال(ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون)

فذكر سبحانه أن الملائكة نزهوه عن ذلك وأنهم تبرؤا من هؤلاء ، وأن عبادتهم كانت للشياطين الذين يأمرونهم بذلك. وذكر سبحانه عن الذين جعلوا الصالحين وسائط فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا* أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) وذكر سبحانه انهم لايملكون كشف الضر عن أحد ولا عن أنفسهم، وانهم لايحولونه عن أحد، وانهم يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه. فهذا يثبت لك معنى لا اله الا الله فاذا عرفت حال المعتقدين في عيسى بن مريم والمعتقدين في الملائكة ، والمعتقدين في الصالحين ، وحالهم معهم انهم لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا فضلا عن غيرهم عرفت أن من اعتقد فيمن دونهم فهو أضل سبيلا فحينئذ يثبت لك معنى لا إله الا الله ، والله أعلم



رسالة في حقيقة الاسلام من الكتاب والسنة

(ومن خالفهما من أدعياء العلم والعرفان)

قال رحمه الله تعالى :

اعلم وفقنا الله وإياك للايمان بالله ورسله ــ أن الله سبحانه قال في كتابه (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فتامل هذا الكلام وأن الله أمر بقتلهم وحصرهم والقعود لهم كل مرصد الى أن يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وأيضاً فقد قال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله تعالى » فهذا كلام رسوله ، وقد أجمع العلماء عليه من كل مذهب وخالف ذلك من هؤلاء الجهال الذين يسمون العلماء فقالوا : من قال لا إله الا الله فهو المسلم ، حرام الدم والمال ، وقد بين النبي ﷺ الاسلام في حديث جبريل لما سأله عن الاسلام فقال «الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ،وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » فهذا تفسير رسول الله ﷺ وهؤلاء يقولون البدو اسلام لانهم يقولون لا إله إلا الله ، فمن سمع كلامهم وسمع كلام رسول الله ﷺ فلا بد له من أحد أمرين إما أن يصدق الله ورسوله ويتبرأ منهم ويكذبهم ، وإما أن يصدقهم ويكذب الله ورسوله ، فنعوذ بالله من ذلك والله أعلم

فتأمل أصول الدين (الاولى) ان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل (الثانية) بيان ما اختلف فيه الناس أن الواجب عليهم اتباع

ماأنزل اليهم من ربهم (الثالثة) ان من لم يرفع به رأسا فهومنافق جاهل (الرابعة) رد ماتنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة (الخامسة) أن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل من عند الله لا يضل ولا يشقى (السادسة) ان من أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيا مبعداً (السابعة) أن الذين في قلوبهم مرض يتبعون ماتشابه منه

﴿ تكفير المسلم بالشرك بالله وموالاة المشركين على المؤمنين ﴾

(قال الشيخ محمد رحمه الله تعالى)

إذا شهد الانسان ان هذا دين الله ورسوله كيف لا يكفر من انكره وقتل من آمن به وحبسهم؟ كيف لا يكفر من أتى المشركين يحثهم على لزوم دينهم ويزينه لهم ويحثهم على معاداة الموحدين وأخذ أموالهم؟ كيف لا يكفر ويشهد ان هذا الذي يحث عليه ان الرسول ﷺ انكره ونهى عنه وسماه الشرك بالله؟ وهذا الذي يبغضه ويبغض أهله ويأمر المشركين بقتلهم هو دين الله ورسوله

واعلم ان الادلة على تكفير المسلم الصالح إذا اشرك بالله اوصار مع المشركين على الموحدين ولم يشرك ـ أكثر من ان تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء،

وانا أذكر لك آية من كلام الله اجمع أهل العلم على تفسيرها وأنها في المسلمين وان الرجل إذا قال ذلك فهو كافر في أي زمان كان. قال الله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية. وفيها ذكر انهم إستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فاذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة وذكروا ان الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه مع بغضه لذلك وعداوة أهله لكن خوفا منهم فهو كافر بعد إيمانه. فكيف بالمؤمن في زماننا إذا تكلم بالبصرة أو الاحساء أو مكة أو غيرذلك خوفا منهم لكن قبل الاكراه إذا كان هذا يكفر، فكيف بمن كان معهم وسكن معهم وصار من جملتهم؟ فكيف بمن اعانهم على الشرك وزينه لهم؟ فكيف بمن امرهم

بقتل الموحدين وحثهم على لزوم دينهم

فانتم وفقكم الله تأملوا هذه الآية وتأملوا من نزلت فيه واجمع العلماء على تفسيرها وتأملوا ماجرى بيننا وبين اعداء الله، نطلبهم دائما للرجوع إلى كتبهم التي بايديهم في مسئلة التكفير والقتال فلا يجاوبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ وامثالهم. ونسأل الله ان يوفقكم لدينه القيم ويرزقكم الثبات عليه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ ذبيحة المرتد وما يكفر به المسلم وحكمه ﴾

وسئل عن ذبيحة المرتد وتكفير من يعمل بفرائض الاسلام الخ

فأجاب: قوله تعالى (اليوم أحل لكم الطيبات) الآية وقوله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) الآيات، لا اختلاف في حكمهن بين احد عرف كتاب الله. ولكن الكلام في حكم الذابح هل هو مسلم فيدخل حكمه في حكم الآية اذا ذبح وسمى الله عليها فلو ترك التسمية نسيانا حلت ذبيحته وكانت من الطيبات بخلاف من ترك التسمية عمداً فلا تحل ذبيحته، وكذلك أهل الكتاب أعني اليهود والنصارى ذبيحتهم ومنا كحتهم حلال لقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) الآية

وأما المرتد فلا تحل ذبيحته وإن قال فيها بسم الله لان المانع لذلك ارتداده عن دين الاسلام لا ترك التسمية لان المرتد شر عند الله من اليهود والنصارى من وجوه (أحدها) ان ذبيحته من الخبائث (الثانية) انها لا تحل منا كحته بخلاف أهل الكتاب (الثالثة) أنه لا يقر في بلد المسلمين لا بجزية ولا بغيرها (الرابعة) أن حكمه يضرب عنقه بالسيف لقوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» بخلاف أهل الكتاب.

فاذا تقرر هذا عندك فاعرف أن الكلام في تحريم ذبيحة المرتد لا في أن الله أمر بأكل ما سمي الله عليه ولا تحليل طعام أهل الكتاب

وقولكم لم تكفرون من يعمل بفرائض الاسلام الخمس؟ فقد كان في زمن

الرسول ﷺ من انتسب إلى الاسلام ثم مرق من الدين[1] كما في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ بعث البراء بن عازب معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ، وقد انتسب إلى الاسلام وعمل به

ومثل قتال الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين بعد ماعملوا بشرائع الاسلام . ومثل اجماع التابعين على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين إلى غير ذلك وقد جرى وقائع لاتعد ولا تحصى ، ومثل بني عبيد الذين ملكوا مصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالاسلام ، وصلاة الجمعة والجماعة ، ونصب القضاة والمفتين . لما أظهروا من الاقوال والافعال ماأظهروا . لم يتوقف أحد من أهل العلم والدين عن قتالهم مع ادعائهم الملة ومع قولهم لاإله إلا الله أو لأجل اظهار شيء من أركان الاسلام إلا ماسمعنا منكم ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه حتى ذكروا فيه أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر الانسان ويحل دمه وماله ، حتى ذكروا أشياء يسيرة مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب ، والذين قال الله فيهم (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) الآية أسمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي ﷺ يجاهدون معه ، ويصلون ، ويزكون ، ويصومون ، ويحجون ، ويوحدون الله سبحانه ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون؟لاتعتذروا قد كفرتم) الآية، قالوا كلمة على وجه المزح واللعب[2] فصرح

(١) كذا في الاصل وقد سقط منه الخبر اي كذلك يحكم بكفره ويقتل

(٢) تلك الكلمة تتضمن تكذيب النبي ﷺ او الشك في نبوته قيل هي قول بعضهم ان كان مايقول محمد حقا فهم شر من الحمير وقيل هي استهزاؤهم بقتاله للروم، وعلى كل حال قد ثبت بالآية ان الذي يصلي ويصوم ويجاهد قد يحكم بكفره بكلمة استهزاء بالدين او بالرسول ﷺ

الله أنهم كفروا بعد ايمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك

فتأمل أرشدك الله ، من انتسب الى الاسلام . مرق من الاسلام لما اظهر خلاف ذلك، فكيف بما هو اظهر من ذلك؟ فاذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم ، فعلم أن المنتسب الى الاسلام في هـذه الازمان قد يمرق من الاسلام ،

وقولكم هل يعلمون للنبي ﷺ دينا الا الاسلام الذي جاء به جبرئيل ؟ فمعلوم ان رسول الله ﷺ قام يدعو الناس الى التوحيد سنين عديدة قبل أن يدعوهم الى أركان الاسلام . ومعلوم أن التوحيد الذي جاء به جبرئيل أعظم فريضة، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف اذا جحد الانسان شيئا من اركان الاسلام كفر، ولو عمل بكل ماجاء بها الرسول ﷺ ، واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل من نوح الى محمد لا يكفر لانه يقول لا إله الا الله . أو لانه يفعل كذا وكذا؟ فما الذي فرق بين رسول الله ﷺ وبين قريش؟ هل هو عند الملك والرياسة والتطاول؟ أو عند لاإله الا الله محمد رسول الله؟ فتفرقوا عند ذلك وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحد ان هذا لشيء عجاب)

أتظن ان قريشا لو يعلمون ان هذا الكلام مجرد قول بلا عمل وانهم يقولون لاإله الا الله وينشئون على دينهم ولا يضرهم وان النبي ﷺ يرضى منهم بذلك وانه ما يحاربهم ولا يكفرهم ولا يقاتلهم ؟ اتراهم يتركون التلفظ بلا إله الا الله كما هو اعتقادكم ، أو دين الاسلام لفظ لا إله الا الله ؟ وان من قالها فهو المسلم وتؤثرون عليها حديث جبرئيل، وحديث بني الاسلام على خمسة اركان، وحديث أمرت أن أقاتل الناس • وحديث اسامة . وحديث من صلى صلاتنا . وحديث انه كان إذا اغار على القرية إن سمع أذانا كف عنها والا أغار عليها. ولكن الامر كما قال عمر رضي الله عنه «انها لاتنقض عرى الاسلام عروة عروة حتى ينشأ في الاسلام

من لا يعرف الجاهلية» فذلك انه إذا لم يعرف من الشرك ماعابه القرآن وما ذمه وقع فيه ، وهو لا يعرف انه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو فوقه او دونه او شر منه، فتنقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدع بمتابعة الرسول، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فان كان سؤالك مسترشداً فاسأل عن قول الله في ابراهيم (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) قال وما نجا من شر هذا الشرك الاكبر الا من جرد التوحيد لله، وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله .

فتأمل ان الاسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك وان لم يعادهم فهو منهم ولو لم يفعله ، واسأل عن معنى قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم — الى قوله — ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله (ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ـ الى قوله ـ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده) الآيات وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله) الآيات وما أشبه ذلك

واسأل عن سبب نزول الآية وما معناها. وان كان غير ذلك، فلا تأس على الهالكين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ انتهت رسائل الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ﴾

كتاب
جواب أهل السُّنَّة النبويَّة
في نقض كلام الشّيعة والزّيديّة

لمؤلّفه
عبدالله بن محمّد بن عبدالوهّاب
المعروف بابن الشيخ
١١٦٥ - ١٢٤٢هـ

فقيه حنبلي. خلف أباه في موآزرة آل سعود. ولد ونشأ في الدرعية وتفقه على أبيه وغيره. مبرع في التفسير والعقائد وعلوم العربية. كان مرجع قضاة المملكة السعودية في عهد الامام عبد العزيز آبن محمد، وابنه سعود، وحفيده عبد الله بن سعود. وألف كتبا كثيرة، منها «جواب أهل السنة النبوية وهو رسالة في الرد على اعتراضات بعض الشيعةوالزيدية، و «الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة— ورسائل ومسائل طبعت متفرقة». وكان مع الأمير سعود بن الامام عبد العزيز يوم دخوله مكة في المرة الاولى (١٢١٨ هـ) وسأل بعض الناس عن عقيدتهم فكتب رسالة اشتملت على معاني دعوة ابيه ودحض بها ماكان يرميهم به خصومهم. وكان الى جانب علمه، شجاعا اشتهر عنه يوم دخول ابراهيم باشا للدرعية، وقوفه في احد ابوابها (باب البجيري) وقد شهر سيفه وقاتل قتال الابطال وهو يقول: بطن الارض على عز خير من ظهرها على ذل! وسلم في تلك الوقعة وبعد استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية (١٢٣٣ هـ) اعتقله وأرسله الى مصر، فتوفي بها.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور انفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ان لا إله إلا الله، واشهد ان محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

(اما بعد) فانه قد وصل الينا كتابكم الذي فيه الاعتراض على الجواب الذي قد اتاكم العام الماضي صحبة رسولكم. واعتراض المعترض عليه فاسد من وجوه كثيرة ،وهو يدل على جهالة قائله ومكابرته ومعاندته لاهل البيت النبوي وغيرهم من أهل السنة والجماعة المقتدين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى، والجاهل يبين جهله وضلاله بالادلة، فاذا عاند وكابر صار جهاده بالسيف، كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)

اما قوله ان سبب الاختلاف بين السائل والمسؤول هو ان علياً عليه السلام فارقه وحاربه معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، وقتل علي رضي الله عنه بعد أن كانت الحرب بينهما اربعين يوما إلى آخره فنقول :

هـذا مما يدل على جهل المعترض أو تجاهله ، وذلك ان الاختلاف الذي بيننا وبينكم ليس هذا سببه، وانما سبب الاختلاف والعداوة والمقاتلة لمن قاتلناه هو الشرك بالله الذي قد انتشر وذاع في سائر البلاد ، من يمن وشام ومغرب

ومشرق ، وهو الاستغاثة بالصالحين ودعوتهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الذي قال الله فيه وفيمن فعله (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) وقال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) وقال تعالى في حق الانبياء (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)

وقال لنبينا ﷺ (ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذاً من الظالمين)

وقد صح عندنا بالنقل المتواتر أن هذا يفعل عندكم في كثير من بلاد اليمن ولا تزيلونه ولا تنكرونه على من فعله ، والاوثان والبنايات التي على القبور موجودة عندكم . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «ألا أدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته» (١)



(١) وروى « ألا تدع تمثالا » بالخطاب الخ

الاختلاف بين علي ومعاوية

﴿ ورأي أهل السنة في هذه الفتن (١) ﴾

وأما الاختلاف الذي بين علي ومعاوية فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولنا ما كسبنا ولا نسئل عما كانوا يعملون ، كما قال الله تعالى لاهل الكتاب لما احتجوا بابراهيم واسحاق ويعقوب (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)

وأما قوله: فلما مات الحسن استتم لمعاوية هذا الامر . فهذا مما يدل على جهله بالسير والاخبار، فان الامر قد استتم لمعاوية قبل موت الحسن بسنين وبايعه جميع المسلمين بالخلافة سنة انخلع الحسن من الخلافة وسلمها الى معاوية وصالحه على ذلك في سنة احدى وأربعين ، وذلك أنه ولي الخلافة بعد قتل أبيه رضي الله عنه فأقام فيها ستة أشهر وأياما ، ثم سار اليه معاوية وأرسل اليه الحسن يبذل تسليم الامر اليه واشترط عليه شروطا، فأجاب معاوية الى ذلك وظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ في الحسن بن علي « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان نزوله عنها في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ، وقيل في جماد الاول(٢)وتوفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع وأربعين ، وقيل في خامس ربيع الاول سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى

(١) هذا العنوان وامثاله من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف والغرض منها الترغيب في المطالعة ، وتسهيل المراجعة ، اقتداء بوضع الامة اسماء السور في المصحف ووضع العلماء أبوابا لصحيح مسلم

(٢) كذا في الاصل ولعله تحريف من النساخ فالصواب جمادى الاولى

وخمسين . كذا ذكره السيوطي وغيره من أهل التواريخ .وبهذا يتبين لك تخبط المجيب في كلامه وجهله بالنقل

وأما قوله : فلما قتل علي ومات ابنه الحسن استتم لمعاوية الامر فذلت له الرقاب وافترقت الامة إلى فرقتين إلى آخر كلامه

فيقال : وهذا أيضاً من عجيب جهله ،فان الافتراق العظيم الواقع بين الامة سببه قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وبعد قتله افترقت القلوب حتى آل الامر إلى القتال بالسيف وجرى بين علي وطلحة والزبير وقعة الجمل المشهورة قتل فيها بين الفريقين نحو ثمانية عشر ألفا ، ثم جرت بين علي ومعاوية وقعة صفين ودام القتال بينهم نحو مائة يوم وعشرة أيام وقتل بين الفريقين نحو مائة ألف وعشرة آلاف، فمن أهل الشام تسعون ألفا ، ومن أهل العراق عشرون ألفا كما ذكر ذلك المسعودي وغيره من أهل العلم بالتاريخ ، وجرى في أيام علي من الفتن والحروب والقتل بين المسلمين ما هو معروف ، وكل ذلك بسبب قتل عثمان رضي الله عنه [1]

وقد أخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس عن النبي ﷺ انه قال « ان لله سيفا مغموداً في غمده مادام عثمان فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة » قال السيوطي تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال « أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال. والذي نفسي بيده لايموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا وقع في فتنة الدجال ، وإن لم يدركه آمن به في قبره»

وأخرج ابن عساكر :[2] لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء .

(١) واما السبب الباطن لهذه الفتن فهي دعاية التشيع لعلي كرم الله وجهه التي بثها الخبيث عبد الله بن سبأ اليهودي الزنديق في المسلمين فكان الغلو فيها سبب غلو الخوارج في عداوة علي وانصاره وغيرهم من أهل السنة

(٢) لم يذكر صاحب هذا الاثر والظاهر انه حذيفة فيراجع في تاريخ ابن عساكر

وأخرج عن سمرة قال « ان الاسلام كان في حصن حصين وانهم ثلموا في الاسلام ثلمة بقتلهم عثمان لاتسد الى يوم القيامة ، وان أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعداليهم»

وأخرج عبدالرزاق في مصنفه عن حميد بن هلال قال: كان عبدالله بن سلام يدخل على محاصري عثمان فيقول «لاتقتلوه فوالله لايقتله رجل منكم الا لقي الله أجذم لا يد له ، وإن سيف الله لم يزل مغمودا وإنكم والله ان قتلتموه لسله الله ثم لايغمده عنكم أبداً ،وما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ، ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قبل ان يجتمعوا»(١) وأخرج الحاكم عن الشعبي قال: ماسمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك حيث قال :

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن ان الله ليس بغافل

وقال لاهل الدار : لاتقتلوهم عفا الله عن كل امرء لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل؟

وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس ادبار الرياح الجوافل؟

وأما بعد مبايعة الحسن لمعاوية فاجتمعت الكلمة واصطلح الناس ، ولأجل ذلك سمي العام عام الجماعة ، فكيف يقول هذا الجاهل: افترقت الامة بعد أن استتم لمعاوية الامر فرقتين إلى آخر كلامه(٢)

وقد ذكر أهل العلم بالسير والتواريخ ان معاوية لما تولى الخلافة واستتم له الامر حين عزل الحسن نفسه اتفقت كلمة المسلمين ،وكانوا في ولايته متفقين غير

(١) من مرويات عبدالله بن سلام من كتب بني اسرائيل اه من حاشية الاصل

(٢) قوله هذا اصطلاح للشيعة يعنون به أن فريقا من الناس صاروا عثمانيين ويعنون بهم أهل السنة، وفريقا صاروا علويين ويعنون بهم أنفسهم، كما سيأتي مع رد المؤلف عليه

مختلفين ، يغزون العدو ويجاهدون في سبيل الله ، فلما مات معاوية جرت الفتن العظيمة ، منها قتل الحسين وأهل بيته ، ومنها حصار ابن الزبير بمكة ، ووقعة الحرة بالمدينة. ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط . ثم وثب المختار بن عبيد على ابن زياد فقتله ، وجرت فتنة مصعب بن الزبير وقتله ، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير فقتله وجرت فتنة ، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث مع خلق عظيم من القراء وكانت فتنة كبيرة . فهذا كله بعد موت معاوية رضي الله عنه ، ثم جرى بعد ذلك أيضا فتنة ابن المهلب بخراسان وقتل زيد بن علي بالكوفة وجرت فتن. ثم قام ابومسلم وغيره بخراسان وجرت فتن يطول وصفها وتزايد شرها

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك المسلمين خير من معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام من بعده . وقد روى ابو بكر الاثرم : حدثنا محمد بن عمرو حدثنا مروان عن يونس عن قتادة قال : لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال الناس هذا المهدي ، وكذا رواه ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي

وروى عبدالله بن احمد بن حنبل: حدثنا ابوسعيد الاشج حدثنا ابو اسامة حدثنا الثقة عن ابي اسحاق السبيعي انه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه او أدركتم أيامه لقلتم هذا المهدي[1]

(١) أكبر فضيلة لمعاوية عند هؤلاء المثنين عليه وغيرهم انه قدر على حفظ المملكة الاسلامية من التقاتل بين المسلمين، ووجه همتهم وقوتهم الى الكفار، وفتح الامصار، وأكبر غائلة له اخراج منصب الامامة العظمى عما وضعها فيه الصحابة بهداية الله ورسوله وهو الانتخاب الاختياري، الى عصبية النسب بجعلها في ولده يزيد الفاجر، ثم إرثا يتداوله بنو أمية ، فكان هذا سببا لجعلها كالكرة يتقاذفها الاقوياء بالعصبية دون هداية الصحابة، وبذلك صارت ملكا عضوضا بعد الراشدين كما ورد في الحديث

وفي الصحيحين ان رجلا قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركعة ؟ فقال: أصاب، انه فقيه . فهذه شهادة ابن عباس بفقه معاوية . وابن عباس من علماء أهل البيت ، ومعاوية ليس من السابقين الاولين، بل قد قيل انه من مسلمة الفتح وقيل بل أسلم قبل ذلك ،وكان يعترف بانه ليس من فضلاء الصحابة ، ومعلوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي فضلاعن ابي بكر وعمر . وقد تبين بما ذكرنا لكل منصف أريب ، ولمن له قلب منيب، جهل هذا المعترض وطائفته بما عليه أهل البيت ، وان دعواهم ومحبتهم كذب وافتراء ، ومجرد دعوى لاحقيقة لها، كان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خالفوهم وسلكوا غير طريقهم ، وكذلك الرافضة والشيعة يدعون اتباع علي وأهل بيته وهم قد خالفوا طريقهم ، وسلكوا غير منهاجهم ، وان أسعد الناس باتباعهم ومحبتهم أهل السنة والجماعة القائلون بما دل عليه الكتاب والسنة



مدة الحرب بين علي ومعاوية

وأما قوله : بعد ان كانت الحرب بينهما أربعين يوما ، فالجواب أن يقال :

هذا مما يدل على جهل هذا المعترض بالسير والاخبار، وانه يخبط في كلامه خبط عشواء بلا دليل ولا مستند ولا استبصار، ولا معرفة بما نقله أهل تواريخ الاسلام والعلماء الكبار ، فان كان مراده يوم صفين خاصة فقد ذكر اهل التواريخ الاسلامية ان الحرب أقامت بين علي ومعاوية في يوم صفين[1] نحو مائة يوم وعشرة أيام وجرى بينهم في تلك المدة نحو تسعين وقعة. وذلك انهم ذكروا ان ابتداء القتال في أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة فدامت الحرب بينهم ثلاثة أشهر وعشرين يوما كما ذكر معنى ذلك المسعودي عن أهل السير والاخبار كما تقدم ذلك عنه ، وذكر القرطبي صاحب التفسير الكبير ان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر ، وقيل تسعة ، وقيل ثلاثة ، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين يوما زحفا في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ، وقتل ثلاثة وسبعون الفا من الفريقين ، ذكره الثقة العدل ابراهيم بن الحسن الكسائي الهمذاني ، وفي تلك الليالي ليلة الهرير جعل بعضهم يهر الى بعض، والهرير

---

(١) ان قيل كيف قال يوم صفين ثم قال انه كان ١١٠ أيام (قلنا) ان لفظ «اليوم» في أصل اللغة معناه الزمن الذي يحدده مايقع فيه قل أوكثر ، فيوم صفين هو الزمن الذي وقعت فيه الحرب بين علي ومعاوية وقدره ١١٠ أيام فلكية ، وهكذا يقال في يوم الجمل وأيام العرب وغيرها . ويوم القيامة زمن مقداره خمسون ألف سنة كما قال الله تعالى

الصوت يشبه النباح لانهم تراموا بالنبل حتى فنيت، وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت، وتضاربوا بالسيوف حتى تقصفت، ثم نزل القوم بعضهم الى بعض، قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة القوم والحديد في الهام. فلما صارت السيوف كالمناجل، تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب، ثم تكادموا بالافواه، وكسفت الشمس وثار القتام، وارتفع الغبار، وتقطعت الالوية والرايات، ومرت أوقات اربع صلوات، لان القتال كان بعد صلاة الصبح واقتتلوا الى نصف الليل. وذلك في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين. قاله الامام احمد في تاريخه انتهى ما ذكره القرطبي(١)

واما ان كان مراده محاربة علي ومعاوية وعدم تسليم معاوية الامر له فهذا أعظم جهلا وأكبر خطأ مما قبله. فان معاوية اقام محاربا لعلي مدة خلافته كلها من حين قتل عثمان الى ان قتل علي رضي الله عنه، وذلك نحو خمس سنين إلا ثلاثة اشهر، وقيل أربع سنين وتسعة اشهر وثلاثة أيام، وقيل وستة أيام، وقيل وأربعة عشر يوما، وقيل أربع سنين وثمانية اشهر وثلاثة وعشرين يوما

(١) ولايخفى ما في كلام القرطبي من الكذب والغلو والتشنيع المخالف لصحيح التاريخ اه من حاشية الاصل. والقرطبي لم يكن هو المفتري ولكنه اغتر ببعض ما كتبه اصحاب الاهواء في ذلك

فصل

واما قوله افترقت الامة فرقتين فرقة توالي معاوية باطنا وظاهراً وهم الذين قاتلوا معه ونصروه وسموا انفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت بذلك التواريخ .

فالجواب ان يقال : هذا ايضا جهل وتخبيط وقصور فهم وغباوة شديدة فان الامة قد افترقت بعد قتل عثمان رضي الله عنه ثلاث فرق : فرقة بايعت عليا رضي الله عنه ودخلوا في طاعته ، وهم اكثر الصحابة وجمهور المسلمين وفرقة امتنعت عن الدخول في طاعته ومبايعته واظهروا الطلب بدم عثمان رضي الله عنه ، وهم معاوية ومن تابعه وكان هو الامير عليهم في خلافة عمر رضي الله عنه وخلافة عثمان، وارسلوا إلى علي: ان كنت تريد ان نبايعك فادفع الينا قتلة عثمان فابى علي رضي الله عنه ذلك .

والطائفة الثالثة لم يبايعوا عليا ولا معاوية واعتزلوا الفريقين جميعا لم يعينوا هؤلاء ولا هؤلاء ولم يدخلوا في تلك الحروب والفتن ولم يحضروها، منهم سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومنهم اسامة بن زيد وعبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الانصاري، وأبو موسى الاشعري وعمران بن حصين الخزاعي، وأبو بكرة الثقفي، واهبان بن صيفي . ومن التابعين شريح والنخعي رضي الله عنهم أجمعين

واخرج ابن ماجه عن ابي بردة قال دخلت على محمد بن مسلمة فقال ان رسول الله ﷺ قال « انها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فاذا كان ذلك فائت بسيفك أحداً فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية» فقد وقعت وفعل ما قال النبي ﷺ .

ومن هؤلاء من بايع عليا رضي الله عنه ولم يقاتل معه في حروبه قال أبو عمر

ابن عبد البر في الاستيعاب : وتخلف عن بيعة علي اقوام فلم يكرههم علي وسئل عنهم فقال: أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يدخلوا في الباطل . وقال غيره : ان كثيرا من المسلمين حتى من أهل المدينة ومكة لم يكونوا بايعوه، دع الذين كانوا بعيدين كاهل الشام ومصر والمغرب وخراسان والعراق. انتهى

وقد قال غير واحد من أهل العلم: ان جمهور الصحابة مادخلوا في الفتنة. قال عبدالله بن الامام احمد: حدثنا ابي ثنا اسماعيل يعني ابن علية حدثنا ايوب السختياني عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة و صحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين . هذا إسناد من اصح اسناد على وجه الارض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه، ومراسيله من أصح المراسيل وقال عبد الله : حدثنا ابي ثنا اسماعيل ثنا منصور بن عبدالرحمن[1] . قال : قال الشعبي لم يشهد الجمل من اصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فان جاؤا بخامس فانا كذاب . وقال عبد الله بن احمد ثنا ابي ثنا أمية بن خالد قال قيل لشعبة: إن ابا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا ، فقال: كذب والله، لقد ذاكرت الحكم بذلك وذاكرناه في بيته فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت. وهذا النفي يدل على قلة من حضرها، وقيل: انه حضرها سهل بن حنيف وابو ايوب، وكلام ابن سيرين متقارب فما يكاد يذكر مائة واحد . وقد روى ابن بطة باسناده عن بكير ابن الاشج قال : اما ان رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه فلم يخرجوا الا لقبورهم .

(١) قال ابو حاتم لايحتج به اه من حاشية الاصل

فصل

واما قوله في معاوية رضي الله عنه لما استتم له الامر فذلت له الرقاب: افترقت الامة إلى فرقتين: فرقة توالي معاوية باطنا وظاهراً وهم الذين قاتلوا معه وسموا انفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت به كتب التواريخ وبدعوا من والى علياً وأهله

فالجواب ان يقال: هذا من الكذب والبهتان الظاهر لكل من له معرفة بما عليه أهل السنة والجماعة بل معاوية وأصحابه الذين قاتلوا عليا ومن معه لا يبدعونه ولا يبدعون من والاه، بل العلماء منهم مقرون بفضله ودينه وورعه وسابقته وحسن بلائه في الاسلام، حتى معاوية نفسه يقر بذلك في المحافل والمجالس، كما ذكر ذلك أهل العلم في كتبهم. فروى يحيى الجعفي في كتاب صفين باسناده: حدثني يعلى بن عبيد حدثنا ابي قال أبو مسلم الخولاني وجماعة لمعاوية: أأنت تنازع عليا؟ ام انت مثله؟ قال: لا والله إني لأعلم ان عليا افضل مني واحق بالامر. ولكن ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوماً وانا ابن عمه وانما أطلب بدمه، فائتوا عليا فليدفع إلي قتلة عثمان واسلم له، فأتوا عليا فكلموه فلم يدفعهم اليه

فانظر وتأمل يتبين لك كذب المعترض ونسبته إلى الصحابة مالا يليق بهم، كذلك نسبته إلى أهل السنة والجماعة تبديع من والى عليا وأهل بيته وشيعته، فان هذا كذب وافتراء على القوم، بل جميع أهل السنة يتولون عليا وأهل البيت ويقدمونه على معاوية بل وعلى من هو افضل من معاوية، فن الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة ان افضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ومن بعد أبي بكر عمر ثم بعد عمر عثمان ثم بعد عثمان علي، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وأهل السنة يعلمون ان معاوية ليس من السابقين الاولين، بل هو من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم ولكنه ممن حسن اسلامه بعد ذلك، وصار يكتب الوحي لرسول الله ﷺ. ثم لما توفي

أبو بكر خرج إلى الجهاد مع أخيه يزيد بن أبي سفيان، ثم لما توفي يزيد استعمله عمر رضي الله عنه على الشام فاقام أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وكانت رعيته تحبه لحسن سيرته

وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ،وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ،وتلعنونهم ويلعنونكم » ومما يدل على اعتراف معاوية بفضل علي ما أخرجه غير واحد من أهل السنة في كتبهم وذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في ترجمة علي حيث قال : حدثنا عبدالله بن محمد بن يوسف قال حدثنا يحى بن مالك قال حدثنا ابو الحسن محمد بن محمد بن مقلد البغدادي بمصر قال حدثنا ابو بكر محمد بن الحسن بن دربة قال حدثنا الكلبي عن الحرماوي عن رجل من همدان قال: قال معاوية لضرار الصدائي: ياضرار، صف لي علياً، قال اعفني ياأمير المؤمنين، قال فلتصفه لي قال« اما اذ لابد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ماقصر ، ومن الطعام ماخشن ، كان فينا كاحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوناه ،ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقربهم، ويحب المساكين ، لايطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله،واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد ارخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يادنيا غري غيري، إلي تعرضت ؟ ام الي تشوفت؟ هيهات هيهات، بتتك ثلاثا لارجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق»

فبكى معاوية وقال: رحم الله ابا الحسن، كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال « حزن من ذبح واحدها في حجرها »

وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به الى علي بن ابي طالب يسأله عن ذلك . فلما بلغه قتله قال ذهب الفقه والعلم بموت ابن ابي طالب، فقال له عتبة اخوه لا يسمع هذا منك أهل الشام . انتهى ما ذكره ابو عمر

وكذلك الصحابة الذين قاتلوا عليا مع معاوية ليس فيهم من يقول ان معاوية افضل من علي وانما قاتلوه ومن معهم من أهل الشام للطالب بدم عثمان رضى الله عنه . وكانوا يقولون ان معاوية هو ولي عثمان والطالب بدمه كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم بالاخبار والتواريخ وأيام الناس

قال مجالد عن الشعبي : لما قتل عثمان أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان : ارسلوا إلي بثياب عثمان وبالخصلة الشعر التي نتفت من لحيته ، ثم دعت النعمان بن بشير فبعثته إلى معاوية ، فمضى بذلك وبكتابها فصعد معاوية المنبر وجمع الناس ونشر القميص عليهم ، وذكر ماصنع بعثمان ودعا إلى الطلب بدمه ، فقام أهل الشام فقالوا :هو ابن عمك وأنت وليه ، ونحن الطالبون معك بدمه ، فبايعوا له . وقال يونس عن الزهري : لما بلغ معاويه قتل طلحة والزبير وظهور علي دعا أهل الشام للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان ،فبايعوه على ذلك اميراً غير خليفة. وقد روى الطبراني عن ابن عباس قال: مازلت موقنا ان معاوية سيلي الملك والسلطان من هذه الآية (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا)[1]

وأما سائر أهل السنة والجماعة فكلهم يتولون علياً وأهل البيت ويحبونهم

---

(١) ولكن قال الله بعد ذلك (فلا يسرف في القتل) وقد أسرف معاوية ، وقامت عليه الحجة بما رواه هو وغيره من قوله (ص) لعمار « تقتلك الفئة الباغية » ثم ماذا فعل بقتلة عثمان ، بعد ان انتهى اليه السلطان ؟ ؟

وينكرون على بني أمية الذين يسبون علياً، وكتبهم مشحونة بالثناء عليه ومحبته وموالاته، وجميع كتب الحديث مذكور فيها فضل علي وأهل البيت ولكنهم يتولون سائر الصحابة ويحبونهم ويترضون عنهم طاعة لله ولرسوله ﷺ، فان الله تعالى ذكر الصحابة في كتابه، وأحسن الثناء عليهم، فقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية . وقال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الآية . وأثنى تعالى على من جاء من بعدهم ودعا لهم بالمغفرة فقال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) الآية . فتبين بما ذكرنا جهالة المعترض وكذبه على أهل السنة بأنهم بدعوا من والى علياً وأهل بيته .

* * *

وأما قوله : ولذلك قال الشافعي لما رأى التبديع لأهل الحق :

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

فجميع أهل السنة وأكثر أهل البدعة من المعتزلة والمرجئة وغيرهم يقولون كما قال الشافعي ، ويقولون أيضا كما قال بعض العلماء:

إن كان نصبا حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

فالبيت الاول إرغام للخوارج وطائفة من بني أمية الذين يبغضون عليا رضي الله عنه وأهل بيته، ومنهم من يكفره . والبيت الثاني إرغام للروافض والزيدية الذين يبغضون بعض أصحاب النبي ﷺ ، وذلك ان الله تبارك وتعالى هدى أهل السنة والجماعة لما اختُلف فيه من الحق (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وذلك انهم آمنوا بجميع المنزل من عند الله ، وجميع ماورد عن رسول الله من الاحاديث الصحيحة الثابتة ، ولم يغلوا غلو الروافض والزيدية ، ولم يقصروا تقصير الخوارج ومن نحا نحوهم

فصل

وأما قوله : ولهذا الافتراق روى مسلم في صحيحه عن أبي اسحاق ما معناه : انه لما وقعت الفتنة قال بعض المحدثين لبعض إذا حدثوا: بينوا لنا رجالكم، وكانوا قبل الفتنة يقبلون المرسل ولا يسألون عن رجال السنة

فيقال : هذا مما يدل على انصاف أهل السنة والجماعة ونصحهم لله ولرسوله ولدينه، خصوصا أئمة الحديث وجهابذته. وذلك انه دين فلا يجوز لهم الاخذ عن كل من روى الحديث حتى يعرفوا حاله هل هو ثقة حافظ. ضابط لما يرويه ؟ وهل هو من أهل السنة أو من أهل البدعة ؟ فاذا عرفوا الرجل بالكذب بينوا حاله ، وإذا عرفوه بالبدعة بينوا حاله ، فاذا عرفوا أن الرجل ثقة أخذوا عنه ، وقبلوا حديثه . ولوكان من أهل البدع ، وإذا كان الرجل قليل الضبط أو معروفا بالكذب أو بالتخليط أو الاضطراب في حديثه تركوا حديثه ، وبينوا حاله. وان كان من أهل السنة ومن أهل الصلاح . يعرف ذلك من طالع كتب الجرح والتعديل ، وفي البخاري ومسلم والسنن الاربعة رجال من أهل البدع يروون عنهم الحديث من الخوارج والقدرية والمرجئة والشيعة وغيرهم اذ كانوا معروفين بالصدق والضبط ،

ولكن أهل الحديث وأهل العلم يعلمون ان أكذب الطوائف هم الرافضة والشيعة ومن نحا نحوهم . وذلك ان عمدتهم في المنقولات على تواريخ منقطعة الاسناد وكثير من وضع المعروفين بالكذب . قال أبو حاتم الرازي : سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول قال أشهب بن عبد العزيز : سئل مالك عن الرافضة فقال: لا تروو عنهم ولا تكلمهم فانهم يكذبون. وقال أبوحاتم : حدثنا حرملة قال سمعت الشافعي يقول: لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضه. وقال مؤمل بن

إهاب : سمعت يزيد بن هارون يقول يكتب عن كل صاحب بدعة اذا لم يكن داعية إلا الرافضة فانهم يكذبون

وقال محمد بن سعيد الاصبهاني سمعت شريكا يقول : احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة ، فانهم يضعون الحديث فيتخذونه دينا ، وشريك هذا هو شريك بن عبد الله القاضي بالكوفة من أقران الثوري وأبي حنيفة وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه أنا من الشيعة وهذه شهادته

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة والنقلة وأحوالهم مثل كتب يحيى بن سعيد القطان وعلي بن المديني ويحيى بن معين والبخاري وابي زرعة وابي حاتم الرازي والنسائي وابي حاتم بن حبان وابي احمد بن عدي والدارقطني وابراهيم بن يعقوب الجوزجاني ويعقوب بن سفيان والعجلي والعقيلي والموصلي والحاكم النيسابوري والحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة نقاد ولهم المعرفة التامة باحوال الاسناد علم أن المعروف عندهم بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف ، حتى ان أصحاب الصحيح كالبخاري وغيره لم يرووا عن أحد من قدماء الشيعة مثل عاصم بن ضمرة والحارث الاعرج وعبد الله بن سلمة ، مع ان هؤلاء من خيار الشيعة ، وانما يروون حديث علي عن أهل بيته كالحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وكاتبه عبيد الله بن ابي رافع . وعن أصحاب ابن مسعود كعبيدة السلماني والحارث بن قيس وأشباههم وهؤلاء أئمة النقل ونقاده من ابعد الناس عن الهوى ، وأخبرهم بالناس ، وأقولهم بالحق ، لا يخافون في الله لومة لائم

ولهذا قال احمد بن حنبل رحمه الله لما قيل له ان ابن ابي قتيلة يقول ان أصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق

وقال بعضهم : اذا رأيت من يبغض احمد بن حنبل فاعلم انه مبتدع ، واذا

رأيت من يبغض يحيى بن معين فاعلم انه كذاب، ولا يبغض يحيى بن معين ويتكلم فيه وفي أمثاله إلا من هو من أهل الكذب

فصل

وأما قوله : ونشأ من هذا الافتراق الامر العظيم وهو استمرار لعن علي عليه السلام على المنابر حتى قطعه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

فيقال : اما لعن علي رضي الله عنه فانما فعله طائفة قليلة من بني أميـة وهم عند أهل السنة ظلمة فسقة ، وأهل السنة ينكرون عليهم ذلك بألسنتهم ويروون الاحاديث الصحيحة في فضائل علي

وذلك انهم أرادوا وضعه عنـد الناس ، وحط رتبته ومحبته من قلوبهـم فجازاهم الله بنقيض قصدهم ، ورفعه الله، وأظهر أهل السنة والجماعة فضائله، وحدثوا بها الناس ، فاشتهرت عند العامة فضلا عن الخاصة ، وجميع أهل السنة يحبونه ويوالونه رضي الله عنه . فلما زالت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس في سنة ثنتين وثلاثين ومائة انقطع لعن علي رضي الله عنه

وأما قول المعترض: ان ابن تيمية روى في منهاجه انه استمر لعن علي إلى زمانه ، وأما في أيامه فقد انقطع، فهذا كذب ظاهر على ابن تيمية رحمه الله، وقلة حياء فيمن نسب ذلك اليه ، ومنهاج السنة موجود عندنا ولم يذكر هذا فيـه ، وابن تيمية أجل من أن يخفى عليه هـذا الامر الواضح الذي يعرفه أدنى من له معرفة بالسير والتواريخ ، وانه انقطع من الشام وغيره من بلاد الاسلام

ثم ظهرت الدولة العباسية وانقطعت الدولة الاموية في أيام السفاح الذي كان هو أول ملوك بني العباس ، وقتل مروان الملقب بالحمار الذي هو آخر ملوك بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة

وأعجب من هذا قوله: إن ابن تيمية أيضاً روى في منهاج السنة أن كثيراً من علماء السنة والجماعة حكموا بتخطئة علي في حروبه إلا احمد بن حنبل امام الشيعة عند التحقيق، فانه قال: من خطأ عليا في حروبه فهو كحمار أهله . انتهى معنى كلام ابن تيمية

والجواب أن يقال : ان هذا من الكذب الظاهر على ابن تيمية وعلى احمد ابن حنبل رحمهما الله ، وهذا نص لفظ ابن تيمية في المجلد الاول من كتاب منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية قال رحمه الله:

« ولهذا اضطرب الناس في خلافة علي على أقوال ، فقالت طائفة إنه امام، وان معاوية امام ، وانه يجوز نصب امامين في وقت واحد اذا لم يمكن الاجتماع على امام واحد ، وهذا يحكى عن الكرامية وغيرهم ، وقالت طائفة لم يكن في ذلك الزمان امام عام ، بل كان زمان فتنة، وهذا قول طائفة من أهل الحديث البصريين وغيرهم. ولهذا لما أظهر الامام احمد التربيع بعلي في الخلافة وقال: من لم يربع بعلي فهو أضل من حمار أهله، أنكر طائفة من هؤلاء وقالوا قد أنكر خلافته من لا يقال فيه هو أضل من حمار أهله، يريدون من تخلف عنها من الصحابة . واحتج احمد وغيره على خلافة علي بحديث سفينة عن النبي ﷺ « تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا » وهذا الحديث قد رواه أهل السنن كابي داود وغيره. وقالت طائفة ثالثة علي هو الامام وهو مصيب في قتاله لمن قاتله، وكذلك من قاتله من الصحابة كطلحة والزبير كلهم مجتهدون مصيبون، وهذا قول من يقول: كل مجتهد مصيب، كقول البصريين من المعتزلة وابي الهذيل وابي هاشم ومن وافقهم من الاشعرية كالقاضي ابي بكر وابي حامد ، وهو المشهور عند ابي الحسن الاشعري ، وهؤلاء أيضاً يجعلون معاوية مجتهداً مصيبا في قتاله كما ان عليا مصيب . وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب احمد وغيره ذكره ابو عبد الله بن حامد . وذكر لاصحاب احمد في المقتتلين يوم

الجمل وصفين ثلاثة أوجه (أحدها) كلاهما مصيب (والثاني) المصيب واحد لا بعينه (والثالث) ان عليا هو المصيب ومن خالفه مخطيء

«والمنصوص عن احمد وأئمة السنة انه لا يذم أحد منهم، وان عليا أولى بالحق من غيره . أما تصويب القتال فليس هو قول أئمة السنة بل هم يقولون ان تركه كان أولى ، وطائفة رابعة تجعل عليا هو الامام وكان مجتهداً مصيبا في القتال، ومن قاتله كانوا مجتهدين مخطئين. وهذا قول كثير من أهل الكلام والرأي من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ، وطائفة خامسة تقول ان عليا مع كونه كان خليفة وهو أقرب الى الحق من معاوية فكان ترك القتال أولى . وينبغي الامساك عن القتال لهؤلاء وهؤلاء فان النبي ﷺ قال « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الساعي » وقد ثبت انه ﷺ قال في الحسن « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين» فأثنى على الحسن بالاصلاح . ولو كان القتال واجبا أو مستحبا لما مدح تاركه ، قالوا وقتال البغاة لم يأمر الله به ابتداء ولم يأمر بقتال كل باغ بل قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فأمر اذا اقتتل المؤمنون بالاصلاح بينهم ، فان بغت احداهما على الاخرى قوتلت ، قالوا ولهذا لم يحصل بالقتال مصلحة، والامر الذي لم يأمر الله به لابد أن يكون مصلحته راجحة على مفسدته. وفي سنن ابي داود: ثنا الحسن بن علي ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد بن سيرين قال قال حذيفة : ما أحد من الناس تدركه الفتنة الا انا اخافها عليه الا محمد بن مسلمة ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تضره الفتنة » فهذا يبين ان النبي ﷺ أخبر ان محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة وهو ممن اعتزل في القتال فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية كما اعتزل سعد بن ابي وقاص واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر

وابو بكرة وعمران بن حصين واكثر السابقين الاولين. وهذا يدل على انه ليس هناك قتال واجب ولا مستحب، إذ لو كان كذلك لم يكن ترك ذلك مما يمدح به الرجل بل كان من فعل الواجب أو المستحب أفضل ممن تركه. ودل ذلك ان القتال قتال فتنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال« ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الموضع»[١] وأمثال ذلك من الاحاديث الصحيحة التي تبين ان ترك القتال كان خيرا من فعله من الجانبين ، وعلى هذا جمهور ائمة الحديث والسنة . وهذا هو مذهب مالك والثوري واحمد وغيره. وهذه اقوال من يحسن القول في علي وطلحة والزبير ومعاوية . ومن سوى هؤلاء من الخوارج والروافض والمعتزلة فمقالتهم في الصحابة نوع آخر، فالخوارج يكفرون علياً وعثمان ومن والاهما والروافض يكفرون جمهور الصحابة ومن والاهم أو يفسقوهم ويكفرون من قاتل عليا ويقولون هو امام معصوم، وطائفة من المروانية تفسقه وتقول انه ظالم معتد. وطائفة من المعتزلة تقول قد فسق إما هو واما من قاتله ، لكن لا يعلم عينه . وطائفة أخرى منهم تفسق معاوية وعمرو بن العاص دون طلحة والزبير وعائشة» انتهى ماذكره الشيخ تقي الدين بن تيمية في منهاج السنة

فانظر رحمك الله بعين الانصاف الى كلام هذا الامام ، ثم أنظر الى كلام المعترض يتبين لك تحريفه للكلم عن مواضعه، فان ابن تيمية انما ذكر ان جمهور أئمة السنة يرون ان ترك قتال علي أولى من القتال ؛ وان تركه أحب الى الله والى رسوله لاحاديث الرسول ﷺ في الحسن ابن علي وغيره الدال على هذا المعنى ، وتقدمت الاشارة الى بعضها

---

(١) الموضع كالمسرع وزنا ومعنى

وأما تخطئتهم عليا في ذلك فحاشا وكلا، بل كثير من أهل السنة والجماعة يرون ان عليا مصيب في قتاله لمعاوية ومن معه وكلهم متفقون على انه أقرب الى الحق وأولى به من معاوية ومن معه ،وأما ماذكره عن احمد بن حنبل فانما أراد احمد بذلك : ومن لم يجعل عليا رابع الخلفاء الراشدين . وقال :من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله

وأما لفظ المعترض الذي ذكره عن احمد :ان من خطأ عليا في حروبه فهو كحمار أهله ،فليس هذا لفظ احمد ولا هو معنى كلامه ولا ذكره الشيخ ابن تيمية رحمه الله عن احمد ، ولكن نعوذ بالله من التعصب واتباع الهوى اللذين يصدان عن اتباع الحق ، ويحملان على كتمان الحق ولبسه بالباطل . وقد نهى الله سبحانه في كتابه عن هاتين الخصلتين فقال تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

ومن العجب ان هذا المعترض وأشباهه يعلمون ان الحسن ابن علي رضي الله عنه وغيره من أهل البيت يرون ان ترك القتال اولى من فعله وأحب إلى الله والى رسوله كما اختاره كثير من أهل السنة والحديث ، ومع هذا ينكرون على أهل السنة ذلك مع زعمهم انهم من شيعة اهل البيت ، ويزعمون ان اهل السنة يبغضون اهل البيت ومن والاهم. وقد كذبوا فان أهل السنة والحديث أولى باتباع اهل البيت منهم وهم شيعتهم على الحقيقة ، لانهم سلكوا طريقتهم واتبعوا هديهم ، وقد قال تعالى لليهود والنصارى لما ادعى كل طائفة منهم ان ابراهيم كان منهم (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا)

فصل

﴿ الاقوال والآراء في قتال الحسين (رض) ليزيد ﴾

وأما قوله: ومما نشأ من هذا الافتراق ان كثيراً من علماء اهل السنة والجماعة حكموا بان الحسين بن علي باغ على يزيد بن معاوية

فيقال: قد اختلف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وكذلك أهل البيت، فذهبت طائفة من أهل السنة رضي الله عنهم من الصحابة فمن بعدهم كسعد بن أبي وقاص واسامة ابن زيد ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وغيرهم وهو قول احمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الحديث - إلى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان ان قدر على ذلك وإلا فبالقلب فقط ولا يكون باليد وسل السيوف والخروج على الائمة وان كانوا أئمة جور. واستدلوا باحاديث صحاح عن رسول الله ﷺ منها ما اخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فانه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية» وفي لفظ «من فات الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية» وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية» الحديث

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال: قلت يارسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال «نعم» فقلت فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال «نعم وفيه دخن» قلت وما دخنه؟ قال «قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» فقلت: فهل بعد ذلك الخير شر؟ قال «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها» فقلت: يارسول الله صفهم لنا. قال «نعم. قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا» قلت: يارسول الله

فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال «فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً

وذهبت طائفة أخرى من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين ثم الأئمة بعدهم الى أن سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يقدر على ازالة المنكر الا بذلك . وهو قول علي بن أبي طالب وكل من معه من الصحابة رضي الله عنهم كعمار بن ياسر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وغيرهم وهو قول أم المؤمنين ومن معها من الصحابة كعمرو بن العاص والنعمان بن بشير وأبي العادية السلمي وغيرهم ، وهو قول عبدالله بن الزبير والحسين بن علي ، وهو قول كل من قام على الفاسق الحجاج كعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير وأبي البختري الطائي وعطاء السلمي والحسن البصري والشعبي ومن بعدهم كالناسك الفاضل عبد الله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر وعبيدالله بن حفص بن عاصم وسائر من خرج مع محمد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومع أخيه ابراهيم بن عبدالله ، وهشيم بن بشير والوراق وغيرهم

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه عن طاوس عن ابن عباس قال استشارني الحسين بن علي في الخروج الي العراق ، فقلت : لولا أن يزري بي وبك الناس لنشبت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذي رد علي أن قال : لأن أقتل في مكان كذا أحب الي من أن أقتل بمكة ، قال : وكان هذا الذي سلى نفسي عنه . وقال غير واحد عن شبابة بن سوار : حدثنا يحيى بن اسماعيل بن سالم الاسدي قال سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر انه كان بمكة فبلغه ان الحسين بن علي قد توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال أين تريد ؟ قال العراق واذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال ابن عمر لا تأتهم ، فأبى

فقال ابن عمر : اني محدثك حديثا «ان جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وذلك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم الا للذي هو خير لكم» فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل

وقال ابو سعيد الخدري : غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له: اتق الله في نفسك، ولا تخرج على امامك، والزم بيتك . وقال أبو واقد الليثي بلغني خروج الحسين فأدركته فناشدته الله أن لا يخرج فانه يخرج في غير وجه خروج انما يقتل نفسه، فقال لا أرجع

وقال جابر بن عبد الله : كلمت حسينا فقلت له: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمدتم ما صنعتم، فعصاني . وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسينا لم يخرج لكان خيراً له، وكتب اليه المسور بن مخرمة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير: الحق بهم فانهم ناصروك، إياك ان تبرح الحرم، فانهم إن كان لهم بك حاجة فسيضربون اليك آباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة، فجزاه خيراً، وقال أستخير الله في ذلك

وكتب اليه عبد الله بن جعفر بن ابي طالب كتابا يحذره أهل الكوفة، ويناشده الله أن يشخص اليهم، فكتب اليه الحسين «اني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله ﷺ وأمرني بأمر انا ماض له ولست بمخبر بها أحداً حتى ألاقي عملي»

وذكر محمد بن سعد رحمه الله بأسانيده: انه لما بايع معاوية الناس ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له . وكان أهل الكوفة يكتبون اليه يدعونه الى الخروج اليهم في خلافة معاوية، كل ذلك يأبى عليهم، فقدم منهم قوم الى محمد بن الحنفية يطلبون اليه ان يخرج معهم فأبى وجاء الى الحسين يعرض عليه امرهم، فقال له الحسين إن القوم انما يريدون ان يأكلوا بنا، ويستطيلوا بنا، ويسيطوا دماء الناس ودماءنا

فأقام الحسين على ماهو عليه من الهموم مدة يريد ان يسير اليهم ، ومدة يجمع الاقامة عنهم ، فجاءه ابو سعيد الخدري فقال : ياابا عبد الله اني لكم ناصح ، واني عليكم مشفق ، وقد بلغني انه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج اليهم فلا تخرج اليهم،فاني سمعت اباك بالكوفة يقول « والله لقد مللتهم وملوني ، وابغضتهم وابغضوني »

وكلمه في ذلك ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فلم يطع احداً منهم وصمم على المسير

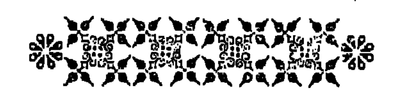
وقال له ابن عباس : والله اني اظنك ستقتل بين نسائك وولدك كما قتل عثمان فلم يقبل منه

وكذلك اخوه محمد بن الحنفية نهاه عن ذلك واعلمه ان الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين ان يقبل فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث معه أحداً منهم حتى وجد حسين في نفسه على محمد

والمقصود من هذا ان ابن عباس وغيره من الصحابة أنكروا على الحسين خروجه على يزيد ونهوه عن ذلك خوفا عليه مما جرى عليه وعلى أهل بيته، ولكن لا راد لما قضى الله

وما جرى على الحسين رضي الله عنه وعلى أهل بيته مما يعظم الله به أجورهم ، ويرفع به درجاتهم رضي الله عنهم أجمعين .

واهل السنة يبغضون يزيد ومنهم من يلعنه ، ليس كما يظنه المعترض فيهم ويرميهم به من بغضهم عليا واهل بيته ، يعرف ذلك كل من طالع كتب القوم



فصل

﴿ بيان مذهب الزيدية من البدع ﴾

«وأقوال المحدثين في الامام زيد بن علي وبراءتهم من الشيعة»

واما قوله (ومن عجائب الانحراف عن آل محمد ان عالم اهل السنة والجماعة الذهبي لما عدد في ميزانه المذاهب الاسلامية قال : ماسمعناه عن يحيى بن معين — وللزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب أهل البدع. فهذا يخبرك بان علماء اهل السنة والجماعة لم يعرفوا طريقة اهل بيت رسول الله ﷺ الى آخره)

فيقال : هذا من اعظم الجهل فان علماء اهل السنة والجماعة خصوصا أئمة الحديث كيحيى بن معين وأشباهه من أخبر الناس باحوال الرجال ويقولون الحق الذين يدينون الله به لايخافون في الله لومة لائم، فاذا كان للزيدية مذهب ينسبونه الى زيد بن علي — وأهل العلم يعرفون كذبهم وافتراءهم عليه في ذلك — بينوه اذا كان ذلك مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه علماء اهل البيت كعلي وابن عباس ، وليس كل من انتسب إلى احد من اهل البيت اوغيرهم من الائمة يكون صادقا في انتسابه اليهم ونقله عنهم ، فهؤلاء الروافض الذين يسبون الشيخين وجمهور الصحابة ويكفرونهم ينتسبون إلى علي وأولاده ، ويقولون : نحن شيعة آل محمد، أفكانوا صادقين في ذلك ؟ كلا بل هم اعداؤهم حقاً، واهل البيت برآء منهم ، وكذلك اليهود والنصارى ينتسبون إلى أنبيائهم ويزعمون انهم على دينهم وعلى طريقتهم ، وهم قد باينوهم أشد المباينة

وكذلك أهل البدع من هذه الامة ينسبون مذاهبهم الباطلة إلى رسول الله ﷺ او إلى اصحابه، وكلام علماء اهل الحديث والسنة في زيد بن علي وأمثاله من علماء اهل البيت معروف مشهور .

قال ابو حاتم البستي: لماذ كر قتل زيد بن علي بالكوفة قال : كان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم ، وكانت الشيعة تنتحله انتهى.

ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة الى رافضة وزيدية، فانه لما سئل عن ابي بكر وعمر فترحم عليهم رفضه قوم، فقال : رفضتموني ، فسموا رافضة لرفضهم اياه ، ولا يبغض علماء اهل الحديث ويتكلم فيهم الا من هو من اهل البدع والكذب والفجور . وقد تقدم كلام احمد في ابن ابي قتيلة لما قيل له ان أصحاب الحديث قوم سوء ،فقام احمد ينفض ثوبه ويقول : زنديق زنديق، يعني انه لا يتكلم فيهم إلا من هو منافق لان الله حفظ بهم الدين ، وميزوا بين صحيح الاخبار وسقيمها ولهذا قال احمد بن هارون الفلاس : اذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين فاعلم انه كذاب يضع الحديث

وقال ابن حجر في كتاب تهذيب التهذيب في معرفة الرجال: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب أبو الحسين المدني روى عن أبيه وأخيه وابي جعفر الباقر وابان بن عثمان وعروة بن الزبير وعبيد الله بن ابي رافع ،روى عنه ابناه حسين وعيسى وابن أخيه جعفر بن محمد والزهري والاعمش وشعبة وسعيد بن هشيم [1] واسماعيل وزبيد اليامي وزكريا بن ابي زائدة وعبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن ابي ربيعة وابو خالد عمرو بن خالد الواسطي وابن ابي الزناد، وعده ابن حبان في الثقات . وقال : روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقال السدي عن زيد بن علي « الرافضة حربي وحرب أبي في الدنيا والآخرة »

وروى الحافظ ابو الحجاج المزي باسناده عن الفضل بن مرزوق قال سألت عمر بن علي وحسين بن علي: هل فيكم انسان مفترضة طاعته؟ فقال لا ، والله ما هذا فينا من قال هذا فهو كذاب، فقلت لعمر بن علي رحمك الله انهم يزعمون أن النبي

(١) في تهذيب التهذيب : سعيد بن خيثم

ﷺ أوصى الى علي، وان عليا أوصى الى الحسن، وان الحسن أوصى الى الحسين، وان الحسين أوصى الى ابنه علي ، وابنه علي أوصى الى ابنه محمد بن علي؟ فقال «والله لقد مات أبي فما أوصى بحرفين ، مالهم قاتلهم الله، والله ان هؤلاء إلا متأكلة بنا»

وقال يحيى بن سعيد الانصاري : سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي رأيته يقول « أحبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً»

فانظر رحمك الله الى مانقله أهل العلم عن أهل البيت علي بن الحسين وأولاده يتبين لك أن الشيعة من الرافضة والزيدية هم المنحرفون عن آل محمد لا أهل السنه والحديث

فصل

وأما قوله (وياليت شعري هل سمع ابن معين من رسول الله ﷺ انه عد مذهب أولاده من البدع ؟)

فهذا من عظيم جهل المعترض وافترائه على ابن معين وغيره من أهل السنة والجماعة ، فان ابن معين لم يقل ان مذهب زيد بن علي وآبائه وأجداده من البدع بل قال ما نقله عنه المعترض : والزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب أهل البدع . يعني بذلك الزيدية الذين ينتسبون إلى زيد بن علي وليسو على طريقته ومجرد الانتساب إلى زيد أو غيره من أهل البيت لا يصير به الرجل متبعاً لطريقتهم حتى يعرف طريقتهم ويتبعهم عليها ، كما قال الحسن البصري رحمه الله في قوله ﷺ « المرء مع من أحب» ان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم فلا تغتروا .

وابن معين رحمه الله سمع حديث رسول الله ﷺ انه قال « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» فهذه كلمة جامعة بين فيها ﷺ ان كل من أحدث مايخالف أمر الله ورسوله فهو مردود عليه. وكذلك قوله في حديث العرباض بن

سارية « وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » والرسول ﷺ أعطي جوامع الكلم، فأفاد أمته وأعلمهم صلوات الله وسلامه عليه «ان كل بدعة ضلالة»

فاذا تبين لأهل العلم ان طائفة من طوائف الزيدية أو غيرهم خالفوا ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه — بينوا للناس أنهم اهل بدعة وضلالة لئلا يغتر بهم الجاهل كما بينوا فساد مذهب الرافضة المنتسبين الى علي وأولاده ، وكذلك بينوا فساد مذهب القدرية المنكرين ان يكون الله خالق اعمال العباد وقدرها عليهم، وكذلك بينوا فساد مذهب الخوارج الذين كفروا علياً وعثمان ومن والاهما ، وهم مع ذلك ينتسبون الى الرسول ﷺ والى ابي بكر وعمر ويتولونهما ويستدلون بآيات من القرآن لاتدل على ما قالوه

وهذا الجاهل يظن ان من انتسب الى زيد بن علي وغيره من اهل البيت لا يذم ولا يعاب، ولو خالف الكتاب والسنة. وهذا جهل عظيم لايمتري فيه إلا من اضله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، نعوذ بالله من الخذلان

فصل

﴿ الشيعة المعتدلون من أئمة الحديث ﴾

وأما قوله (وممن رموه بالتشيع أهل السنة والجماعة المذكورون علي بن المديني شيخ البخاري وعبد الرزاق الصنعاني وأحمد بن عقدة والدارقطني والحاكم الخ)

فيقال : هذا مما يبين لك معرفة اهل الحديث بأحوال الرجال وبعدهم عن التعصب والهوى ، وهؤلاء الأئمة الذين عددتهم هم عند اهل السنة والجماعة من أئمة العلم يقتدون بهم ، ويأخذون عنهم ، ويرحلون اليهم، ولو كان فيهم بعض التشيع الذي لا يخرجهم عن ان يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم ، والتشيع الذي

لايخرج صاحبه عن الحق لايذم به صاحبه ولا يخرجه عن اهل السنة والجماعة، فان لفظ التشيع ليس مذموما في الشرع ، بل قال تعالى لما ذكر نوحا عليه السلام قال بعده (وان من شيعته لابراهيم) أي من أهل دينه، وانما صار مذموما عند أهل السنة لما كان أهل البدع كالرافضة وأمثالهم الذين يسمون أنفسهم الشيعة يقولون نحن شيعة آل محمد، وهم قد كذبوا في ذلك بل هم أعداؤهم لانهم خالفوا هديهم وسلكوا غير طريقتهم

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء، انما وليي الله وصالح المؤمنين »

فصل

﴿ افتراء الشيعة على أهل السنة الانحراف عن آل البيت وتولي الدول الجائرة ﴾

وأما قوله (وسبب انحراف من ذكر عن أهل البيت وشيعتهم انهم تولوا اليوم الدول الجائرة وأطاعوهم وصححوا ولايتهم واستدلوا على ذلك باحاديث كثيرة رووها ، فلما سمعها أهل بيت رسول الله ﷺ وجدوها مخالفة لكتاب الله تعالى في قوله (إني جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتي ؟ قال لاينال عهدي الظالمين) وقوله (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ونظروا في الاحاديث الموجبة لطاعة أئمة الجور فوجدوها قد رواها خصومهم تقريرا لمذهبهم ،وردوها للقاعدة التي قررها أهل الاصول وأهل الحديث في انه لا يجب على الخصم قبول رواية خصمه فيما يقرر مذهبه الذي يرى خصمه انه عنده بدعة)

فيقال: الجواب عن هذا الكلام من وجوه (أحدها) ان هذا كذب على

أهل السنة والجماعة لايمتري فيه أحد عرف مذهبهم ، وطالع كتبهم ، فانهم لم ينحرفوا عن أهل البيت ، بل من أصول الدين عندهم محبة أهل البيت النبوي وموالاتهم والصلاة عليهم في الصلاة وغيرها ، ولو ذهبنا نذكر نصوصهم في ذلك لطال الكلام جداً

(الثاني) أنهم لم يتولوا الدول الجائرة كما ذكره هذا المعترض ، بل هم يبغضونهم ويكرهونهم ويسمونهم ظلمة وأئمة جور ، وانما أوجبوا طاعتهم اذا أمروا بطاعة الله ورسوله ويستدلون على ذلك باحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ منها أنه قال « على المرء السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، وانه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا ويموت ميتة جاهلية »

والاحاديث في هذا المعنى كثيرة من رواية أهل البيت وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد ثابتة بنقل العدول من أهل الحديث

(الوجه الثالث) ان أهل السنة والجماعة لم يصححوا ولايتهم إلا اذا تولوا على الناس وبايعهم على ذلك أهل الشوكة وأهل الحل والعقد ، فاذا كان كذلك صحت ولايته ، ووجبت طاعته في طاعة الله ، وحرمت طاعته في المعصية ، ولكن لايجوزون الخروج عليه ، ومحاربته بالسيف لان ذلك يئول إلى الفتن العظيمة ، وسفك الدماء ، والهرج الكثير ، هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وهذا القول هو الذي تدل عليه النصوص النبوية ، وعليه كثير من أهل البيت

(الوجه الرابع) ان قوله في الاحاديث التي يستدل بها أهل السنة على السمع والطاعة لولي الامر : فلما سمعها أهل البيت وجدوها مخالفة لكتاب الله - كذب ظاهر على أهل البيت عليهم السلام ، فان كثيراً من أهل البيت مذهبهم مذهب

أهل السنة والجماعة في هذه المسئلة ، هذا الحسن بن علي رضي الله عنه الخالع لماوية رضي الله عنه وبايعه ، وأمر كل من بايعه وبايع أباه بمبايعة معاوية ، والسمع والطاعة له ، وهو عند هذا المعترض وأمثاله من أئمة الجور. وأما عند أهل السنة والجماعة فهو من خيار ملوك الاسلام وأعدلهم وأحسنهم سيرة ، ونهى أخاه الحسين عند موته عن طاعة سفهاء الكوفة .

وهذا ابن عباس وهو من أئمة أهل البيت نهى ابن عمه الحسين رضي الله عنه عن الخروج، وكذلك محمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم، وهؤلاء من أئمه أهل البيت وقد تقدم النقل عنهم بذلك . وذكرنا من رواه من الائمة

(الوجه الخامس) ان أهـل السنة رحمهم الله بينوا ان هـذه الاحاديث المروية عنهم في السمع والطاعة لولي الامر هي الموافقة لكتاب الله حقا لاتخالفه بل القرآن يصدقها ويدل على مادلت عليه، لان الجميع من عند الله. والرسول ﷺ أعلم بكتاب الله من أهل البدع ، وكذلك اصحابه واهل بيته. قال العلماء: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن ، وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، واخبر ان من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد أمر الله بطاعة أولي الامر في القرآن فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم)الآية، قال أئمة التفسير: هم العلماء والامراء

(الوجه السادس)ان هذه الآيات التي ذكر انها تخالف هذه الاحاديث قد بين أهل التفسير معناها وليس فيها ما يخالف كلام الرسول ﷺ ولا مايدل على مراد هذا المعترض واشباهه من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة ،

ونحن نذكر كلام أئمة التفسير رحمهم الله في هذه الآيات لنبين بطلان ماذهب اليه هذا المعترض .

قال أبو حيان رحمه الله في تفسيره المسمى بالبحر: والعهد - يعني في الآية -

الامامة، قاله مجاهد، أو النبوة قاله السدي، أو الامان، قاله قتادة، وروي عن السدي واختاره الزجاج، أو الثواب، قاله قتادة ايضا، أو الرحمة، قاله عطاء، أو الدين، قاله الضحاك والربيع، اولا عهد عليك لظالم ان تطيعه في ظلمه، قاله ابن عباس، أو الامر من قوله (ان الله عهد الينا ــ الم أعهد اليكم) أو إدخاله الجنة من قوله « كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة » أو طاعتي [١] قاله الضحاك، أو الميثاق، أو الامانة، والظاهر من هذه الاقوال انها الامامة لانها هي المصدر بها، فأعلم الله ابراهيم عليه السلام ان الامامة لا تنال الظالمين. انتهى كلامه

وقد جمع لك كلام المفسرين في هذه الآية في هذا المختصر ولم يذكر أحد من المفسرين ان الآية تدل على الخروج على ولي الامر ومقاتلته بالسيف وأنه لا يطاع إذا أمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وأهل السنة أهل عدل وانصاف واتباع للحق لانهم لم يأمروا بطاعة ولي الامر في المعصية بل امروا بطاعته إذا أمر بطاعة الله، فاذا أمر بالمعصية فلا سمع له ولا طاعة. لكن لا يجوزون الخروج عليه (٢) ولا يكون عندهم اماما في الدين إذا كان ظالما. والآية تدل على ان الظالم لا يكون اماما في الدين، وليس فيها ما يدل على انه إذا غصب الناس وتولى عليهم وصار معه أهل الشوكة وأهل الحل والعقد لا تجوز طاعته في الطاعة ومبايعته، فيتبين بما ذكرنا ان هذه الآية ليس فيها دليل على ما ذهب اليه أهل البدع والله أعلم.

واما الآية الثانية التي احتج بها وهي قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) فقال أبو العالية: في معنى لا تركنوا إلى الذين ظلموا

---

(١) هذا تفسير لكلمة (عهدي) من الآية وبقية الالفاظ تفسير للعهد فيها غير مضاف

(٢) لان خروج الناس عليه والشوكة بيده مدعاة للفتن الداخلية واقتتال الامة بما يجعل بأسها بينها ويقوي اعداءها عليها، ولكن عدم طاعتها له في المعصية تضطره الى التزام الشريعة. واما اهل الحل والعقد فيجب عليهم اقرار الامامة في قرارها الشرعي إذا قدروا

فتمسكم النار . قال المعنى لا ترضوا باعمالهم . وقال ابن عباس : معنى الركون لميل، وقال السدي وابن زيد : لا تداهنوا الظلمة وقال سفيان : لا تدنوا من الذين ظلموا، وقال جعفر الصادق (الى الذين ظلموا) إلى انفسهم فانها ظالمة، وقيل لا تشبهوا بهم. ذكر هذه الاقوال كلها ابو حيان النحوي في تفسيره البحر ، ولم يذكر أحد من المفسرين ان الآية تدل على ان الظالم إذا تولى على الناس وقهرهم بشوكته وسلطانه لا تصح ولايته ، ولا تجوز طاعته، إذا امر بطاعة الله، وجميع أهل السنة والجماعة متفقون على ان الركون الى الظلمة لا يجوز على ما فسره علماء التفسير، كابن عباس وابي العالية ، فلا يجوز الميل اليهم ، ولا الرضا باعمالهم التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وكذلك لا تجوز مداهنتهم ، بل ينكر عليهم ما فعلوه من المنكر بلسانه اذا قدر على ذلك ، فان لم يقدر انكره بقلبه ، كما في الحديث المرفوع أنه لما ذكر الظلمة قال «من انكره فقد سلم، ومن كره فقد برىء، ولكن من رضي وتابع » [1] فتبين بما ذكرناه ان الآية لا تدل على ما ذهب اليه هذا المعترض ومن نحا نحوه من أهل البدع

واما الآية الثالثة وهي قوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال أهل التفسير (المضلين) يعني الشياطين لانهم الذين يضلون الناس (عضدا) قال قتادة: اعوانا يعضدونني اليها، والعضد كثيراً ما يستعمل في معنى العون، وذلك ان العضد قوام اليد، ومنه قوله (سنشد عضدك باخيك) أي سنعينك ونقويك به، فهذا إخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الانصار والاعوان، والله تبارك وتعالى لا يحتاج إلى إعانة أحد من خلقه ، بل هو الغني عما سواه، وكل ماسواه فقير اليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فهل في هذه الآية مايدل على مقصود هذا المعترض الجاهل بوجه من الوجوه

(الوجه السابع) ان يقال : احتجاجه بهذه الآيات على معارضة الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ في السمع والطاعة لولي الامر ومناصحته من جنس

(١) أي فهو المذنب المؤاخذ

احتجاج الخوارج واشباههم على بطلان ولاية علي وامامته ، بقوله تعالى (لئن اشركت ليحبطن عملك) وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) وانما أتوا من قلة معرفتهم بتفسير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن جنس احتجاج الرافضة ومن نحا نحوهم على كفر الصحابة وظلمهم بقوله تعالى (من يرتد منكم عن دينه) وكذلك احتجاجهم على امامة علي بعد رسول الله ﷺ بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية ، وكذلك احتجاج الجهمية والمعتزلة على نفي الصفات الواردة في القرآن والسنة بقوله تعالى (هل تعلم له سميا) وقوله (ليس كمثله شيء) وكل هذه الآيات لا تدل على ماذهبوا اليه ، وانما تدل على ما أجمع عليه سلف الامة وأئمتها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، لان القرآن يصدق بعضه بعضا ، وكذلك الاحاديث يصدق بعضها بعضا والسنة الصحيحة لا تخالف الكتاب لان الجميع من مشكاة واحدة (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

(الوجه الثامن) أن يقال قوله (ونظروا في الاحاديث الموجبة لطاعة أئمة الجور فوجدوها قد رواها خصومهم عنه) كذب ظاهر ، وتمويه على الجهال الاصاغر ، فان الاحاديث التي فيها السمع والطاعة لولي الامر قد رواها جماعة كثيرة من الصحابة من أهل البيت وغيرهم ، ولم يردها علماء اهل البيت بل تلقوها بالقبول كما تقدم النقل عنهم بذلك[1] وبينا ان اهل البيت اختلفوا في جواز الخروج على أئمة الجور

(١) بقي شيء آخر وهو أن رواة الاحاديث الذين دونوها ومحصوا اسانيدها ليسوا خصوما فيها لآل البيت ولا للشيعة وغيرهم من المبتدعة بل يروون عن كل من ثبت عندهم عدالته في الرواية وان كان مخالفا لهم في بعض الاصول والفروع لا يتعصبون لمذهب أحد في الرواية فالمجتهد منهم يروي كل ماسمعه من الرواة ويتبع ماصح عنده بحسب فهمه ومن نشأ على مذهب كالذهبي والمزي وابن حجر العسقلاني لا يأبى ان يصحح ماخالف مذهبه وأن يضعف ماوافقه ، فتمحيص الاسانيد عندهم مقدم على كل شيء . وعلماء الشيعة المتعصبون من الزيدية والامامية يعلمون هذا ولكنهم يوهمون عوامهم ان حفاظ الحديث خصوم لهم ليقطعوا طريق الادلة الصحيحة عليهم

فمنهم من يرى ذلك ويفعله ، ومنهم من لا يرى ذلك ولا يفعله ، بل ينهى عنه ويكرهه ، ولو لم يكن إلا فعل الحسن رضي الله عنه لكفى به تكذيبا لما حكاه هذا المعترض ، ولكن هذا وأشباهه من اهل البدع ينتسبون إلى اهل البيت وينقلون مذاهبهم الباطلة عنهم فينسبونها اليهم ، ويكذبون عليهم ، ولا يميزون بين الصدق والكذب، فلا نقل صحيح ، ولا عقل مليح، نسأل الله العفو والعافية

فصل

(في اهواء الشيعة والخوارج في حديث الردة وحديث الوصية بآل البيت)

واما قوله : (ولقد قرر هذا الواقع على اهل بيت رسول الله ﷺ ماحذر عنه الامة والصحابة من لاينطق عن الهوى ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال «انكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا». الحديث وكذلك حديث ابن مسعود وما في معناهما، وكذلك قوله : وقد فسر هذين الحديثين للذين ذكرهما ﷺ بمخالفة كتاب الله عز وجل ، واهل بيت رسول الله ﷺ ما أخرجه الطبراني في الكبير عن زيد بن ارقم قوله ﷺ « اني لكم فرط » الحديث وما في معناه من الاحاديث)

فالجواب عن ذلك من وجوه (أحدها) ان يقال حديث ابن عباس وحديث ابن مسعود المتفق عليهما وما في معناهما من الاحاديث الصحيحة(١)قد رواها أهل العلم ، وفسروها بان المراد بها الذين ارتدوا بعد موت رسول الله ﷺ فقاتلهم ابو بكر الصديق والصحابة معه ، كاصحاب مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة ومن معهم من قبائل العرب ، فجهز ابوبكر رضي الله عنه الجيوش وأمر عليهم خالد بن الوليد ، وقاتلهم حتى قتل منهم على الردة جماعة كثيرة ، ودخل

(١) التي فيها أن بعض من يرد عليه ﷺ الحوض تذودهم الملائكة ويعللون طردهم بقولهم له ﷺ إنك لاتدري مما أحدثوا بعدك فيقول « بعدا لهم وسحقا »

بقيتهم في الاسلام طوعا وكرها، وظهر مصداق ماأخبر الله به في كتابه حيث قال (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية . قال الحسن البصري رحمه الله: هم والله ابوبكر واصحابه

وقد روى البخاري في صحيحه تفسير ذلك بما ذكرنا فقال في ترجمة مريم من (احاديث الانبياء) قال الفربري عن ابي عبدالله البخاري عن قبيصة قال: هم الذي ارتدوا على عهد ابي بكر فقاتلهم ابو بكر، يعني حتى قتلهم وماتوا على الكفر قال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وانما ارتد قوم من جفاة الاعراب ممن لا بصيرة له في الدين ، وذلك لايوجب قدحا في الصحابة المذكورين

قال الحافظ ورجح عياض والباجي وغيرهما ماقاله قبيصة راوي الخبر ،ولا يبعد أن يدخل في ذلك أيضا من كان في زمنه من المنافقين، كما في حديث الشفاعة « وتبقى هذه الامة فيها منافقوها» فدل على انهم يحشرون مع المؤمنين

(الوجه الثاني) ان يقال : الخوارج ومن سلك سبيلهم يحملون هذه الاحاديث على علي رضي الله عنه ومن والاه ، ويقولون انهم ارتدوا واشركوا فكما انهم مخطئون ظالمون في ذلك فكذلك الروافض والشيعة الذين يحملون هذه الاحاديث على أصحاب رسول الله ﷺ كابي بكر وعمر وجمهور الصحابة، أو على معاوية ومن قاتل معه عليا، بل قولهم أظهر فساداً وابعد عن الحق والصواب من قول الخوارج ، فان كان كلامهم صحيحا فكلام الخوارج أقرب إلى الصحة

(الوجه الثالث) ان أهل البيت الذين ذكروا في حديث زيد بن أرقم ومافي معناه هم قرابة رسول الله ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة قال : علي وآل جعفر وآل العباس وآل أبي لهب، كما اخبر بذلك زيد بن أرقم وهو راوي الخبر كما ذكر ذلك مسلم في صحيحه والامام احمد في مسنده وغيرهما من اهل الحديث وهذا لفظها وروايتهما: حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ابي حيان التيمي حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم الى زيد بن أرقم،

فلما جلسنا اليه قال له حصين: لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً حدثنا يازيد ماسمعت من رسول الله ﷺ فقال: ياابن أخي والله لقد كبر سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوه، ومالا فلا تكلفونيه. ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوما خطيبا بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال «أما بعد: ألا ايها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، واني تارك فيكم ثقلين: اولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال «وأهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال نعم.

فانظر رحمك الله إلى كلام الصحابي راوي الخبر، وإخباره ان اهل البيت كل من حرم الصدقة بعده[1] والرافضة والشيعة تحمل هذه الاحاديث على آل علي خاصة

(الوجه الرابع) ان يقال هذه الاحاديث أكثرها مطعون في صحتها لاتقوم بها حجة. والصحيح منها لايدل على مقصود هذا المعترض وأشباهه من اهل البدع، وذلك لان مدلولها يعم اهل البيت، كآل علي وآل العباس وآل عقيل وآل جعفر وغيرهم ممن حرمت عليه الصدقة، وتدل على ان إجماعهم حجة وانهم لايجمعون على مخالفة كتاب الله وسنة رسوله. وأما اذا اختلفوا لم يكن قول أحدهم حجة على الآخر بل يجب الرد عند التنازع إلى الله والى الرسول كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

---

(١) والتحقيق انهم بنو هاشم وبنو المطلب

(الوجه الخامس) ان يقال الذين ظلموا اهل البيت وقتلوهم او أحداً منهم هم عند أهل السنة والجماعة أئمة جور وظلم لايحبونهم ولا يوالونهم بل يبغضونهم ويعادونهم ، ويلعنون من ظلمهم . وهذه كتبهم محشوة بالثناء على أهل البيت والدعاء لهم والترضي عنهم ، وذم من ظلمهم ، ولو ذهبنا نذكر نص كلامهم لطال الكتاب جداً

فتبين بما ذكرنا ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الحق الذي لايجوز العدول عنه ، وان مذهب الرافضة والزيدية هو المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، ولما اجمع عليه اهل البيت النبوي . والله أعلم

فصل

﴿ في تفسير (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ﴾

واما قوله (واما أدلة السائل وحجته على ان معتمده وطريقه إلى جده ﷺ أهل الحق، أعني أهل البيت سلام الله عليهم في الكتاب والسنة . أما الكتاب فآيات قد أضاء نورها، أولها قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقوله (قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ووجه الدلالة ان الله لايأمر بمودة من ليس على الحق ـ إلى آخره)

فيقال هذا من تمويهه على الجهال الذين لايميزون بين الحق والباطل ، وليس كل من احتج بالقرآن يدل على مااحتج به عليه وانما يعرف معاني القرآن والسنة أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان كابن عباس رضي الله عنهما وعلي بن الحسين ومن شابههم من أهل العلم الذين يعرفون مراد الله ورسوله

وقد صح عن ابن عباس انه فسر قوله تعالى (قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) بان المراد بذلك أن يصلوا مابينهم وبين رسول الله ﷺ من قرابة ويكفوا عنه الاذى ويدعوه يبلغ رسالات ربه ، كما قال البخاري في صحيحه: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبدالملك بن ميسرة

سمعت طاوسا عن ابن عباس انه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير، قربى آل محمد. فقال ابن عباس عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال «إلا أن تصلوا ما بيني و بينكم من القرابة» انفرد به البخاري. ورواه الامام احمد عن يحيى القطان عن شعبة به. قال ابن كثير: وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعوفي ويوسف ابن مهران وغير واحد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي رواه الطبراني باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم » وروى الامام احمد باسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته» هكذا روى قتادة عن الحسن البصري عن ابن عباس مثله، وهذا كأنه تفسير بقول ثان وقول ثالث، وهو ما حكاه البخاري وغيره عن سعيد بن جبير ما معناه انه قال: معنى ذلك أن تودوني في قرابتي، اى تبروهم وتحسنوا اليهم. قال ابن كثير: والحق تفسير الآية بقول حبر الامة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس كما رواه عنه البخاري[1] ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والامر بالاحسان اليهم واحترامهم

(١) نعم هذا هو الحق وما عداه باطل مخالف لنصوص القرآن القطعية الناطقة بان رسل الله تعالى لم يسألوا على تبليغ وحي الله ودينه أجرا بل صرحوا بان أجرهم على الله وحده كما تراه في قصص الرسل في سورتي هود والشعراء وغيرهما وما كان خاتم النبيين بدعا من الرسل فما ينبغي له وهو افضلهم ان يسأل قومه أجرا على تبليغ الدين ان يودوا قرابته واكثر البشر يسعون ويكدحون لاجل أولي قرباهم وقد حكى الله تعالى عنه ذلك كما حكى عنهم في سور الانعام ويوسف والفرقان وسبأ وص والشورى وفيها استثناء (الا المودة في القربى) وهو استثناء منقطع قطعا لئلا تختلف مع بقية الآيات التي جاءت على أصل العقيدة في سائر الرسل عليهم السلام. فمعناها: لا اسألكم عليه أجرا مطلقا ولكن أسألكم المودة في القرابة وصلة الرحم بيني وبينكم كسائر الاقربين. كما استثنى في آية الفرقان (الا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا)

واكرامهم ، فانهم من ذرية طاهرة ، وأشرف بيت وجد على ظهر الارض فخراً ، وحسباً ونسباً . ولا سيما اذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذويه . ثم ذكر ابن كثير رحمه الله الاحاديث في وصية رسول الله ﷺ بهم وساقها من وجوه متعددة

فصل

﴿ في تفسير (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وتحريف الشيعة لها ﴾

وأما قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره . هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً . اما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .

وروى ابن ابي حاتم باسناده عن ابن عباس في قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت في نساء النبي ﷺ . وقال عكرمة من شاء باهلته أنها نزلت في ازواج النبي ﷺ ، فان كان المراد أنهن سبب النزول دون غيرهن فهذا حق ، وإن كان المراد انها لاتعم غيرهن ففي هذا نظر ، فانه قد وردت أحاديث تدل على ان المراد أعم من ذلك ، ثم ساق الاحاديث بطولها . انتهى معنى ما ذكره ابن كثير .

ومن تدبر القرآن لم يشك ان نساء النبي ﷺ داخلات في قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لان سياق الكلام معهن[1] ولهذا قال

(١) التحقيق المتبادر من الايات انها في نساء النبي وحدهن دون غيرهن وانما ذكر الضمير في قوله (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لدخوله (ص) معهن في ذلك ولكون ما اريد من التشديد عليهن بهذه الوصايا وحكمته هو تطهير بيته (ص) مما يدنسه بانحرافهن عن صراط التقوى (برأهن الله من ذلك) ومن المعلوم بالبداهة أن الرجل لايلحقه من العار بارتكاب احد اولاد عمه لفاحشة ما مثل ما يلحقه باقتراف زوجه للفاحشة

بعد هذا كله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي واعملن بما أنزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتادة وغير واحد من المفسرين وعائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن ابيها أولاهن بهذه النعمة ، وأحظاهن بهذه الغنيمة ، فانه لم ينزل على رسوله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها ، كما نص على ذلك رسول الله ﷺ . قال بعض العلماء لانه لم يتزوج بكراً غيرها ، ولم ينم معها رجل في فراشها غيره ﷺ ، فناسب أن تخص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه المرتبة العلية

والمقصود ان هذه الآية تناقض مذهب هذا المعترض وترد عليه وتنادي ببطلان مذهبه من وجوه كثيرة (منها) انها عامة في جميع أهل البيت كآل العباس وآل جعفر وآل الحارث بن عبد المطلب ، وهو انما يظن أن المراد بها آل علي خاصة . ومنها أن أزواجه داخلات في جملة أهل البيت ، وهم يزعمون ان عائشة ومن معها من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مخطئون عاصون في قتالهم علياً وأصحابه (ومنها) أنه ليس فيها دليل على عصمة أهل البيت ، لان العلماء رحمة الله عليهم ذكروا أن الارادة في القرآن نوعان: إرادة شرعية دينية ، وإرادة قدرية كونية . فالاولى كقوله في هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وقوله (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) الآية وقوله (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) وأخبر أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ويطهرهم ، وفيهم من تاب ومن لم يتب ومن تطهر ومن لم يتطهر ، فلا يكون فيها دليل على العصمة ولا الامامة(١)

وأما الارادة الكونية القدرية فكقوله (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) الآية . وقوله (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) وقوله (وإذا اردنا ان نهلك قرية) الآية

(١) ومثله في حكمة الرخصة في الصيام (يريد الله بكم اليسر) الاية

وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) الآية . وهذه هي الكلمات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر .

ولفظ (الرجس) أصله القذر ، ويراد به الشرك كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ويراد به الخبائث المحرمة كقوله (أولحم خنزير فانه رجس) ونحن نقطع أن الله أذهب عنهم الرجس والخبائث ، فمن تاب وقع ذنبه مكفراً أو مغفوراً له فقد طهره الله تطهيراً ،

فتبين مما ذكرنا ان الآيات التي احتج بها قد أضاء نورها في بطلان ما ذهب اليه هذا المعترض وهو المطلوب

فصل

﴿ في أهواء الشيعة في مناقب أحاديث آل البيت ﴾

وأما قوله (وأما الاحاديث ففي الترمذي عن زيد بن أرقم قوله ﷺ «اني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي» الى آخره، وكذلك حديث أبي سعيد الذي أخرجه ابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد ، وكذلك حديث أبي ذر « مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه » الى آخره ، وكذلك حديث ابن الزبير ، وكذلك حديث أبي سعيد وغيره مما ذكر)

(فالجواب) أن يقال : قد تقدم الجواب عن حديث الثقلين وما في معناه قريباً ، وبينا انها لا تدل على مقصود هذا المعترض بل تدل على نقيض مقصوده وانما تدل على أن إجماع اهل البيت حجة وانهم لا يجمعون على باطل ، لان الله عصمهم من ذلك كما عصم هذه الامة أن تجتمع على ضلالة . وهذا قول طائفة من أصحاب احمد وغيره ، ذكره القاضي في المعتمد

ومن العجب قوله قال بعض اهل التحقيق ان حديث الثقلين متلقى بالقبول

والامة مجمعة على صحة هذا الحديث . وهذا كذب ظاهر ، فان حديث زيد بن ارقم الذي في صحيح مسلم الذي فيه ذكر الثقلين قد طعن فيه غير واحد من اهل العلم بالاحاديث والاخبار ، كأبي حاتم الرازي وأبي داود السجستاني ، فأهل الحديث اختلفوا في صحته ، فصححه بعضهم وطعن فيه بعضهم فضلا عن جميع الامة

وأما الاحاديث الأخرى التي ذكرها فليست في دواوين الاسلام المعتمدة كالصحيحين والسنن الاربعة ، وانما يرويها بعض اهل الحديث المتأخرين الذين يروون الصحيح والضعيف والموضوع ، وعلى تقدير صحتها فليس فيها حجة على العصمة ولا على الامامة لانها عامة في جميع أهل البيت . ومعلوم أن بني العباس من أهل البيت وهم عند هذا المعترض من أئمة الجور والظلم ، فمدلول هذه الاحاديث يناقض مذهب هذا المعترض وأشباهه من أهل البدع والله أعلم

فصل

وأما قوله (فلنرجع إلى الكلام على السؤال والجواب واظهار مافيه من خطا وصواب) وقوله في الجواب (اعلم أن قولنا في هذه الآيات وما أشبهها من آيات الصفات الواردة في القرآن العزيز والاحاديث الواردة في الصحاح وغيرها هو مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين إلى آخره ، ثم قال معترضاً عليه : أقول قد تحجرت واسعاً . قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فقد جعلت سيد المرسلين الذى هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك ، وللمتسمين باهل السنة والجماعة خاصة ، وأضفته إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وجعلتهم سلفاً لك ولاهل نحلتك ، فيا ليت شعرى أين تضع أهل بيت رسول الله ﷺ وقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدهم ﷺ وأصحابه وتابعيهم لما فسروا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ماتقتضيه لغة العرب ، فقد قال تعالى

(قرآنا عربيا غير ذي عوج) فلقد فرقت بين النبي ﷺ وآله وقطعت ما وصله الله ورسوله، وخالفت قوله ﷺ فيما قاله لعلي «اما[1] تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت، والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرياتنا خلف أزواجنا» أخرجه الثعلبي واحمد في المناقب، وفي رواية أخرى أخرجها بعد ذكر الذرية «وأشياعنا عن أيماننا وشمائلنا» إلى آخره

(فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والزور والظلم أنواع كثيرة (الاول) قوله قد تحجرت واسعا، قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولأهل مذهبك. وهذا كذب ظاهر على المجيب لانه لم يخص أحداً معينا بل أخبر ان مذهبه في هذه الآيات وما أشبهها من الاحاديث مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، فهذا كلامه صريحا في تكذيب هذا المعترض

(الثاني) قوله: فقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك، وهذا أيضاً كذب ظاهر على المجيب لان ظاهر كلامه على صريحه يناقض ماذكره هذا المعترض، وكل من اتبع كتاب الله وسنة رسوله من جميع الطوائف فهو عنده من أهل الرحمة الناجين، ولا يخالف في هذه المسئلة أحد من أمته ﷺ لا من أهل السنة ولا من أهل البدعة، وانما الشأن في تحقيق هذه الدعوى بالعمل وقد قال تعالى في كتابه (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الآية فدلت هذه الآية الكريمة على ان كل من أطاع الله ورسوله من الاولين والآخرين فهو من أهل الجنة الناجين

(الثالث) قوله والمتسمين باهل السنة والجماعة خاصة. وهذا أيضاً كذب على المجيب، لان الذي ذكر المجيب – كما نقله هو عنه – انه مادرج عليه رسول الله ﷺ

(١) كذا في الاصل ولعله «أما ترضى أن تكون الخ» أو نحو هذا

وأصحابه والتابعون ومن اتبع سبيلهم من الائمة وأهل الحديث وسائر العلماء الذين لهم لسان صدق عند الامة ، وهم أهل السنة. فهذا كلام المجيب بحروفه وهو ظاهر في كذبه وافترائه عليه ، والمجيب يعلم ان كثيراً من أهل البدع يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة وليسوا كذلك، بل هم مخالفون للسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولجماعة أهل الحق ، كالخوارج والمعتزلة الذين يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وهم في الحقيقة اهل ظلم وشرك .

وكذلك الروافض والشيعة الذين يسمون أنفسهم شيعة آل محمد وهم أعداء آل محمد في الحقيقة كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع الانبياء وينتسبون اليهم وهم أعداؤهم حقاً ، ولهذا امتحنهم الله تبارك وتعالى بهذه الآية الكريمة لما ادعوا محبة الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية

(الرابع) قوله فياليت شعرى أين تضع أهل بيت رسول الله ﷺ فقد أخرجتهم عن ان يكون سلفهم جدهم ﷺ وتابعيهم وهذا من أظهر الكذب والفجور على المجيب، لان اهل بيت رسول الله ﷺ هم أئمته وسلفه فيما ذكر لانه بين في كلامه أن مذهبه مادرج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوهم إلى يوم الدين، فاين في هذا انه أخرج اهل بيت رسول الله ﷺ من هذه الجملة، بل صريح كلامه انهم داخلون فيمن انتسب اليهم، لان قوله واصحابه وتابعوهم إلى يوم الدين، يعم فيدخل فيه علي وسبطا رسول الله ﷺ وابن عباس وابوه العباس وغيرهم من اهل البيت الذين اتبعوا سلفهم الصالح، فكيف يقول هذا الكاذب الفاجر ان المجيب أخرجهم من هذه الجملة ؟

وأما قوله فقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدهم ﷺ واصحابه وتابعيهم لما فسروا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ماتقتضيه لغة العرب فقد قال تعالى (قرآنا عربيا غير ذي عوج) فالمجيب انما أخرج من هذه الجملة أهل البدع

والضلال الذين يكذبون على رسول الله ﷺ واهل بيته ، وينسبون اقوالهم الباطلة اليهم، ويتأولون كتاب الله على غير تأويله وعلى غير مافسره به الصحابة والتابعون؛ بل يحرفون الكلم عن مواضعه كفعل اليهود والنصارى كالجهمية والمعتزلة ؛ ومن شابههم من هذه الامة: الخوارج والشيعة الذين يعطلون صفات الله ويصفونه بصفات المعدومات ، ويجحدون ماوصف الله به نفسه او وصفه به رسوله ﷺ، او يتأولونه على غير مادل عليه عند علماء العربية .

والمقصود انه بين في كلامه ان المذهب الصحيح الصواب في مسألة الصفات هو مادرج عليه رسول الله ﷺ واصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، والحق لايخرج عنهم. بل الحق يدور معهم حيث داروا ، لان الطرق كلها مسدودة إلى الله وإلى جنته إلا من طريقه صلوات الله وسلامه عليه. وهذا مجمع عليه بين فرق الامة وإنما الشأن في تحقيق الدعوى وتحقيق المنقول عنه صلوات الله عليه ، والتمييز بين الصحيح والكذب ، واهل العلم كلهم من جميع الفرق يتفقون على أن طريقة اهل التأويل مبتدعة ابتدعها اوائل الجهمية والمعتزلة الذين أخذوها عن الصابئين من المشركين أعداء الاسلام ، ولا تؤثر عن احد من السلف الصالح لا عن رسول الله ﷺ ولا عن اهل بيته ولا عن احد من اصحابه ولا التابعين لهم باحسان، ولما حدثت هذه البدعة في اواخر دولة بني امية امر العلماء - كالحسن البصري وغيره من اهل العلم - بقتل من ابتدعها وهو الجعد بن درهم، فضحى به الامير خالد بن عبدالله القسري بواسط بالعراق، فخطب الناس وقال «ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما» ثم نزل فذبحه لانكاره الخلة والتكليم، وذلك ان اهل البدع يزعمون ان الله لايتكلم ولا يحب خلقه، ولا يخالل احداً ، ويزعمون ان هذا من صفات المخلوقين ، ويتأولون الآيات التي فيها ؛ إن الله يتكلم او يحب أو يتخذ

ابراهيم خليلا على غير مدلولها كما ذكر ذلك أهل العلم من اهل التواريخ وغيرهم، فقد خالفت ماعليه رسول الله ﷺ واهل بيته والتابعون لهم بإحسان ، واتبعت سبيل المبتدعة الضالين ، وذمت طريقة رسول الله ﷺ واصحابه وكل من اتبعهم وزعمت انها تقتضي التشبيه والتجسيم، ومدحت طريقة جهم بن صفوان وجعد بن درهم، وزعمت أنها هي الحق الذي يجب اتباعه ، ونسبتها بجهلك إلى رسول الله واهل بيته . وقد ذكر البخاري رحمه الله في كتابه (خلق أفعال العباد) قصة جهم بن صفوان وجعد بن درهم، وكان جعد أخذ هذا المذهب عن الصابئين، وأخذه عنه الجهم بن صفوان. قال رحمه الله حدثنا قتيبة حدثني القاسم بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن ابيه عن جده قال شهدت خالد بن عبدالله القسري بواسط في يوم الاضحى وقال «ارجعوا وضحوا تقبل الله منكم فاني مضح بالجعد بن درهم، زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً » ثم نزل فذبحه . قال ابو عبد الله بلغني ان جهما كان يأخذ هذا الكلام عن الصابئة

فصل

وأما قوله : فلقد فرقت بين النبي ﷺ وقطعت ماوصله الله ورسوله. فهذا كذب وافتراء على المجيب، لا يمتري فيه ذو قلب منيب، وذلك ان المجيب قرر في كلامه مذهب السلف الصالح وهو ماعليه رسول الله وأصحابه، وذكر الادلة على ذلك من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم . وانما الذي قطع ما أمر الله به أن يوصل وفرق بين رسول الله ﷺ هم أهل البدع والضلال الذين شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، فأولئك يوليهم الله ما تولوا، ويصليهم جهنم وساءت مصيراً، ولو ادعوا اتباعهم ، وانتحلوا طريقتهم كذبا وافتراء عليهم

فصل

﴿ زعم الزيدي ان الوهابي كفر من خالف مذهبه ، وابطاله ﴾

وأما قوله : أولم تدر انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك استناداً إلى الاوزاعي الذي يدعي ان الحق معه ،وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه

(فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والظلم والجهل أنواع كثيرة (الاول) قوله انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك في مسألة الصفات فان الامة اختلفوا في هذه المسائل اختلافا كثيراً ولم يكفر بعضهم بعضاً ، وانما يكفرون من خالف نص كتاب أو سنة ، وقامت عليه الحجة واعتقد أن الحق خلاف ذلك . وأما نحن فلم نكفر أحداً بهذه الامور ، وانما كفرنا من أشرك بالله وعبد معه غيره وقامت عليه الحجة واستهزأ بالدين الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله أو شيء منه أو كرهه وأبغضه . والادلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة كقوله تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال تعالى لنبيه ﷺ (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) الآية . وقال تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وقال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)

(الثاني) قوله استناداً إلى الاوزاعي الذي ادعى ان الحق معه لان الاوزاعي رحمه الله لم يدع أن الحق معه ، بل ذكر ان مذهبه هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وما أجمع عليه التابعون . ومعلوم ان الحق معهم لا يمتري في ذلك مسلم . وإذا تنازع الناس في مسألة من المسائل الاصولية والفروعية فالصواب

والحق مع من كان الدليل معه كائنامن كان

(الثالث) قوله وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه ،لان الاجماع في هذه المسئلة قد حكاه غير واحد من أهل العلم ، كمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وأبي عمر ابن عبد البر وغيرهما ،فثبت عن محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة انه قال «اتفق الفقهاء من الشرق والغرب على أن الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا تشبيه فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة . فمن قال بقول جهم فارق الجماعة » انتهى

فانظر رحمك الله الى هذا الامام كيف حكى الاجماع في هذه المسئلة ؟ ولا خير فيما خرج عن إجماعهم ولو لزم التجسيم عن السكوت عن تأويلها لفروا منه فانهم أعرف الامة بما يجوز على الله وما يمتنع عليه . وثبت عن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصابوني انه قال « ان اصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد بها رسوله ﷺ على ما وردت به الاخبار الصحاح ونقله العدول الثقات ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ولا يكيفونها تكييف المشبهة ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية » وقد أعاذ الله اهل السنة من التحريف والتشبيه ، ومنّ عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتشبيه ، واكتفوا بنفي النقائص بقوله عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وبقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)

فتبين بما ذكرنا بطلان قول المعترض ! استدلالك بما رواه الاوزاعي من الاجماع آحادي ولا يجوز تكفير المسلمين إلا بقطعي المتن والدلالة

فصل

وأما قوله (انك ادعيت أن الذي تذهب اليه ترك التعرض لتفسير آيات الصفات ، والاوزاعي روى خلاف ماتدعي فانه قال . كنا والتابعون نقر بان الله فوق عرشه. وإذا اثبت التابعون والاوزاعي الفوقية لله على العرش فقد فسروا(١) فكأنهم قالوا معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أي كان فوقه، وأنت تقول انك لاتتعرض لتفسير آيات الصفات ، فا الجامع بين كلامك وكلام الاوزاعي والتابعين ؟ فكيف تستدل به على تكفير المسلمين ؟)

(فالجواب) أن يقال هذا الكلام من المعترض مما يدل على جهله وقلة معرفته بكلام الائمة ومرادهم، فان كلام الاوزاعي وغيره من أهل السنة معناه أنهم لايفسرون ولا يكيفون صفات الله كالاستواء على العرش والنزول والمجيء والغضب والرضا والمحبة وغير ذلك من الصفات، فيقولون مثلا في الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة، كما قال الامام مالك ابن أنس رحمه الله، فقيل له ياأبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فاطرق مالك وعلاه الرحضاء -يعني العرق - وانتظر القوم مايجيء منه فرفع رأسه اليه وقال الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج. ومن أول الاستواء بالاستيلاء فذاك هو الذي فسر، وهذا تأويل الجهمية والمبتدعة الضالين وهم أئمة هذا المعترض الذين فارقوا ماعليه أصحاب رسول الله ﷺ وابتدعوا في الدين مالم يأذن به

---

(١) التفسير في اللغة المبالغة في توضيح مافيه خفاء وبهذا المعنى كان يذكره المتقدمون فقول الاوزاعي بعدم تفسير الصفات الالهية أنهم يرونها على ظاهر مدلول اللغة مع اعتقاد تنزيهه تعالى عن مشابهة خلقه

الله ، والدليل على أن مذهب السلف ماذكرنا انهم نقلوا الينا القرآن العظيم واخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها يؤمن بها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها ولم يفسروا مايتعلق بالصفات بتأويل ولاغيره ولاشبهوه بصفات المخلوقين اذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية ، اذلايجوز التواطؤ على كتمان مايحتاج الى نقله ومعرفته، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطىء على نقل الكذب وفعل مالا يحل، بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا انهم كانوا اذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه وزجره ، تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالاعراض الدال على شدة الكراهة لمسئلته ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغا يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل ثم أمر به فضرب ضربا شديدا وبعث به الى البصرة ، وأمرهم أن لايجالسوه فكان بها كالبعير الاجرب لايأتي مجلسا الا قالوا عزمة أمير المؤمنين فتفرقوا عنه. وقال سعيد بن جبير مالم يعرفه البدريون فليس من الدين .

وثبت عن الربيع بن سليمان قال سألت الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله تعالى ، فقال : حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الاوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تتعمق ، وعلى الخواطر ان تحيط ، وعلى العقول أن تعقل الا ماوصف الله به نفسه أو على لسان نبيه ﷺ . وثبت عن الحميدى أبي بكر عبد الله بن الزبير انه قال . أصول السنة فذكر أشياء ـ ثم قال وما نطق به القرآن والحديث مثل (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) ومثل (والسموات مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من القرآن والحديث ولا نزيد فيه ولا نفسره . ونقف على ماوقف عليه القرآن والسنة ، ونقول (الرحمن على العرش استوى) فمن زعم غير هذا فهو جهمي

فمذهب السلف رحمة الله عليهم اثبات الصفات واجراؤها على ظاهرها

ونفي الكيفية عنها، لان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات واثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية ، وعلى هذا مضى السلف كلهم . ولو ذهبنا نذكر ما أطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرج بنا عن المقصود في هذا الجواب، فمن كان قصده الحق واظهار الصواب اكتفى بما قدمنا. ومن كان قصده الجدال والقيل والقال والمكابرة لم يزده التطويل الا ضلالا. والله الموفق للصواب

فصل

﴿ في انكار الزيدي صفة العلو والفوقية لله تعالى والرد عليه ﴾

واما قوله(وأنت ايضا قد ناقضت كلامك بكلامك حيث قلت وذلك مثل وصف نفسه تبارك وتعالى بانه فوق السموات مستو على عرشه فقد فسرت كتاب الله واثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم ، وليست الفوقية مذكورة في قوله (الرحمن على العرش استوى)

(فالجواب) أن يقال قد ذكرنا ان تفسير الصفات الذي نفيناه في كلامنا ، وذكرنا نفيه عن السلف هو تأويل آيات الصفات وأحاديثها بتأويلات الجهمية والمعتزلة الذين يفسرون الاستواء بالاستيلاء والفوقية بالقهر ، واليد بالنعمة ، وما أشبه ذلك، ويفسرونها بتفسير المشبهة الذين يقولون استوى كاستواء المخلوق على سريره ، ويفسرون اليد بالجارحة كجارحة المخلوق فكل هذا من التفسير المردود المبتدع المحدث في الدين ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف باسناد صحيح ولا ضعيف حتى ان المخالفين لهم في ذلك يقرون بان مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها امرارها كما جاءت من غير تعرض لتفسير او تأويل مع نفي التشبيه عنها ويقولون هذا أسلم . وأما مذهب الخلف فهو تأويلها وتفسيرها بما يليق بالله سبحانه فحصل الاتفاق من الموافق والمخالف على ان مذهب السلف ما ذكرنا ولله الحمد والمنة

وأما وصف الرب بالفوقية فقد صرحت الآيات الكريمات بذلك وكذلك الاحاديث الثابتة المتواترة ، وأجمعت عليه الامم عربهم وعجمهم لان الله فطرهم على ذلك إلا من شذ واجتالته الشياطين عن فطرته التي فطره الله عليها ، وهذا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين ثم عامة كلام سائر الامة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله هو العلي الاعلى ، وانه فوق كل شيء ، وانه عال على كل شيء ، وانه فوق العرش ، وانه فوق السماء مثل قوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - إني متوفيك ورافعك إلي - أأمنتم من في السماء - تعرج الملائكة والروح اليه - يخافون ربهم من فوقهم - ثم استوى على العرش) في ستة مواضع إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة

ياسبحان الله، كيف لم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ، ولا أحد من سلف الامة: هذه الاحاديث والآيات لا تعتقدوا ما دلت عليه لكن اعتقدوا الذي تقتضي مقاييسكم فانه الحق ، وما خالفه فلا تعتقدوه وانفوه . ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في اصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وانما الرسالة زادتهم شقاء وضلالا ، ونحن لم نصف الله بالفوقية وانما هو سبحانه هو الذي وصف نفسه بذلك، فبطل قول المعترض وكلامه صريح بانه اتبع ماقاله الله ورسوله، وان الله هو الذي وصف نفسه بذلك .

وأما قوله فقد فسرت كتاب الله - فهذا كذب وافتراء على المجيب، يعرفه كل منصف لبيب، وهذا المعترض لا يستحي من كثرة الكذب، نعوذ بالله من ارتكاب الهوى والتعصب على الباطل للذين يصدان عن اتباع الحق وإرادته .

وقوله: وأثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم - كذب ظاهر، لان إثبات الفوقية لا يلزم منه ذلك عند من قال به ، والله سبحانه وتعالى اعلم من خلقه بما يجوز عليه وما يمتنع عليه، ولكن هذا شأن اهل البدع والضلال، يردون ماجاء

به الرسول ﷺ من عند الله بهذه الامور القبيحة، كما ان الجهمية أنكروا تكليم الله لموسى عليه السلام وغيره من خلقه، وزعموا ان القرآن مخلوق، قالوا لان الكلام إذا أطلق على ظاهره يلزم منه الجسم، وكذلك أنكروا رؤية الله في الآخرة، وزعموا ان المرئيات لاتكون إلا جسما، ولهذا لما ظهرت الفتنة في امارة المأمون العباسي وامتحن العلماء بالضرب والحبس على أن يقولوا القرآن مخلوق، وأن الله لايرى في الآخرة، وجرى امور عظيمة، وقتلوا بعض العلماء، وضربوا الامام احمد لما امتنع من القول بذلك، ولما ناظره برغوث تلميذ حسين النجار بان الله لو كان متكلما لكان جسما، قال الامام احمد: لاأدري ماتقولون، ولكن أقول (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فأجابهم الامام احمد بطريقة الانبياء واتباعهم وهو الاعتصام بكتاب الله، وترك البدع والمقاييس التي لم يأت بها كتاب ولا سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (إن رواياتك عن الاوزاعي مرسلة لم تذكر طريقها ولا مخرجها ولا من صححها فكيف تكفر بها المسلمين ؟)

(فالجواب) ان يقال هذا المعترض لايعرف معنى المرسل عند أهل الحديث ولا يميز بينه وبين المنقطع أو المعضل، لان هذا لايسمى مرسلا، وانما المرسل ما أرسله التابعي عن النبي ﷺ وسقط الصحابي كما اذا روى سعيد بن المسيب و الزهري او الحسن او مكحول وأمثالهم عن النبي ﷺ. وأما مثل هذا فلا يسمى مرسلا وانما يسمى معضلا او منقطعاً. ويقال أيضا استنادنا في هذه المسئلة ليس إلى قول الاوزاعي خاصة ولا إلى قول من هو أجل من الاوزاعي، وانما استنادنا في هذه المسئلة وأمثالها من صفات الله إلى نصوص الكتاب والسنة

واجماع أهل العلم من السلف الصالح ،فقد نقل الاجماع في هذه المسئلة غير واحد كما تقدم التنبيه عليه

وقوله : فكيف يكفر بها المسلمين ؟ فياسبحان الله ! كيف تفتري الكذب الظاهر على المجيب ؟فقد بينا فيما تقدم اننا لم نكفر أحداً بالجهل في هذه المسئلة أعني تأويل آيات الصفات وأحاديثها ومخالفة ماعليه السلف ، ولا نكفر إلا من أنكر ماعلم مجيء الرسول ﷺ به ضرورة

فصل

وأما قولك(ان الاوزاعي الراوي لذلك الاجماع قد ناقض نفسه فقد حكى عنه الذهبي انه قال لانعلم أحداً ينسب إلى القدر من التابعين أجل من الحسن ومكحول رحمهما الله)

فالجواب: ان هذا المعترض لايعرف المناقضة لان اثبات القدر او نفيه من باب اثبات فعل العبد لله تعالى او نفيه، لامن باب تفسير الصفات وتأويلها. والذي ذكره الاوزاعي عن التابعين اثبات الصفات لله تبارك وتعالى وعدم تفسيرها وتأويلها، فأين في هذا ماينافض ماذكره الاوزاعي في قوله: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته،وقد رواه البيهقي وغيره باسناده عن الاوزاعي

واثبات خلق الله تعالى للاشياء المخلوقة لاينازع فيه أحد من الناس حتى عبدة الاوثان يقرون بذلك كما أخبر الله عنهم بقوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض — إلى قوله — ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وانما نازع من نازع من المعتزلة في فعل العبد خاصة . فالمعتزلة ينكرون ان الله خالق أفعال العباد خيرها وشرها

وفي صحيح مسلم ان أول من قال ذلك بالبصرة معبد الجهني، فلما ذكر ذلك لعبد الله بن عمر تبرأ منه. واستدل على اثباته بما سمعه من رسول الله ﷺ في اثبات القدر حين سأله جبريل عليه السلام عن الاسلام والايمان والاحسان، كما ذكر ذلك مسلم في اول كتاب الايمان من صحيحه . وكذلك ابن عباس ثبت عنه انه تبرأ ممن أنكر ذلك

ومن العجب قوله (وأيضاً ينتقض بما روي عن عامر الشعبي التابعي انه قال إن أحببنا اهل البيت هلكت دنيانا ، وإن أبغضناهم هلك ديننا)

فأين المناقضة في هذا الكلام ياجاهل . وأهل السنة كلهم يحبون آل محمد مع اثباتهم لصفات الله تعالى التي نطق بها القرآن .

فان قلت ان أهل البيت ينكرون هذه الصفات ، ويتأولون ظواهر هذه الآيات طالبناك بصحة النقل عنهم بذلك. وهيهات لان أهل البيت لايفارقون كتاب الله ولا يخالفونه كما ورد في الحديث انه قال « ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض » كما تقدم في حديث زيد بن ارقم وغيره . وأنت لا تنكرن ظواهر الآيات والاحاديث المذكورة فيها صفة الرب بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، كالعلي الاعلى، وانه فوق عرشه استوى ، وانه فوق عباده ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة انه فسر هذه الآيات بتفسير المعتزلة والجهمية الذي يذهب اليه هذا المعترض، ولا قالوا للناس اعلموا ان ظاهر هذه النصوص غير مراد فلا تعتقدوه فانه يقتضي التشبيه والتجسيم ، بل سكتوا عن ذلك ووصى بعضهم بعضاً بالسكوت عنها ، وانما فسرها وتأولها أهل الضلال والبدع وما أحسن ماقال عمر بن عبد العزيز ابن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون : عليك بلزوم السنة فانها لك باذن الله عصمة فان السنة انما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها ، وانما سنها من قد علم ما في

خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضوا به فانهم عن علم وقفوا ، وببصر نا قد كفوا ، ولهم كانوا على كشفها اقوى، وبتفصيلها كانوا أحرى ، وانهم لهم السابقون . وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة . فلئن كان الهدى ماأنتم عليه لقد سبقتموهم ، ولئن قلتم حدث حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم واختار ما نحته فكره على ماتلقوه عن نبيهم ، وتلقاه عنهم من اتبعهم باحسان ، ولقد وصفوا منه مايكفي ، وتكلموا منه بما يشفي ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم مفرط ، لقد قصر دونهم أناس فجفوا ، وطمح آخرون فغلوا ، وانهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم

فصل

﴿ في مسألة القدر واثبات السلف والخلف أهل السنة له ﴾

وأما قوله (وقد روي التكلم في القدر عن محمد بن سيرين وقتادة — إلى قوله — ومن تكلم في القدر فقد تكلم في الصفات، وسواء كان من جانب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكراو من جانب الاشعرية، فمن التابعين من هو سلف للاشاعرة. وقلنا ان التكلم في القدر تكلم في الصفات إذ معناه عند الحسن ومكحول ان الله تعالى متصف بعدم خلق أفعال العباد اي لم يؤثر فيها ، ومن أثبت لله خلق الافعال فقد وصف الله بأنه مؤثر فيها . وهذان المذهبان قد اشتهرا وشاعا في التابعين . فمنهم الذاهب مذهب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكرنا ومنهم الذاهب مذهب الاشعرية)

(فالجواب) من وجوه (احدها) ان يقال : اثبات القدر او نفيه ليس من باب اثبات الصفات ولا تفسيرها عند المثبتين ولا عند النافين كما تقدم التنبيه عليه، وانما ذلك من باب إثبات الفعل والخلق، فالمعتزلة ينفون ان الله قدر افعال العباد ويقولون ان الله لا يقدرها عليهم ثم يعذبهم عليها ، وانما يكون ذلك ابتداء من

عند انفسهم، ويوردون على ذلك شبهات من الكتاب والسنة

وأما السلف وأهل السنة ومن اتبعهم من أتباع الأئمة الاربعة من الاشعرية وغيرهم فيثبتون ان الله قدر افعال العباد وشاءها منهم، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد. ويستدلون على ذلك بالآيات القرآنية الصريحة في ان الله خلق العباد وأعمالهم كقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله (ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وبالاحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة عن رسول الله ﷺ بأن الله قدر اعمال العباد وان كلاً ميسر لما خلق له كما قال تعالى (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

(الوجه الثاني) ان يقال هؤلاء الذين ذكرهم مع المعتزلة كالحسن وابن سيرين ومكحول كلهم قد صح عنهم الايمان بالقدر وإثباته موافقة لأهل السنة وان كان قد نسب إلى بعضهم موافقة المعتزلة فليس كل ماينسب الى شخص يكون ثابتا عنه، فليس مجرد نسبة بعض الناس اليهم ذلك يكون صدقا. وذلك لان المعتزلة انما اشتهر امرهم بعد موت الحسن البصري، لانهم اعتزلوا اصحاب الحسن بعد موته فسموا المعتزلة لذلك وهم الذين يسمون القدرية لانهم ينكرون ان يكون الله تبارك وتعالى قدر افعال العباد وشاءها منهم. وغلاتهم ينكرون ان يكون الله علم ذلك، ومن أنكر علم الله بذلك فقد كفر عند أئمة اهل السنة، ولهذا قال من قال من أئمة اهل السنة: ناظروا القدرية بالعلم فان أنكروه كفروا وان أقروا به خصموا

(الثالث) ان اهل السنة الذين حكينا مذهبهم في الصفات وانهم لا يتعرضون لها بتفسير ولا تأويل بل يثبتونها صفات لله، ولا يلزم من إثباتهم الصفات لله انهم يفسرونها او يتأولونها كما انهم وغيرهم يثبتون لله ذاتا وفعلا وحياة وقدرة

ولا يكيفونها ولا يفسرونها بل يثبتون ما أثبته لنفسه ،ويسكتون عما سكت عنه، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات ، ومذهبهم وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ، فلا يتأولونها تأويل المبتدعة ، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . وقد قال تعالى (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

(الوجه الرابع) ان هذا المعترض جزم في كلامه بأن الحسن ومكحولا ومن ذكر معهم قد ذهبوا مذهب المعتزلة . وهذا كذب ظاهر عليهم ،فان كان مراده ان هؤلاء نسب اليهم القول بمذهب المعتزلة فقد بينا أن مجرد نسبته اليهم لا يلزم منه صحة ذلك عنهم ، والمنقول عنهم في ذلك من موافقة أهل السنة والجماعة في إثبات القدر والايمان به هو الثابت عنهم . وأنت تعلم أن كثيراً من الناس قد نقل عن علي رضي الله عنه وأهل البيت أشياء كثيرة ونسبوا اليهم أقوالا قد برأهم الله منها ،والرسول ﷺ قد نسب اليه اقوال كثيرة وأهل العلم يعرفون انها مكذوبة عليه . ومن هؤلاء المذكورين من تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه كوهب بن منبه كما قال الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه، قال احمد بن حنبل عن عبد الرزاق سمعت أبي يقول «حج عامة الفقهاء سنة مائة وحج وهب بن منبه، فلما صلوا العشاء أتاه نفر فيهم عطاء والحسن بن ابي الحسن وهم يريدون أن يذاكروه في باب من الحمد ، فما زال فيه حتى طلع الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء » قال احمد وكان يتهم بشيء من القدر ورجع

وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان قال سمعت ابن منبه يقول كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الانبياء في كلها : من جعل الى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . فتركت قولي .

فتبين بما ذكرنا أن جزم هذا المعترض بأن هؤلاء الائمة المذكورين يقولون بمقالة المعتزلة كذب ظاهر ، وقول بلا دليل

(الوجه الخامس) ان من المعلوم عند أهل العلم ان أول من تكلم في آيات الصفات وأحاديثها بهذه التأويلات الباطلة المخالفة للظاهر هم المعتزلة والجهمية خاصة . وأما الصحابة والتابعون لهم باحسان فكلهم متفقون على الايمان بها ، والسكوت عن البحث عن كيفيتها

فصل

وأما قوله (فمن أعجب ماسمعنا قولك بأن مذهبك الذي درج عليه رسول الله ﷺ كما هو معنى كلامك فان أهل السنة والجماعة هم الذين ملؤا كتبهم بروايات التجسيم لله تعالى والكيفية في الصفات ، وفسروا صفاته، فلو ادعيت ذلك التنزيه على ما في نفسك لكان أحسن من تحجر الواسع الذي يريد قومك من أهل السنة والجماعة ، فاسمع ما رواه السيوطي في الدر المنثور قال : أخرج ابن جرير والحاكم [1] وابن مردويه « أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر اليه فسأله فقال (لن تراني ولكن انظر الى الجبل) قال فحف حول الجبل الملائكة وحف حول الملائكة بنار، وحف حول النار بملائكة ، وحف حولهم بنار، ثم تجلى ربك للجبل ، تجلى منه مثل الخنصر ، وجعل الجبل دكا فخر موسى صعقاً » الى آخر الحديث الذي في تفسير قوله تعالى (قال رب أرني أنظر اليك) ثم ذكر حديث ابن عباس نحو ماتقدم . وكذلك أخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « لما تجلى الله لموسى كان ينظر إلى دبيب النمل في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ» فهذا في التجسيم والتكييف

(فالجواب) أن يقال : كلام هذا المعترض يدل على رسوخه في الجهل العظيم ، واتباعه لأهل البدع والضلال ، وعداوته لله ورسوله وعباده المؤمنين ، وذلك

(١) راجعت المستدرك للحاكم في تفسير قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) فلم أجده في المستدرك وهو من رواية ابن اسحاق عن بني إسرائيل اهمن هامش الاصل

ان مثل هذا الذي زعم انه تجسيم وتكييف قد ورد ما هو مثله أو أبلغ منه في كتاب الله وفي الاحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فاذا كان هذا عنده تجسيم وتكييف فلازم كلامه ان الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ، وكذلك رسوله ﷺ . ومن زعم هذا فقد انسلخ من العقل والدين .

فاسمع الآن ماذكر الله في كتابه . قال الله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)وقال تعالى (هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك أو ياتي بعض آيات ربك) وقال تعالى (ثم استوى على العرش) في ستة مواضع من كتابه العزيز . وقال تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً)ووصف نفسه بانه يحب عباده المؤمنين . وكذلك وصف نفسه بالغضب والسخط في غير آية من القرآن . وكذلك وصف نفسه بانه سميع بصير ، وبان له يدين كقوله تعالى (لما خلقت بيدي)وقوله (بل يداه مبسوطتان) وبأنه يقبض الارض يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ « ان الله يقبض الارض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يهزهن بيده ، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض » وقال تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة وقد أمرنا الله بتدبر القرآن وتفهمه

اذا تبين هذا فقد أوجب الله تصديق الرسول ﷺ على كل مسلم فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ، كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهم قد أخبروا أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ

عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . ولم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ولا أحد من أصحابه فيما بلغنا أن ظواهر هـذه الايات وما في معناها من الاحاديث تقتضي التشبيه والتكيف والتجسيم فلا تعتقدوها، بل أولوها على التأويلات المستكرهة كما يقول من يقوله من الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل البدع والضلال بل أطلقوا هذه النصوص وبلغوها لجميع الخلق ، ومعلوم أن في زمانهم الذكي والبليد من أهل البادية والحاضرة والرجال والنساء، فلم يقولوا لاحد منهم لاتعتقدوا ظواهر هذه النصوص ولافسروها بما يخالف ظاهرها

فهذا سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ومن اتبعهم باحسان الى يوم القيامة، ومن أعرض عن ذلك واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولى واصلاه جهنم وسأت مصيرا

فصل

﴿في شبهة تأويل بعض السلف للصفات﴾

وأما قوله(وأما تفسير الصفات وتأويلها فروى أيضا السيوطي في الدر المنثور في قوله تعالى(وهو شديد المحال) قال اخرج ابن ابي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى(وهو شديد المحال) قال شديد القوة. وعنه أيضا: شديد المكر والعداوة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضا: شديد الحول. وأخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال: شديد الاخذ. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: شديد الانتقام وأخرج أبو الشيخ عن علي قال: شديد الحقد. وأخرج عبد الرزاق وابن ابي حاتم وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة شديد المحال شديد القوة والحيلة انتهى .

قال المعترض فهؤلاء الاجلة من الصحابة والتابعين قد روى عنهم من هو إمام في حزبك وسلفك السيوطي ما ترى من تفسير الصفات وتأويلها بل روى التجسيم عن سيد المرسلين ﷺ وقد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « سترون ربكم كالقمر ليلة البدر » فهل بعد هذا التكييف من بلاء وعمى؟ نسأل الله لك الهداية والسلامة من نزغات الشيطان

(فالجواب) من وجوه كثيرة (أحدها) أن يقال ماذكرت من رواية السيوطي عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ليس من باب تفسير الصفات وتأويلها الذي ينكره أهل السنة والجماعة، بل فسروها على ظواهر الآيات ووصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ، وهذا من أوضح الدلائل في الرد عليك أيها المعترض وعلى أشباهك المنكرين لصفات الله تعالى، فلم يفعلوا فعل الجاهلية النفاة الذين لم يثبتوا لله صفة ولا فعل الممثلة المشبهة الذين يشبهون صفاته بصفات خلقه

(الوجه الثاني) أن جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان يصفون الله بأنه شديد القوة، وكذلك شديد المكر، وشديد الاخذ، كما وصف نفسه بذلك في غير آية من كتابه كقوله (ان أخذه اليم شديد) وقوله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقال (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال (ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فيمرون هذه الآيات على ظواهرها ويعرفون معناها ولكن لا يكيفونها ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . هذا مجمع عليه بينهم ولله الحمد والمنة

فاين في هذا مايدل على أنهم أولوا صفات الله بتأويلات الجهمية والمعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم ممن أزاغ الله قلبه واتبع المتشابه وترك المحكم؟ كما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله * والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب *

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

جعلنا الله وسائر إخواننا ممن يقول هذه المقالة التي علمنا الله إياها، وأعاذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين .

فاما المغضوب عليهم فيتركون الحق ولا يريدونه مع معرفتهم به. وأما الضالون فالجهال الذين جهلوا الحق فلم يعرفوه بل عملوا على جهل وذكر المفسرون ان المراد من المغضوب عليهم اليهود لانهم عرفوا الحق معرفة تامة وتركوا اتباعه. والمراد بالضالين النصارى لانهم عبدوا الله على جهل ، وقد نزه الله نبيه عن هذين الوصفين فقال تعالى (والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى)

وقد قال سفيان بن عيينة وغير واحد من السلف: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

(الوجه الثالث) ان يقال : قوله بل قد روي التجسيم عن سيد المرسلين ـ كذب ظاهر، لان السيوطي وغيره من اهل السنة ينفون عن الله مشابهة المخلوقات ومماثلة الاجسام المصنوعات، فان قال: ان لازم كلامهم يقتضي التجسيم والتشبيه. قلنا هـذا ممنوع عنـد اهل السنة ، فانهم يقولون : إن إثبات الصفات لله تبارك وتعالى وإثبات رؤيته تعالى لايقتضي ذلك ولا يلزم منه التجسيم ، ولكن هـذا شأن اهل البدع والضلال ، يردون كتاب الله وسنة رسوله بهذه الخرافات الباطلة ، والجهالات والضلالات الكاذبة الفاسدة

(الوجه الرابع) ان يقال : القرآن مملوء من صفات الله تبارك وتعالى وأسمائه الحسنى ، وقصص الانبياء المتضمنة لاثبات الصفات والافعال الاختيارية لله تبارك وتعالى ، كالمجيء والمناداة والتكلم والقبض والبسط والغضب والرضا . أفيقول مسلم او عاقل إن الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ؟ او وصفه به رسله وأنبياؤه؟ فاذا قلتم ان لازم تلك النصوص إثبات التجسيم والتكييف ، فهذه النصوص

الواردة في القرآن أبلغ منها فيما ذكرتم . سبحان الله ما أعجب هذا الجهل. ولازم هذه المقالة أن ظواهر القرآن والسنة تجسيم وتكييف

(الوجه الخامس) ان يقال: قوله قد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « إنكم سترون ربكم » الخ فيقال : هذا حق وصدق تواترت به الاحاديث عن رسول الله ﷺ ودل على ذلك آيات كثيرة من القرآن كقوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)

ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة: انه سبحانه نفى إدراك الابصار له وأثبت له إدراكها ، ونفي الادراك لايستلزم نفي الرؤية ، فمفهوم الآية ان الله يرى ولا يدرك ، وبما ذكرنا فسر الاية حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كما روى ذلك أئمة التفسير عنه، كابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه ، فقلت: أليس الله يقول (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) الآية ،فقال لي : لا أم لك، ذلك نور إذا تجلى بنوره لايدركه شيء ، قال عكرمة لمن قال له لاتدركه الابصار ألست ترى السماء ؟ قال بلى ، قال؟ فكلها ترى (١) ولابن أبي حاتم بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في قوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال : لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفا واحداً ما أحاطوا بالله عز وجل»

ويدل على ذلك قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فسرها أئمة التفسير بان المراد بذلك أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة . ولهذا قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية :

﴿ باب بيان ماجحدت الجهمية ﴾ (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

---

(١) يعني أنها لوكانت ترى كلها لكانت رؤيتها ادراكا فان الادراك هو الاحاطة فنفي الادراك لايستلزم نفي الرؤية التي دون الاحاطة بالمرئي

فقلنا لهم: لم أنكرتم ان أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه لان المنظور اليه معمول موصوف. فقلنا لهم: أليس الله يقول (إلى ربها ناظرة)؟ فقالوا إنما معناه انها تنظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته، وتلوا آية من القرآن (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) المعنى: ألم تر إلى فعل ربك. فقلنا ان فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا انما تنتظر الثواب من ربها، فقلنا انها مع ماتنتظر من الثواب هي ترى ربها.

فقالوا إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه (لا تدركه الابصار) وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله (لا تدركه الابصار) وقال «إنكم سترون ربكم» وقال الله لموسى عليه السلام (لن تراني) ولم يقل لن أرى، فأيهما أولى أن يتبع؟ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال «انكم سترون ربكم» ام جهم حين قال: لا ترون ربكم؟ والاحاديث في ايدي أهل العلم عن النبي ﷺ ان أهل الجنة يرون ربهم، لا يختلف أهل العلم في ذلك.

ومن حديث سفيان عن ابي اسحاق عن عامر بن سعد في قول الله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال: النظر إلى وجه الله. ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال «اذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة ان الله قد أذن لكم في الزيارة، قال فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله لا إله إلا هو»

وانا لنرجو ان يكون جهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله لان الله قال للكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فاذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر؟

فالحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع. انتهى كلام احمد بحروفه ولفظه

وهذا الكتاب الذي نقلت منه هذا الكلام رواه عن احمد أئمة أصحابه

وهو مشهور عند العلماء . وفي هذا مايبين ان هذا المعترض اتبع قول جهم وشيعته وترك ماعليه رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه

ومن العجب انه يدعي ان الامام احمد هو امام الشيعة عند الحقيقة وقد خالف مذهبه في هذه المسئلة وغيرها من مسائل أصول الدين، فكيف بمسائل الفروع ؟ وأعجب من هذا قوله ان رواية هذا الحديث — أعني حديث الرؤية وما شابهه — تكييف وعماء وضلال، فاذا كان موسى عليه السلام قال لربه (أرني أنظر اليك) أفيسأل موسى عليه السلام ماهو تكييف وتجسيم وعماء وضلال ؟ ويكون موسى عليه السلام لا يعرف مايجوز على الله وما يمتنع عليه ويعرف ذلك جهم وشيعته ؟ فلا إله إلا الله ما أقبح هذا الجهل وأبعده عن السداد والصواب عند اولي الالباب! !

وقد صرح بعض شياطين هؤلاء المبتدعة الضلال بان عيسى عليه السلام شبه حيث قال (تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك) وكذلك موسى عليه السلام حيث قال (رب أرني أنظر اليك) وكذلك جهم ذكر البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد بسنده ان جهما قرأ في المصحف ، فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) قال والله لو قدرت لحككتها من المصحف

وذكر ابو الحجاج المزي في (كتاب تهذيب الكمال في معرفة الرجال) ان عمرو ابن عبيد شيخ القدرية قال في حديث الصادق المصدوق المخرج في الصحيحين وغيرهما من كتب الاسلام عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة » الخ فقال: لو سمعت الاعمش يقول هذا لقلت له كذبت ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول ذلك لقلت له كذبت ، ولو سمعت ابن مسعود يقول ذلك ماقبلته ، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك لرددته ، ولو سمعت الله يقول ذلك لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقنا . او كلاما هذا معناه . فنسئل الله العظيم المنان ان لايزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وان يهب لنا منه رحمة انه الوهاب

فصل

وأما قوله (فاركب السفينة وادخل من باب حطة ، حتى تدخل بنور قلبك، حقيقة عاقبة أمرك، وماحصلت عليه من التكفير للمسلمين بسبب الاستناد والركون إلى سلفك، والمتسمين باهل السنة والجماعة ، والحال أنهم قد نقضوا غزلك ، فبينا أنت تأوي إلى كهفهم من انهم لايفسرون ولا يؤولون آيات الصفات، اذ جاءوك بالمدلهمات من التجسيات والتأويلات ، ورووها عمن ركنت إلى اجماعهم وهم التابعون الذين رووه لك عن الاوزاعي فكنت كالساعي إلى مثعب موائلا من سل الراعد ، وانظر هداك الله وتدبر فانك تخوض في بحر الغرق، وهو تكفير أهل الاسلام ، ولم تأو إلى ركن شديد ، ولم تركب سفينة نوح ، فقد أردت أن تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم ، كما نبينه اذا جاء قومك بالقراقر وهو صريح التجسيم والتكييف)

(فالجواب) ان يقال: قد تقدم مايبطل دعواك فيما ذكرت في هذا الكلام بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وهذا الكلام فيه أنواع من الكذب والزور والبهتان يتضح لكل من له أدنى بصيرة من علم وإيمان (منها) قوله وماحصلت عليه من تكفير المسلمين، فأين في كلام المجيب انه صرح بتكفير المسلمين .

(الثاني) قوله والحال انهم قد نقضوا غزلك، فأين فيما ذكرت عنهم أيها الجاهل في النقض على المجيب، وقد بينا ان كلامهم موافق لما ذكره المجيب لامخالف له، وانما فيه النقض عليك وعلى سلفك من المعتزلة والجهمية الذين ينفون صفات الله ويعطلونها عن حقائقها

(الثالث) قوله : فبينا أنت تأوي إلى كهفهم من انهم لايفسرون ولايؤولون آيات الصفات، إذ جاءوك بالمدلهمات من التجسيات والتأويلات. وهذا أيضاً من أظهر

الكذب والفجور عليهم، لان جميع ماذكره عنهم لايدل على التجسيم ولا التأويل الباطل بوجه من الوجوه ، وانما يدل على انهم يصفون الله باسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وهم قد صرحوا بذلك وتحملوا اثمه عنك وعن سلفك طاعة لربهم ومعبودهم ونبيهم ﷺ كما قال القائل :

وعيرها الواشون اني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ويقال لهذا وأشباهه من أهل البدع والضلال: اءنتم اعلم ام الله؟

(الرابع) قوله: فانك تخوض في بحر الغرق وهو تكفير أهل الاسلام فيقال أين في كلام المجيب انه كفر أحداً من المسلمين بتأويل آيات الصفات وأحاديثها ؟ أما تستحي من كثرة الكذب وترداده في السطر الواحد والاثنين والثلاثة والاربعة من كلامك ؟ اما عندكم رجل رشيد ينصح هذا الجاهل ويستر عورته اذا كشفها؟

(الخامس) قوله ولم تأو الى ركن شديد ولا ركبت سفينة نوح . وهذا أيضاً من الكذب والزور والبهتان، لان المجيب قد اوى إلى ركن شديد وركب سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وقد احتج في كلامه بكتاب الله وسنة رسوله وبما اجمع عليه السلف الصالح من صدر هذه الامة

(السادس) قوله: وقد أردت ان تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم- كذب ظاهر لانا قد بينا ان ماوصف الله به نفسه او وصفه به رسوله حق وصدق وصواب ولازم الحق حق بلا ريب، ولا نسلم ان ذلك يلزم منه التجسيم، بل جميع أهل السنة المثبتة للصفات ينازعون في ذلك ويقولون لمن قال لهم ذلك لايلزم منه التجسيم كما لايلزم من اثبات الذات لله تعالى ، والحياة ، والقدرة، والارادة ، والكلام - تجسيم وتكييف عند المنازع

ومعلوم ان المخلوق له ذات ويوصف بالحياة والقدرة والارادة والكلام ومع هذا لا يلزم من إثبات ذلك لله تبارك وتعالى إثبات التجسيم والتكييف تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

ومعلوم ان هذه الصفات في حق المخلوق إماجواهر وإما أعراض . وأما في حقه تبارك وتعالى فلا يعلمها إلا هو ، بلا تفسير ولا تكييف

(السابع) قوله : إذ جاء قومك بالقراقر وهوصريح التكييف والتجسيم، لان ما ذكره عن اهل السنة ليس فيه تصريح بالتجسيم وانما يقول المخالف انه يلزم منه ذلك ، وقد تقرر عند علماء الاصول وغيرهم ان لازم المذهب ليس بمذهب، وهو نفسه ذكر ان ذلك يلزم منه التجسيم ومنازعه يقول لا يسلم له ذلك . ثم في آخر كلامه ، في موضع واحد يقول وهو صريح التجسيم وليس فيما ذكره عن المجيب ولا عن سلفه من اهل السنة ماهو صريح في ذلك ، والصريح في ذلك أن يقول القائل: ان لله جسما كما يقوله بعض أئمة الرافضة كهشام بن الحكم وغيره من اهل الكوفة كما يذكر ذلك عنهم أهل المقالات

فاتق الله أيها الرجل واحذر ان تكون من الذين يفترون الكذب وقد قال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)

فصل

وأما قوله جوابا عن كلام المجيب وهو مادرج عليه رسول الله ﷺ فنقول (هات لنا حديثا واحداً عن رسول الله ﷺ قطعي الدلالة متواتر المتن أو متلقى بالقبول عند الامة بان رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتاويلها حتى يكون حجة لك على من خالفك في تكفيرك له . وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتاويل فانه لايكفيك في تكفير المسلمين، مع انا قد ذكرنا لك ان قومك قد رووا عنه ﷺ التفسير والتاويل والتجسيم، فاختر لنفسك ماتحلو . ولا حول ولا قوة إلا بالله)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال :ان المجيب قدذكر من الادلة القاطعة من الكتاب والسنة ان الله وصف نفسه بالاستواء واليدين والمجيء والرضا والسخط

والغضب والمحبة وغير ذلك من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا، مايشفي ويكفي لمن أراد الله هدايته

(الثاني) انه لم يدع ان معه دليلا حديثاقطعي الدلالة بأن رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتأويلها حتى يقال له هات ما ادعيت .وانما دعواه ان آيات الصفات وأحاديثها قد وردت في الكتاب والسنة ، وتلقاها رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم باحسان بالقبول والتصديق والايمان ،ولم يرد عن أحد منهم لا باسناد صحيح ولا حسن انهم فسروا ذلك أو قال الرسول أو أحد من أصحابه للناس لاتعتقدوا ظواهر هذه النصوص بل تأولوها على ماتقتضيه عقولكم ومقاييسكم ، بل سكتوا عن ذلك وأمروا بتبليغ القرآن والسنة ، وان رسول الله ﷺ قال « بلغوا عني ولو آية » وقال الله لنبيه ﷺ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب — ما على الرسول إلا البلاغ)

(الثالث) انك قد أقررت انه صادق في هذه الدعوى بقولك : وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتأويل فانه لا يكفيك فقد صرحت بأنه ﷺ لم يتعرض لها بتفسير ولا تأويل ،وهو المطلوب . فاذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه قد درجوا على ما ذكره المجيب من إمرارها كما جاءت من غير تعرض لها بتفسير ولا تأويل ،وقد أقررت بذلك ولم تنكره أفلا يسعك ماوسع رسول الله ﷺ وخلفاءه الراشدين المهديين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأولاده والعباس وابنه عبد الله بن عباس والحسن والحسين ابنا علي وأخاهما محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعلماء العترة رضي الله عنهم ؟ فلا وسع الله لمن لا يسعه ماوسعهم فانهم أئمة المتقين ، وهداة الغر المحجلين . وقد قال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر القرآن نزولا (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الاسلام دينا) والاسلام هو ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فما ترك رسول الله ﷺ وسكت عنه وجب على الامة السكوت عنه ، فالامور التي ترك رسول الله ﷺ وأصحابه الكلام فيها يجب على الامة اتباعهم فيها ، كما ان الامور التي فعلها وأمر بها يجب على الامة اتباعه في ذلك . وهذا هو دين الاسلام الذي رضيه الله لهذه الامة حيث قال (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي حديث انه قال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » وقال أبو ذر « لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا ذكر لنا منه علماً » وفي صحيح مسلم وجامع الترمذي وغيرهما عن سلمان انه قيل له : قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان « أجل »

أفليس في هذا بيان للمؤمن ان كل ماحدث بعدهم فليس من دين الاسلام ، بل من البدع والمنكرات العظام ؟ وقد قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وأثنى الله تبارك وتعالى على من اتبع سبيلهم ، واقتفى منهاجهم ، فقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار ، خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم)

(الوجه الرابع) أن يقال : الرسول ﷺ وأصحابه كانوا أقدر على تفسيرها وتأويلها ممن بعدهم فلم يسكتوا عن ذلك إلا لعلمهم بأن الصواب فيما سلكوه ، والحق فيما أصلوه ، فانهم ينابيع العلم ، ومصابيح الدجى ، كما قال عبد الله بن مسعود (رض) « من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الامة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ،

قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم، فانهم كانوا على الهدي المستقيم »

وقال رضي الله عنه ـ لقوم رآهم قد تحلقوا في مسجد الكوفة وواحد منهم يقول لهم سبحوا مائة فيسبحون جميعاً، فاذا فرغوا قال كبروا مائة ، فاذا فرغوا قال هللوا مائة . فجاءهم فلما رأى صنيعهم قال «والذي نفسي بيده لقد فضلتم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً » . قالوا والله ماجئنا ببدعة ظلما ، ولا فضلنا أصحاب محمد علماً . قال «بلى ، والذي نفس ابن مسعود بيده لقد فضلتم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً»

فانظر رحمك الله إلى كلام هذا الامام الذي هو من سادات الصحابة ونجبائهم وفضلائهم: كيف أخبر وأقسم على ذلك بان من فعل مالم يفعله اصحاب محمد فقد جاء ببدعة . نسأل الله أن يرزقنا سلوك طريقهم وسيرتهم وهديهم

(الوجه الخامس) قوله واما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتأويل فانه لا يكفيك في تكفير المسلمين . فيقال هذا كذب ظاهر على المجيب من جنس ماتقدم من كذب هذا المعترض وفجوره، فان المجيب لم يذكر في كلامه تكفير أحد من المسلمين خالفه في هذه المسألة، لان ذلك مما تنازعت فيه الامة، حتى ان طوائف من اتباع الأئمة الاربعة وغيرهم يذهبون إلى تأويل آيات الصفات وأحاديثها وهم من جملة اهل السنة والجماعة، وان كانوا عند المجيب مخطئين في ذلك لان مذهبه وعقيدته اتباع السلف الصالح في السكوت عنها وامرارها كما جاءت مع نفي الكيفية والتشبيه عنها

(الوجه السادس) قوله مع انا قد ذكرنا ان قومك قد رووا عنه ﷺ التفسير والتأويل والتجسيم ـ وهذا كذب ظاهر، فانه لم يذكر فيما نقل عن اهل السنة شيئا مرفوعا إلى النبي ﷺ في تفسير الصفات فضلا عن التأويل والتجسيم

وقد ذكرنا نص كلامه بحروفه ، وجميع مانقله من الدر المنثور عن الصحابة والتابعين من تفسير قوله (شديد المحال) اي شديد القوة او المكر او الحول - قد بينا ان ذلك ليس هو تفسير آيات الصفات وتأويلها الذي وقع النزاع فيه بين اهل الاثبات واهل النفي، بل ذلك من باب وصف الله سبحانه بأسمائه الحسنى ، وصفاته وافعاله اللازمة والمتعدية مع قطع النظر عن معرفة كيفية ذلك اوتأويله بالتأويلات المبتدعة

(الوجه السابع) قوله : فاختر لنفسك مايحلو ولا حول ولا قوة إلا بالله فنقول : قد اخترنا لانفسنا مااختاره الله لنا في كتابه وهو الاقتداء والتأسي بما درج عليه رسول الله ﷺ واصحابه في هذه المسألة وغيرها، كما وصانا الله بذلك في كتابه حيث قال (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة - وقال - اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وقال في آخر السورة (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه باجماع المفسرين، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إذ هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (ثم لايخفى ان المجيب قد جعل اهل السنة والجماعة هم اهل الحديث الذين لم يتكلموا في القدر ، ولم يفسروا آيات الصفات ولا تأولوها ، فنطلب منه التحقيق والافادة، بان يبين لنا من روى من اهل العلم المحقق بان هذا الاصطلاح مخصوص بمن ذكره، فان العلماء مختلفة أقوالهم في اطلاقهم اهل السنة والجماعة كما عرفت)

(فالجواب) ان يقال: المجيب انما ذكر كلاما عاما في ان اهل السنة والجماعة هم الذين اقتفوا ماعليه رسول الله ﷺ واصحابه والتابعون لهم باحسان ، ومعلوم ان اهل الحديث هم اعظم طوائف الامة بحثا ومعرفة بسنة رسول الله ﷺ،وذلك لانهم قد اشتغلوا بذلك وأفنوا أعمارهم في طلب ذلك ومعرفته ،واعتنوا بضبط ذلك وجمعه وتنقيته،حتى بينوا صحيح ذلك من ضعيفه من كذبه ، ولاينازع في ذلك إلا عدو لله ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين

(الوجه الثاني) ان ظاهر كلام المجيب(١)وكلامه يبين انه لم يخص بذلك طائفة معينين بل كل من سلك هذه الطريقة فهو منهم من جميع الطوائف، وهو داخل في قوله: وهم اهل السنة والحديث من هذه الامة

(الوجه الثالث) قوله الذين لم يتكلموا في القدر،وهذا كذب ظاهر على المجيب وعلى أهل الحديث،فان اهل السنة والحديث من هذه الامة يتكلمون في القدر،بمعنى انهم يؤمنون به ويثبتونه ويقولون ان الله قدر أفعال العباد خيرها وشرها،وهو من أصول الايمان عندهم ،كما ثبت ذلك في الصحيحين في حديث جبرائيل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الايمان فأخبره بانه «الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » فهذا هو الذي عليه جماعة اهل السنة والجماعة والحديث ، وعليه يدل كتاب الله والاحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ ولولا خوف الاطالة لذكرنا من ذلك شيئا كثيراً ، وليس هذا موضع بسط ذلك وذكر الدلائل عليه

وأما المعتزلة الذين ينفون ان الله قدر أفعال العباد عليهم او شاءها منهم فهم الذين ينكرون ذلك ومن اتبعهم من الروافض والزيدية الذين ينكرون أن الله قدر أفعال العباد وشاءها منهم

(١) هنا في الاصل . بياض قدر كلمة

(الوجه الرابع) ان الاصطلاح لا حجة فيه عند أهل العلم وغيرهم، فاذا سمى أحد طائفة من الناس بأنهم أهل السنة والجماعة لم يمنع من ذلك الا اذا كانوا مخالفين لما عليه جماعة أهل السنة والجماعة، كأهل البدع الذين يسمون أنفسهم بذلك مع مباينتهم لطريقة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم باحسان

(الوجه الخامس) أن كثيرا من علماء السنة ذكروا أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية التي قال فيها رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما. وذكر البخاري عن علي بن المديني أنهم أهل الحديث وكذلك قال أحمد ابن حنبل «ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟»

فصل

وأما قوله (وأنت خبير ان الطائفة التي أشار اليها سيد المرسلين ﷺ هم أهل بيته، فان الناس أذعنوا لأهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم، فكن أيها المجيب من تلك الطائفة الناطقة بالحق الخارجة عن حزب أهل الشام لتحشر في الطائفة المخالفة لهم، ولا تكن في حزب اهل الشام محبا لهم، فان المرء يحشر مع من أحب)

(فالجواب) من وجوه (احدها) ان الطائفة الناجية جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ بينها لما سئل عنها فقال «من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي» فمن سلك سبيلهم واقتفى منهاجهم وتبعهم باحسان فهو من هذه الطائفة سواء كان من أهل البيت رضي الله عنهم او من غيرهم من جميع الطوائف . ومن خالف ما عليه رسول الله ﷺ واصحابه فهو مع الهالكين سواء كان من اهل البيت او من غيرهم . ولهذا قال تعالى فى نساء النبي ﷺ، وهن من اهل البيت قطعا (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ـ

الى قوله ـ لستن كأحد من النساء ان اتقيتن) الآية. وثبت في الصحيحين انه قال « ان آل ابي فلان ليسوا لى بأولياء وانما وليي الله وصالح المؤمنين » وفي الحديث الصحيح « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » قال تعالى (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) وقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية

(الوجه الثانى) قوله فان الناس اذعنوا لاهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم. وهذا كذب ظاهر يعرفه من له ادنى معرفة بالأخبار والتواريخ ، وذلك لان بني امية قد نازعهم في خلافتهم غير اهل البيت، فنازعهم ابن الزبير حتى تولى على الحجاز والعراق واليمن وغير ذلك من بلاد الاسلام ولم يخرج عن ولايته إلا طائفة قليلة من اهل الشام ، فارسل مروان بن الحكم اليهم ليأخذ بيعته لخلعه واخذ البيعة لنفسه وبايعه كثير من اهل الشام، كما ذكر ذلك ابو محمد بن حزم في سيرته. ثم خرج على مروان كثير من اهل الشام فنازعوه وقاتلوه، ثم جرت وقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان وقتل النعمان بن بشير رضي الله عنهما، والاصح كما قال الذهبي وغيره من اهل العلم، ان مروان لا يعد في امرة المؤمنين، بل باغ خارج على ابن الزبير، ولا عهده على ابنه عبد الملك صحيح، وانما صحت خلافة عبد الملك حين قتل ابن الزبير . وذلك أن عبد الملك جهز لقتاله الحجاج في اربعين الفا ، لحصره بمكة اشهرا ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فتسللوا الى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه. وفي ايام ابن الزبير خرج المختار بن ابي عبيد وتبعه طوائف من الناس وقاتلوا عبد الله بن زياد فقتلوه وارسل المختار برأسه الى زين العابدين علي بن الحسين بالمدينة، وتولى على العراق وطرد بني امية عنه . ثم بعد ذلك ادعى النبوة فأرسل اليه عبدالله بن الزبير اخاه مصعبا معه جيش لحاربوه حتى قتلوه وأخذوا منه العراق. وفي أيام يزيد بن

معاوية خرج عليه أهل المدينة وخلعوه واخرجوا اميره من المدينة فأرسل اليهم يزيد مسلم بن عقبة المري بجيش عظيم حتى قتل اهل المدينة وجرت فتنة عظيمة قتل فيها من الصحابة رضي الله عنهم معقل بن يسار الاشجعي وعبدالله بن حنظلة الغسيل الانصاري وعبد الله بن زيد بن عاصم المازني، وقتل من أولاد المهاجرين والانصار نحو ثلاثمائة وستة أنفس،

وفي ايام ابن الزبير خرجت طوائف من الخوارج يسمون الازارقة فتولى محاربتهم المهلب بن ابي صفرة وأبادمنهم الوفا ، كما ذكره الذهبي وغيره

وفي أيام عبد الملك خرج عبد الرحمن بن الاشعث وتبعه خلق عظيم من القراء وغيرهم وقاتلوا الحجاج وجرت بينهم وقائع عظيمة، فغلب الحجاج حتى قتل ابن الاشعث وقتل معه خلق عظيم .

ولو ذهبنا نذكر كل من خرج على بني أمية وبني العباس لطال الكلام جداً ، وبعض من خرج عليهم يبغضون علياً رضي الله عنه ويكفرونه. فتبين لكل ذي معرفة بالسير والاخبار بطلان قول هذا المعترض : ان الناس أذعنوا لاهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم

(الوجه الثالث) ان يقال: ان هذا المعترض جعل الفرقة الناجية هم أهل البيت وشيعتهم،وجعل الدليل على ذلك هو منازعتهم لاهل الشام ،فعلى كلامه ان كل من نازعهم وخرج عليهم هو الناجي . ومن الطائفة التي أشار اليها سيد المرسلين ﷺ،مع ان أكثر الناس خروجاعليهم هم الخوارج الذين يكفرون علياً رضي الله عنه ومعاوية وغيرهما من الصحابة ومن والاهما. فانظر رحمك الله إلى هذا الجهل والتخبيط الذي لا يصدر ممن له أدنى مسكة من علم وعقل

(الوجه الرابع) انه جعل أهل الشام كلهم قد والوا بني أمية وصاروامعهم المستقدمين منهم كالذين كانوا في زمانهم ، والمستأخرين من أهل الشام بعد

انقراض الدولة الاموية. وهذا معلوم البطلان بالضرورة لان كثيراً من اهل الشام من العلماء وغيرهم يبغضون أئمة الجور من بني أميــة ويطلقون ألسنتهم بذمهم والطعن عليهم . وقد تقدم كلام الذهبي في مروان وابنه عبد الملك قريباً

ولو ذهبنا نذكر كلام علماء الشام من المتقدمين والمتأخرين في ذم بني أمية والطعن عليهم لطال الكلام جداً . وليس هذا الجواب محل التطويل والبسط . فمن اراد ذلك فلينظر في كتب القوم حتى يتبين له جهل هذا المعترض وتخبيطه في كلامه بما تمجه الاسماع ،وتنبو منه الطباع . والله اعلم

فصل

وأما قول المعترض(قولك: ونقر بها ونعلم انها صفات فاما ان تجعل الواو عاطفة في قولك ونعلم او تكون جملة أخرى منفصلة، فما معنى الاقرار بها؟ هل المراد الاقرار بمتونها او كلماتها او كونها من عند الله جل وعلا ؟ فالمسلمون جميعاً مثلك ، ولا يخالفك أحد من المسلمين، فما فائدة اخبارك بانك تقربها؟ وإن أردت بالواو انها للحال اي نقربها حال كونها صفات ، فاما إن تريد بها قول الواصف فلا معنى لذلك ، او تريد أنها تضمنت معنى خاصاً الموصوف او انهـا لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود كما ذكره ابن الحاجب؟ وهذان التعريفان قد ذكرهما العلماء اصطلاحا وتعريفاً في محاورتهم. فان ترد انها تدل على معنى زائد على الذات لزمك ماالزم الاشاعرة وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف، ونحن نبرأ من هذا نحن وأنت، وإن ترد ان الصفة دلت على معنى لذاته تعالى و تغمض عن كيفيته وتصوره في الذهن باي كيفية، وهـذا هو المفهوم من كلامك فلا تساعدك لغة العرب لان الصفات قوالب لمعاني مفهومة معقولة مبينة للموصوف معينة له فقد جزمت بانها غير مكيفة كما يفهم من كلامك أيضاً مع

مخالفة لغة العرب ولزمك التجسيم. أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك ان تخالفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها لمخالفتك لما انزل الله فيه ، وقد قال تعالى (نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) إلى غير ذلك من الآيات، فهل يجوز لك ان تقول استوى بلا كيف بعد ان قال مبين وقال (لعلكم تعقلون) ما كانك إلا قلت : ماتبين لنا ولا عقلناه، فخاطبنا ربنا بما لا نتبينه ولا نعقله، وليس هو من جنس لغة العرب ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه ؟

ووجه المخالفه على التحقيق ان كلمات كتاب الله تعالى على مقتضى لغة العرب، مبينة مفهومة ، فلا بد ان تدل الكلمة على معنى حقيقي أو مجازي على مقتضى استعماله، فنقول لك قد صرحت بان قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك . ولغة العرب حاكمة بان حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه، وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض تعالى الله عن ذلك . فهذا حقيقته عند العرب فلما ان خشيت لزوم التجسيم في حق الباري ولجأت إلى التنزيه له تعالى فلم تجد مهربا وتوحشت من هذا الامر الشنيع لفطرة التعظيم لربك جل وعلا فلم تجد إلى الهرب سبيلا إلا بالبلكفة التي قد تستر بها مشايخك ، فقلت : استوى بلا كيف، واستأنست بذلك الطيف، فلما ظننت انك قد حفظت نفسك من التجسيم قلنا لك:هل تقول العرب استوى أي جلس جلوسا غير مكيف بتعطيف الارجل ولا مستقر ونحو ذلك حيث يريدون حقيقة الاستواء والجلوس ؟ فان كان هذا من روايتك عن العرب وانهم يطلقون على ما أردت من عدم الكيف ماذكرناه لك، وهيهات فلن تستطيع له طلبا، وان لم يكن، قلنا لك ياهذا قد خالفت القرآن العربي المبين وفسرته بلسان قومك الذين تستروا بالبلكفة ولم يستروا عوراتهم ولم تخرج عن شبهة

التجسيم، إذ قد أثبت لله تعالى الاستواء فوق العرش، وأقررت بذلك الحدث. واعتقدته له تعالى وهو يستلزم التجسيم عقلا ولغة ، فان العقل اولا يحكم بالذات وبان هذا الحدث وهو الاستواء لايكون إلا من جسم قبل أن تلتفت إلى كيفيته، وكذلك اللغة فان مفهوم الاستواء الحدث ، وقد فسروا الحدث بالاثر اومؤثره على خلاف بين اللغويين ، وقد حكمت على الله ووصفته بالاستواء وجعلته تعالى محلا له كما هو قاعدة الصفة ، ولم تقدر أن تخرجه عن الحدث وتجعله غير الحدث بعد أن أقررت بالاستواء الذي هوغير الحدث كما عرفناك، فلزمك أن يكون الله تعالى محلا للاستواء ،والمحل لايكون إلا جسما_ إلى قوله: وقدكان له مندوحة عن هذا وتخلص كما تخلص أهل بيت رسول الله ﷺ من حملها على المجاز، واخراجها عن الحقائق، التي أوقعته في المضايق، ولم يسعه بعد ذلك إلا أضغاث أحلام ظن بها أنها أخرجته إلى التنزيه ولم تفده ، فلو أخرجها إلى المجاز المأنوس المألوف في لغة العرب المنادي بفصاحة كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ على الوجه الاكمل والتنزيه لله تعالى على الطريق اللائق بجلاله الأعدل ، لكان مناسباً لكمال إعجازه والرد إلى محكمه على وجه أبلغ من الحقيقة ، وأسلم من التستر بالبلكفة التي كشفت ضعف كلامه وسخفه)

(فالجواب) ان يقال :الواو عاطفة، والمعنى نقربها بألسنتنا ونعلم انها صفات لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، وان رغمت أنوف اهل البدع والضلال. فقوله: فما معنى الاقرار بها هل المراد الاقرار بمتونها وكلماتها ؟ فذلك هو مراد المجيب،مع اعتقاد انها صفات لله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين . فهذا معنى قول المجيب: ونعلم انها صفات لله تبارك وتعالى. فالواو الاولى عاطفة ،والثانية حالية. أي نقر بها حال كوننا نعلم انها صفات لله كما هو مذهب أهل السنة والجماعة

(الوجه الثاني) قوله فالمسلمون جميعا مثلك ولا يخالفك أحد من المسلمين

فما فائدة إخبارك بأنك تقر بها؟ فنقول: هذا يدل على جهله فان المؤمن يخبر بايمانه بالله ورسوله وإقراره بأصول الدين التي هي اشهر وأعظم من هذه المسئلة كالشهادتين وغيرهما من الاصول العظيمة. ولا يقال ان ذلك يعرفه المسلمون كلهم ولهذا شرع الاذان دائما وتكراره دائما كل وقت، وشرع للرجل إذا فرغ من الوضوء ان يقول« اشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» وان يقول إذا صلى« لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله الا الله ولا نعبد الا اياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن» وأمثال ذلك كثير

(الوجه الثالث) قوله فاما ان تريد بها قول الواصف ولفظه، فلا معنى لذلك، او تريد انها تضمنت معنى حاصلا للموصوف، او انها لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود كما ذكره ابن الحاجب؟ فمراد المجيب انها تدل على معنى حاصل للموصوف على ما اراده الله ورسوله كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه« آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» . وذلك انه يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي ﷺ من القرآن والسنة المعلومة جملة وتفصيلا، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ جملة، وذلك هو تحقيق شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله . فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله عز وجل من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه، ووعده ووعيده، وامره ونهيه، وخبره عما كان وما يكون. فان هذا هو حقيقة الشهادة له بالرسالة. وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام وهو متفق عليه بين الامة.

اذا تقرر هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ﷺ كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه

(الوجه الرابع) قوله فان ترد انها تدل على صفات زائدة على الذات لزمك مالزم الاشاعرة ،وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف ،ونحن نبرأ من هذا نحن وانت ، فيقال: أهل السنة والجماعة يقولون ان الله تبارك وتعالى موجود كامل بجميع صفاته ،فاذا قال القائل دعوت الله او عبدت الله ، كان اسم الله متناولا للذات المتضمنة لصفاتها،ليس اسم الله اسما للذات مجردة عن صفاتها اللازمة لها ، وحقيقة ذلك انه لايكون نفسه إلا بنفسه ، ولا يكون ذاته إلا بصفاته ، ولا يكون نفسه إلا بما هو داخل في مسمى اسمها ، وهذا حق ولكن قول القائل انه يلزم ان يكون مع الله قدماء تلبيس،فان ذلك يشعر ان مع الله قدماء غيره منفصلة عنه. وهذا لايقوله إلا من هو أكفر الناس وأجهلهم بالله كالفلاسفة، لان لفظ الغير يراد به ما كان مفارقا له بوجود او زمان او مكان،ويراد به ماأمكن العلم دونه ، فالصفة لاتسمى غيراً له فعلى المعنى الاول يمتنع ان يكون معه غيره . وأما على المعنى الثاني فلا يمتنع ان يكون وجوده مشروطا بصفات وان يكون مستلزما لصفات لازمة له ، واثبات المعاني القائمة التي توصف بها الذات لابد منها لكل عاقل، ولا خروج عن ذلك إلا بجحد وجود الموجودات مطلقاً. وأما من جعل وجود العلم هو وجود القدرة ، ووجود القدرة هو وجود الارادة، فطرد هذه المقالة يستلزم ان يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى، وهذا منتهى الاتحاد ،وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع انه في غاية الفساد ، ولا مخلص من هذا إلا باثبات الصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات،وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذلك ان نفاة الصفات من المتفلسفة ونحوهم يقولون ان العاقل والمعقول ، والعاشق والمعشوق ، واللذة واللذيذ والملتذ هو شيء واحد ، وانه موجود واجب له عناية،ويفسرون عنايته بعلمه او عقله ، ثم يقولون وعلمه اوعقله هو ذاته ، وقد يقولون انه حي عليم قدير مريد متكلم سميع بصير ويقولون ان

ذلك شيء واحد فارادته عين قدرته ، وقدرته عين علمه ، وعلمه عين ذاته

وذلك لان من أصلهم انه ليس له صفة ثبوتية ، بل صفاته اما سلبية كقولهم ليس بجسم ولا متحيز ولا جوهر ولا عرض ، واما اضافة كقولهم مبدأ وعلة ، واما مؤلف منهما كقولهم عاقل ومعقول وعقل . ويعبرون عن هذه المعاني بعبارات هائلة كقولهم انه ليس فيه كثرة «كم» ولا كثرة «كيف» وانه ليس له اجزاء «حد» ولا اجزاء «كم» او انه لا بد من اثبات واحد موحداً توحيداً منزها عن المقولات العشر عن الكم والكيف والأين والوضع والاضافة ونحو ذلك

ومضمون هذه العبارات وأمثالها نفي صفاته التي جاء بها الرسول ﷺ وهم يسمون نفي الصفات توحيدا

وكذلك المعتزلة ومن ضاهاهم من الجهمية يسمون ذلك توحيداً وهم ابتدؤا هذا التعطيل الذي يسمونه توحيداً ، وجعلوا اسم التوحيد واقعاً على غير ماهو واقع عليه في دين المسلمين . فان التوحيد الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه هو أن يعبد الله لا يشرك به شيء كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون) ومن تمام التوحيد أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فيصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل ، كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) ومن هنا ابتدع من ابتدع لمن اتبعه على نفي الصفات اسم الموحدين ، وهؤلاء منتهاهم أن يقولوا هو الوجود بشرط الاطلاق ، كما قاله طائفة منهم ، او بشرط نفي الامور الثبوتية كما قاله ابن سينا وأتباعه . او يقولون هو الوجود المطلق لا بشرط ، كما يقوله القونوي وأمثاله

ومعلوم بصريح العقل الذي لم يكذب قط ان هذه الاقوال متناقضة باطلة من وجوه (أحدها) ان جعل عين العلم عين القدرة ، ونفس القدرة هي نفس الارادة ،

ونفس الحياة هي نفس العلم ، ونفس العلم نفس الفعل ، ونفس الحياة هي نفس العلم والابداع .ونحو ذلك معلوم الفساد بالضرورة ،فان هذه حقائق متنوعة،فان جعلت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول : ان حقيقة السواد حقيقة البياض،وحقيقة البياض حقيقة الطعم ، وحقيقة الطعم حقيقة اللون.وأمثال ذلك .مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة .فمن قال : ان العلم هو المعلوم ، والمعلوم هو العلم فضلاله بين فالتمييز بين مسمى المصدر ومسمى اسم الفاعل واسم المفعول والتفريق بين الصفة والموصوف مستقر في فطر الناس وعقولهم،وفي لغات جميع الامم، ومن جعل أحدهما هو الآخر كان قد أتى بما لايخفى فساده على من تصور مايقول . فمن قال ان ذاته تعرف بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبية فقوله معلوم البطلان، ممتنع وجود ذلك في الاعيان ، ولو قدر إمكان ذلك ، وفرض العبد في نفسه ذاتا مجردة عن جميع القيود السلبية والثبوتية فليس ذلك معرفة بالله البتة ،وليس رب العالمين ذاتا مجردة عن كل أمر سلبي او ثبوتي ، ولهذا كان كثير من الملاحدة لايصلون إلى هذا الحد بل يقولون كما يقول ابو يعقوب السجستاني وغيره من الملاحدة :نحن لاننفي النقيضين،بل نسكت عن اضافة واحد منهما اليه ،فلا نقول هو موجود ولامعدوم ولا حي ولاميت ولا عالم ولاجاهل،فيقال لهم:اعراض قلوبكم عن العلم به وكف ألسنتكم عن ذكره لايوجب أن يكون هو في نفسه مجردا عن النقيضين ، بل يفيد كفركم بالله وكراهتكم لمعرفته وذكره وعبادته، وهذا حقيقة مذهبكم

(الوجه الخامس) ان يقال مذهب اهل السنة والجماعة ومن تبعهم باحسان ان كل ماوصف به الرب نفسه من صفاته فهي صفات مختصة به غير مخلوقة بائنة منفصلة عنه، بل يمتنع أن يكون له فيها مشارك او مماثل ، فان ذاته المقدسة لاتماثل شيئا من الذوات ، وكذلك صفاته المختصة به لاتماثل شيئا من الصفات، لانه سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.فاسمه الاحد دل على نفي المشاركة والمماثلة ، واسمه الصمد دل على انه مستحق لصفات الكمال

والمقصود هنا ان صفات التنزيه يجمعها هذان المعنيان المذكوران في هذه السورة (أحدهما) نفي النقائص عنه ، وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال فمن ثبت له الكمال التام انتفى عنه النقصان المضاد له ، والكمال من مدلول اسمه الصمد

(والثاني) انه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة ، وهذا من مدلول اسمه الاحد. فهذان الاسمان العظيمان الاحد الصمد يتضمنان تنزيهه عن كل نقص وعيب ، وتنزيهه في صفات الكمال أن يكون له مماثل في شيء منهما. فالسورة تضمنت كل مايجب نفيه عن الله ، وتضمنت كل مايجب إثباته لله من وجهين من جهة اسمه الصمد ، ومن جهة ان ما نفي عنه من الاصول والفروع والنظير استلزم ثبوت صفات الكمال. فان كل مايمدح به الرب تبارك وتعالى من النفي فلابد أن يتضمن ثبوتا، بل وكذلك كل مايمدح به شيء من الموجودات من النفي فلابد أن يتضمن ثبوتا، وإلا فالنفي المحض معناه عدم محض ، والعدم المحض ليس بشيء ، فضلا عن أن يكون صفة كمال ، وهذا كما يذكر سبحانه في آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم) فنفي أخذ السنة والنوم له مستلزم لكمال حياته وقيوميته، فان النوم أخو الموت، ولهذا كان اهل الجنة لاينامون ثم قال (له مافي السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فنفي الشفاعة بدون إذنه مستلزم لكمال ملكه، إذ كل من يشفع اليه شافع بلا إذنه فقبل شفاعته كان منفعلا عن ذلك الشافع قد اثرت شفاعته فيه فصيرته فاعلا بعد ان لم يكن ، وكان ذلك الشافع شريك المشفوع اليه في ذلك الامر المطلوب بالشفاعة اذا كان بدون اذنه، لاسيما والمخلوق اذا شفع اليه بغير اذنه فقبل الشفاعة فانما يقبلها لرغبة أو لرهبة، اما من الشافع وإما من غيره ، وإلا فلو كانت داعيته من تلقاء نفسه تامة مع القدرة لم يحتج الى شفاعته. والله تعالى منزه عن ذلك كما قال في الحديث الآلهي «انكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» ولهذا كان النبي ﷺ يأمر اصحابه بالشفاعة اليه اذا أتاه طالب حاجة يقول «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على

لسان نبيه ماشاء» اخرجاه في الصحيحين. وهو انما يفعل ماأمر الله به، ثم قال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) بين انهم لايعلمون من علمه الا ماعلمهم إياه ، كما قالت الملائكة (لا علم لنا إلا ما علمتنا) فكان في هذا النفي اثبات انه عالم وأن عباده لايعلمون الا ماعلمهم إياه ، فاثبت أنه الذي يعلمهم لاينالون العلم الا منه، فانه الذي خلق الانسان من علق ، وعلم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم . ثم قال (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما) أي لايثقله ولا يكربه ، وهذا النفي يتضمن كمال قدرته فانه مع حفظه السموات والارض لايثقل ذلك عليه كما يثقل على من في قوته ضعف ، وهذا كقوله (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فنزه نفسه عن اللغوب ، قال أهل اللغة اللغوب هو الاعياء والتعب، وكذلك قوله (لاتدركه الابصار) والادراك عند السلف والاكثرين هو الاحاطة ، وقالت طائفة هو الرؤية، وهو ضعيف لان نفي الرؤية لامدح فيه، فان العدم لايرى، وكل وصف لايشترك فيه الوجود والعدم لايستلزم أمرا ثبوتيا ولا يكون فيه مدح ، اذ هو عدم محض بخلاف ماإذا قيل لا يحاط به ، فانه يدل على عظم الرب جل جلاله ، وان العباد مع رؤيتهم له لايحيطون به رؤية ، كما أنهم مع معرفتهم لايحيطون به علما ، وكما أنهم مع مدحهم له وثنائهم عليه لايحصون ثناء عليه، بل هو كما اثنى على نفسه المقدسة ، كما قال أفضل الخلق ﷺ «لاأحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك»

(الوجه السادس) ان يقال قد ثبت عن النبي ﷺ انه كان يقول «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك» اخرجاه في الصحيحين . وهذا مما يدل على تغاير صفات الله ، لانه استعاذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته ، فدل ذلك على أن الرضا غير السخط والمعافاة غير العقوبة ، ومن جعل نفس ارادته هي رحمته وهي غضبه يكون معنى قوله ﷺ « أعوذ برضاك من سخطك » عنده انه استعاذ بنفس الارادة منها، وهذا ممتنع ، فانه ليس عنده للارادة صفة ثبوتية

يستعاذ بها من احد الوجهين باعتبار ذلك الوجه منها باعتبار الوجه الآخر ، بل الارادة لها عنده مجرد تعلق بالمخلوق والتعلق أمر عدمي، وهذا بخلاف الاستعاذة به منه، لان له صفات متنوعة فيستعاذ به باعتبار ومنه باعتبار. ومن قال إنه ذات لاصفة لها أو وجود مطلق لا يتصف بصفة ثبوتية فهذا يمتنع وجوده في الخارج، وانما يمكن تقدير هذا في الذهن كما تقدر الممتنعات، فضلا عن كونه يكون ربا خالقا للمخلوقات ، وهؤلاء انما الجأهم الى هذا مضايقات الجهمية والمعتزلة لهم في مسائل الصفات فانهم صاروا يقولون: كلام الله هو الله أو غير الله ؟ فان قلتم هو غيره فما كان غير الله فهو مخلوق، وان قلتم هو هو فهو مكابرة. وهذا أول ما احتجوا به على الامام احمد رحمه الله في المحنة فان المعتصم لما قال لهم ناظروه قال له عبد الرحمن ابن اسحاق: ماتقول في القرآن، أو قال في كلام الله، أهو الله أو غيره؟ فقال له أحمد: ماتقول في علم الله، أهو الله أو غيره؟ فعارض أحمد بالعلم فسكت. وهذا من حسن معرفة أبي عبد الله رحمه الله بالمناظرة، فان المبتدع بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداء أخذ يعارضك فيه لماقام بنفسه من الشبهة ، فينبغي اذا كان المناظر مدعيا ان الحق معه أن يبدأ بهدم ماعنده فاذا انكسر وطلب الحق أعطيه والا فمادام معتقدا نقيض الحق لم يدخل الحق اذن قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل فامحه أولا ثم اكتب فيه الحق ، فهؤلاء كان قصدهم الاحتجاج لبدعتهم ، فذكر لهم احمد من المعارضة والنقض ما يبطلها

وقد تكلم احمد في رده على الجهمية في جواب هذا وبين أن لفظ الغير مجمل، يراد بالغير ماهو منفصل عن الشيء ، ويراد بالغير ماليس هو الشيء ، فلهذا لا يطلق القول بأن كلام الله وعلمه ونحو ذلك هو هو، لان هذا باطل ، ولا يطلق انه غيره لئلا يفهم انه بائن عنه، منفصل عنه كما رواه الخلال رحمه الله قال: أخبرني الخضر ابن المثنى الكندي قال حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل رحمه الله قال: هذا ما أخرجه أبي رحمه الله في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته غير تأويله . فقال احمد بن حنبل رضي الله عنه :

رد الامام احمد على الزنادقة والجهمية

«الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله اهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا مقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم . فنعوذ بالله من فتن المضلين . وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا ، وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً

« فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله انه كان من اهل خراسان من اهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان اكثر كلامه في الله ، فلقي اناساً من المشركين يقال لهم السمنية ، فعرفوا الجهم فقالوا له : نكلمك فان ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وان ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم ان قالوا ألست تزعم ان لك إلها ؟ قال الجهم نعم ، فقالوا له فهل رأيت إلهك ؟ قال لا . قالوا فهل سمعت كلامه ؟ قال لا . قالوا فشممت له رائحة ؟ قال لا قالوا : فوجدت له حسا ؟ قال : لا . قالوا : فوجدت له مجسا ؟ قال لا ، قالوا : فما يدريك انه إله ؟ قال فتحير الجهم فلم يدر من يعبد اربعين يوما ،

«ثم انه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى . وذلك ان زنادقة النصارى يزعمون ان الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله . فاذا اراد ان يحدث امراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما شاء ، وينهى عما شاء ، وهو روح

غائب عن الابصار. فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني ألست تزعم ان فيك روحا؟ قال نعم، قال فهل رأيت روحك؟ قال لا، قال فسمعت كلامه؟ قال لا قال فوجدت له حسا او مجسا؟ قال لا . قال فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان دون مكان . ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه قوله عز وجل (ليس كمثله شيء) (وهو الله في السموات وفي الارض) و (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)

«فبنى اصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تاويله، وكذب باحاديث رسول الله ﷺ وزعم ان من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه او حدث عنه رسوله كان كافراً، وكان من المشبهة، وأضل بكلامه بشراً كثيرا، واتبعه على قوله رجال من اصحاب ابي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية،

«فاذا سألهم الناس عن قول الله (ليس كمثله شيء) يقولون ليس كمثله شيء من الاشياء ، وهو تحت الارض السابعة ، كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ، ولا يتكلم ولا ينظر اليه احد في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يوصف ولا يعرف بصفة ولا بفعل، ولا لهغاية ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل ،وهو وجه كله وهو علم كله وهو سمع كله وهو بصر كله وهو نور كله وهو قدرة كله، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له اعلى ولا اسفل، ولا نواحي ولا جوانب ولا يمين ولا شمال، ولا هو ثقيل ولا خفيف ولا له نور ولا جسم، وليس هو معلول[1] وكل ما خطر على قلبك انه شيء تعرفه فهو على خلافه ،

«فقلنا هو شيء فقالوا هو شيء لا كالاشياء ، فقلنا ان الشيء الذي لا كالاشياء قد عرف اهل العقل انه لا شيء . فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئا ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية

(١) لعله : معلوم ولا معقول

« فاذا قيل لهم من تعبدون ؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ، فقلنا هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لايعرف بصفة ؟ قالوا نعم ، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تأتون بشيء وانما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلناهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا لم يتكلم ولا يتكلم لان الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منفية . فاذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم انهم انمـا يعود قولهم إلى ضـلال وكفر. فما يسئل عنه الجهمي يقال له تجد في كتاب الله انه يخبر عن القرآن انه مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال له فتجد في سنة رسول الله انه قال إن القرآن مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال له فمن أين قلت ؟ فيقول من قول الله (اناجعلناه قرآناً عربياً) وزعم أن جعل مخلوق مجهول هو مخلوق [1] فادعى كلة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد ان يلحد في تنزيلها ، وكما يبتغي الفتنة في تأويلها وذلك ان جعل في القرآن من المخلوقين على وجهين « على معنى تسمية وعلى معنى فعل من أفعالهم » فقوله (الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا هو شعر وأساطير الاولين وأضغاث أحلام فهذا على معنى تسمية ،وقال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) يعني انهم سموهم اناثاً. ثم ذكر جعل على غير معنى تسمية فقال (يجعلون أصابعهم في آذانهم) فهذا على معنى فعل من أفعالهم،وقال (حتى اذا جعله ناراً)هذا على معنى ـل فهذا على جعل المخلوقين ، ثم جعل من أمر الله على معنى خلق لايكون إلا خلق ، ولا يقوم إلا مقام خلق لا يزول عنه المعنى . واذا قال الله : جعل على غير معنى خلق لا يكون خلق ، ولا يقوم مقام خلق ، ولا يزول عنه المعنى ، فما قال الله جعل على معنى خلق قوله (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) يعني وخلق الظلمات والنور. وقال(وجعل لكم السمع والابصار)

(١) كذا في الاصل

يقول: وخلق لكم، وقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) يقول وخلقنا الليل والنهار آيتين، وقال (وجعل الشمس سراجا) وقال (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) يقول وخلق منها زوجها، يقول خلق من آدم وقال (وجعل لها رواسي) يقول وخلق لها رواسي، ومثله في القرآن كثير، فهذا وما كان على مثاله لايكون إلا على معنى خلق

«ثم ذكر جعل على معنى غير خلق قوله (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة) لايعني ماخلق الله من بحيرة ولا سائبة، وقال الله لابراهيم (اني جاعلك للناس اماما) لايعني اني خالقك للناس اماما، لان خلق ابراهيم كان متقدما[1] قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمناً) وقال ابراهيم (رب اجعلني مقيم الصلاة) لايعني اخلقني مقيم الصلاة وقال (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) وقال لام موسى (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) لايعني وخالقوه من المرسلين، لان الله وعد أم موسى ان يرده اليها ثم يجعله من بعده رسولا، وقال (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم) وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) لايعني ونخلقهم أئمة، وقال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) ومثله في القرآن كثير،

«فهذا وما كان على مثاله لايكون على معنى خلق، فاذا قال الله «جعل» على معنى خلق وقال «جعل» على غير معنى خلق فبأي حجة قال الجهمي جعل على معنى خلق؟ فان رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه، وإن كان لا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون. فلما قال الله (انا جعلناه قرآنا عربياً) يقول جعله عربياً جعله جعلا على معنى فعل من أفعال على غير معنى خلق، وقال في سورة الزخرف (انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) وقال (لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال (فانما يسرناه بلسانك)

(١) أي متقدما على امامته

فلما جعل الله القرآن عربياً ويسره باسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلا من أفعال الله تبارك وتعالى جعل القرآن به عربياً بيناً يعني هذا بيان، لمن أراد الله هداه

«ثم ان الجهمي ادعى أمراً آخر وهو من المحال فقال أخبرونا عن القرآن هو الله او غير الله ؟ فادعى في القرآن أمراً فوهم للناس. فاذا سئل الجاهل عن القرآن هو الله او غير الله ؟ فادعى في ال من ان(١) يقول أحد القولين فان قال هو الله قال له الجهمي كفرت ، وإن قال هو غير الله ، قال صدقت فلم لا يكون غير الله مخلوقا ؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك مايميل به إلى قول الجهمي وهـذه المسئلة من الجهمي هي من المغاليط

«(فالجواب) للجهمي إذا سأل فقال، اخبرونا عن القرآن: هو الله، او غير الله؟ قيل له ان الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن إن القرآن أنا، ولم يقل هو غيري، وقال هو كلامي ، فسميناه باسم سماه الله به، فقلنا كلام الله ، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين ، وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه ، ولم يسمه قولا ، فقال(الا له الخلق والامر) فلما قال (ألا له الخلق) لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا في ذلك، ثم ذكر ماليس بخلق فقال (والامر) فامره هو قوله (تبارك الله رب العالمين) أن يكون قوله خلقا

«وقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم) ثم قال للقرآن (هو أمر من عندنا) وقال (لله الامر من قبل ومن بعد) يقول لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق ، فالله يخلق ويأمر ، وقوله غير خلقه. وقال (ذلك أمر الله أنزله اليكم ــ وقال ــ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور)

ثم قال احمد رحمه الله :

---

(١) الظاهر ان العبارة هكذا : فلا بد أن يقول احد القولين اه من الأصل

﴿ باب بيان مافصل الله به بين قوله وبين خلقه ﴾

وذلك ان الله جل ثناؤه إذا سمى الشيء الواحد باسمين او ثلاثة أسامي فهو مرسل غير مفصل، وإذا سمى شيئين مختلفين لم يدعهما مرسلا حتى يفصل بينهما. من ذلك قوله (ياايها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامي وهو مرسل، ولم يقل ان له أبا وشيخا وكبيرا. وقال (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات ـ ثم قال ـ وأبكارا) فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما ، وذلك قوله (وأبكارا) وقال (وما يستوي الاعمى ـ ثم قال ـ والبصير) فلما كان البصير غير الاعمى فصل بينهما ثم قال (ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) فلما كان كل واحد من هذا غير الشيء الآخر فصل بينها ، ثم (الملك القدوس السلام المؤمن ، المهيمن العزيز الجبار المتكبر ـ الخالق البارىء المصور) كله شيء واحد فهذا مرسل ليس بمفصل

فكذلك إذا قال الله (الا له الخلق والامر) لان الخلق غير الامر ، فهو مفصل، انتهى ماذكره احمد رحمه الله

وهذا الذي ذكره احمد رحمه الله هو الذي عليه الحذاق من أئمة السنة، وهو قول ابن كلاب وغيره، فهؤلاء لايطلقون القول بأن صفات الله هي الله، ولا انها غيره ، وذلك لان هذا إثبات قسم ثالث وهو خطأ ، ففرق بين اطلاق اللفظين لما في ذلك من الاجماع ، وبين نفي مسمى اللفظين مطلقا وإثبات معنى ثالث خارج من مسمى اللفظين . فجاء بعد هؤلاء ابو الحسن الاشعري وكان أحذق ممن بعده فقال بنفي مفرد لا مجموعا فيقول مفردا : ليست الصفة هي الموصوف ؟ ويقول مفردا ليست غيره ؟ ولا يجمع بينهما فلا يقال لاهي هو ولا هي غيره لان الجمع بين النفي فيه من الايهام ماليس في التفريق ، وجاء بعده

أقوام فقالوا بل ينفى مجموعا ، فيقال لا هي هو ، ولا هي غيره ، ثم كثير من هؤلاء ذا بحثوا يقولون: هذا المعنى إما أن يكون هذا وإما أن يكون غيره فيتناقضون. وسبب ذلك ان لفظ الغير مجمل يراد بالغير المباين المنفصل ، ويراد به ماليس هو غير الشيء ، وقد يعبر عن الاول بان الغيرين ماجوز وجود أحدهما وعدمه، او ماجاز مفارقة أحدهما للآخر بزمان او مكان او وجوداً ، ويعبر عن الثاني بانه ماجاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر. فبين هذا وهذا فرق ظاهر . فصفات الرب اللازمة لاتفارقه ألبتة فلا يكون غيراً بالمعنى الاول ، ويجوز أن يعلم بعض الصفات دون بعض ، ويعلم الذات دون الصفة فيكون غيراً باعتبار الثاني . ولهذا أطلق كثير من مثبتة الصفات عليها انها أغيار للذات وقالوا انها غير الذات ولا يقولون انها غير الله ، فان لفظ الذات لايتضمن الصفات بخلاف اسم الله فانه يتناول الصفات، ولهذا كان الصواب على قول اهل السنة هو أن لايقال في الصفات انها زائدة على اسم الله بل من قال ذلك فقد غلط عليهم، وإذا قيل هي زائدة على الذات ام لا ؟ كان الجواب ان الذات الموجودة في نفس الامر مستلزمة للصفات فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات ، بل لفظ الذات تأنيث ذو . ولفظ ذو مستلزم للاضافة ، وهذا اللفظ مولد واصله أن يقال ذات علم وذات قدرة ، وذات سمع ، كما قال الله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ويقال فلانة ذات مال وجمال

ثم لما علموا ان نفس الرب ذات علم وقدرة ، وسمع وبصر ، عرفوا لفظ الذات رداً على من نفى صفاتها ، وصار التعريف يقوم مقام الاضافة بحيث إذا قيل لفظ الذات فهو ذات كذا . فالذات لا يكون إلا ذات علم وقدرة ، ونحوه من الصفات لفظا ومعنى . وانما يريد محققو أهل السنة بقولهم : الصفات زائدة على الذات انها زائدة على ما أثبته نفاة الصفات من الذات ، فانهم أثبتوا ذاتا مجردة

لا صفات لها ، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ماأثبته هؤلاء ، فهي زيادة في العلم والاعتقاد والخبر ، لا زيادة على نفس الله جل جلاله ، بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات ، لايمكن أن تفارقها ، ولا توجد الصفات بدون الصفات ، ولا الذات بدون الصفات

والمقصود هنا بيان بطلان كلام هذا المعترض وقوله : ان من اثبت الصفات لله تبارك تعالى لزمه ان يكون مع الله قدما ، فظهر بما ذكرنا عن اهل السنة والجماعة ان كلامه هذا تلبيس وجهل وضلال ، وان مذهب أهل السنة والجماعه في إثبات الصفات الثابتة في القرآن والسنة هو الصواب الموافق لصريح المعقول ، كما انه هو الوارد في صحيح المنقول

(الوجه السابع) أن يقال الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة اقسام كل قسم عليه طائفة من اهل القبلة : قسمان يقولان تجرى على ظواهرها ، وقسمان يقولان هي على خلاف ظواهرها ، وقسمان يسكتان . أما الاولون فقسمان (احدهما) من يجريها على ظواهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل بالكتاب والسنة ، ولهذا انكره السلف عليهم واليه توجه الرد بالحق (والثاني) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم الله العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى ، فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدث وإما عرض قائم ، فالعلم والقدرة والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض . والوجه واليدان والعين في حق المخلوق اجسام . فاذا كان الله موصوفا عند عامة اهل الاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم تكن أعراضا يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين ، فلم لايجوز ان

يكون وجه الله ويداه ليست اجساما لا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ؟
وهذا هو المذهب الذي حكيناه عن اهل السنة. وهو الذي نعتقده وندين الله به وهو الذي يدل عليه كلام علماء السنة ، وهذا امر واضح ولله الحمد والمنة ، ولا يلزم عليه شيء من اللوازم الباطلة، وذلك لانه حق ولازم الحق حق فان الصفات كالذات. فكما ان ذاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس ذوات المخلوقات، فكذلك صفاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس صفات المخلوقات ، فمن قال : لا اعقل علما ويداً واستواء إلا من جنس العلم واليد والاستواء المعهود ، قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ؟

(الوجه الثامن) ان يقال: صفات كل موصوف تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا ما يناسب المخلوقين فقد ضل في عقله ودينه، وخالف لغة العرب وما فطر الله عليه عباده

فتبين بما ذكرنا ان هذه اللوازم التي ذكرها هذا المعترض لا تلزم على قولنا الذي حكيناه عن اهل السنة والجماعة

(الوجه التاسع) ان يقال : اللوازم الشنيعة الفظيعة المخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، انما تلزم على قول هـذا المعترض وسلفه المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والقدرية، ومن نحا نحوهم من الشيعة والزيدية. وبيان ذلك انه إذا كان الكتاب والسنة مملوءان مما ظاهره عندهم تشبيه وتجسيم وتكييف كيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على الصحابة انهم يتكلمون دائما بما هو نص او ظاهر في خلاف الحق ،ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به ،ولا يدلون عليه حتى يجيء انباط الفرس والروم والفلاسفة فيثبتون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف او كل فاضل اعتقادها؟ لئن كان الحق فيما يقوله هؤلاء المتكلمون لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة اهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل

كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضا في أصل الدين ، فان حقيقة الامر على مايقوله هؤلاء : انكم معاشر العباد لاتطلبوا معرفة الله ولا مايستحقه من الصفات نفياً واثباتاً لامن الكتاب ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الامة ، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة او لم يكن ومالم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به ، واليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذي تعبدتكم به . وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا فاجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الالفاظ ، وغرائب الكلام ، او اسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات . هذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء وهو لازم لهم لزوما لامحيد عنه .

ومضمونه ان كتاب الله لايهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله ، وما أشبه حال هؤلاء بالذين قال الله فيهم (ألم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً * واذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا — إلى قوله — إن أردنا إلا احساناً وتوفيقاً) فان الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد الى الرسول هو إلى سنته بعد وفاته ، فان هؤلاء اذا دعوا إلى ذلك أعرضوا ورأيتهم يصدون عنه صدودا ويقولون : يلزم منه كذا . وما قصدنا إلا احسانا وتوفيقا بين هذه الطريقة التي سلكناها وبين الدلائل النقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل انما قلدوا فيها طاغوتا من طواغيت المشركين والصابئين او بعض ورثته الذين أمروا ان يكفروا به ، وقد قال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في

نفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — إلى قوله — والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

(الوجه العاشر) قوله : أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك أن تخالفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها، لمخالفتك لما أنزل الله فيه فقد قال تعالى (نزل به الروح الامين) الآية، وقال (قرآنا عربيا)

فهذا الكلام حق أريد به باطل كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله للخوارج ـ لما قالوا له ـ أشركت لانك حكمت الرجال في دين الله، وقد قال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) قال « كلمة حق اريد بها باطل » وهذا من أعظم حجج المشبهة القائلين بانا لا نعقل من هذه الصفات إلا مثل صفاتنا لأنه نزل بلغة العرب، فهم أسعد منك بهذه الحجة لان اللفظ يحمل على ظاهره عند العرب كما تزعم

وأما السلف واهل السنة والجماعة فلا تلزمهم هذه الحجة لانهم يقولون انها على ظاهرها في حقه تبارك وتعالى لكنها كما يليق بجلاله وعظمته لان الصفات تابعة للذات، كما تقدم تقريره قريباً

(الوجه الحادي عشر) قوله : هل يجوز لك ان تقول استوى بلا كيف بعد ان قال (مبين)وقال (لعلكم تعقلون) ، ما كأنك إلا قلت ماتبين لنا ولا عقلناه فخاطبنا ربنا بما لا نتبينه ولا نعقله وليس هو من جنس لغة العرب ، ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه ـ إلى آخر كلامه

فيقال : هذا مما يدل على جهلك وعدم معرفتك بالحجج التي تحتج بها، وذلك لان المشبهة يردون عليك بكلامك هذا : نحن لا نعقل من لغة العرب إلا ما قلنا ، والعرب يحملون الكلام على حقيقته ، فما المانع من حمل هذه النصوص على ظواهرها في حقنا ، والمجاز انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا ؟ وأيضاً

يقولون: من قاعدة المجاز جواز نفيه، ولا يجوز لأحد أن ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل فيقول ليس بسميع، ليس بحي، ليس ببصير، ليس بقادر، ليس بمتكلم، ليس بمستو على العرش، فكيف تقولون انها من المجاز ومن قاعدة العرب انهم يجوزون نفي المجاز؟ فاذا قالوا للشجاع: هذا أسد اذا أرادوا وتشبيهه بالاسد في الشجاعة جوزوا أن ينفي ذلك عنه ويقال ليس بأسد، بل هـذا انسان ناطق متكلم عاقل، وكذلك اذا قالوا للبليـد حمار تشبيها له بالحمار في الجهالة جوزوا ان ينفى ذلك عنه فيقال ليس هذا بحمار، وانما هو شبه له بالجهل، واشباه ذلك كثير في كلامهم

وأما اذا قال أهل السنة: ان الله اخبرنا انه استوى على العرش ولم يخبرنا بكيفية ذلك فقلنا بما قال الله، وسكتنا عما سكت الله عنه، وحملنا الاستواء على حقيقته في حق الباريء تعالى، فاذا قيل لنا: كيف استوى؟ قلنا لم يخبرنا الله بذلك، فهذا معنى قولنا بلا كيف، فاين في هذا مايخالف لغة العرب

وما أحسن ماقال بعض أهل السنة اذا قال لك الجهمي كيف استوى، أو كيف ينزل الى سماء الدنيا، أو كيف يداه أو نحو ذلك، فقل له كيف هو في نفسه؟ فاذا قال لايعلم ماهو الا هو؟ وذات الباريء غـير معلومة للبشر، فقل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن يعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لذلك الموصوف، بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه «ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء» وقد أخبر الله تعالى (انه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية وقال ﷺ «يقول الله أعدت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟ أفلا يعتبر العاقل بهذا عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ وقد قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وبما ذكرنا يتبين للمنصف اللبيب أن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بفهم كتاب الله وتعقله وتفهمه وتدبره ، وقد هداهم الله لما اختلف فيه من الحق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(الوجه الثاني عشر) قوله (قد صرحت بأن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك. ولغة العرب حاكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها الى بعض تعالى الله عن ذلك فهذا حقيقته عند العرب)

فيقال هذا كذب ظاهر على اللغة العربية ، وليس هذا حقيقته عند العرب في حق الباري تعالى، واذا كان علماء العربية قد بينوا ان الاستواء في حق المخلوق يطلق على معاني كثيرة كالاستيلاء والاستقرار وغير ذلك فكيف يقول هذا الجاهل: ان لغة العرب حاكمة بان حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض ، تعالى الله عن ذلك ، فهذا حقيقته عند العرب. ولكن هذا المعترض وشيعته لظلمة قلوبهم وزيغها عن الحق لا يفهمون من صفات الله الا مايفهمونه من صفات المخلوقين ، ولذلك زعموا أن ظاهر هذه النصوص الواردة في القرآن والسنة تشبيه وتجسيم وتكييف وكلامنا في هذا الوجه وما قبله من الوجوه شاف كاف في نقض كلامه وبيان بطلانه لمن أراد الله هدايته والله أعلم

فصل

وأما قوله (فان قلت قد ابنت خطأ المجيب وتخليطه وذكرت في كلامك أن المرجع عند الشبه الى قرناء كتاب الله تعالى أهل بيت رسول ﷺ فما تحقيق مذهبهم في الصفات ؟ وما أثبت الله تعالى لنفسه في صريح الآيات من اليد والاستواء وغيرهما حتى تطمئن القلوب اليه ، ويكون المعول في الاعتقاد عليه) ثم نقل عن

محمد بن عز الدين المفتي في كتاب (البدر الساري شرح :واسطة الدراري ، في توحيد الباري) من نحو قادر وعالم وموجود وقديم وحي ، الى آخر كلامه ، وكذلك ماذكره عن عقد النظام وغيره . ثم قال : ولواتسع المقام لذكرنا أقوال علماء الآل عليهم السلام قولا قولا ، والوجه على ماذهبوا اليه هو أنهم اطلعوا على حقيقة ما هو قرينهم كتاب الله تعالى الذين هم تراجمته وفهموه بفهم جدهم ﷺ حيث قال « فهمهم فهمي »

(فالجواب) أن يقال (اولا) نطالبك بصحة هذا عن زين العابدين رضي الله عنه ، ويقال (ثانيا) من رواه من الائمة المعروفين بالعلم ومعرفة الحديث كالامام أحمد ومالك بن أنس والشافعي والزهري والحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن المسيب وقتادة وأمثال هؤلاء الذين اشتهر عند الامة أنهم أهل صدق فيما نقلوه عن أهل البيت وغيرهم . ومجرد نقل من ذكرت عنه لايوجب صحة النقل عنه بذلك ، وهؤلاء الذين ذكرت انهم نقلوا ذلك عنه لا يُعرفون عند اهل العلم بصدق ولا امانة ولا ديانة، كما يعرف أئمة اهل البيت مثل زين العابدين وابنه زيد بن علي وأشباههم رضي الله عنهم

ويقال(ثالثا) قد نقل عن أهل البيت مايخالف مانقلته عمن ذكرت، فمن ذلك ما نقل البغوي في تفسيره المشهور قال فيه قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين من السلف «استوى الى السماء ارتفع الى السماء » وكذلك قال الخليل ابن احمد، وهو من أئمة اللغه المشهورين

وروى البيهقي باسناده قال الفراء «استوى الى السماء أي صعد» قاله ابن عباس والتفاسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابه والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير عبدالرحمن بن ابراهيم المعروف بدحيم، وتفسير عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، وتفسير ابن المنذر، وتفسير أبي بكر عبدالعزيز وتفسير أبي الشيخ

الاصبهاني، وتفسير أبي بكر بن مردويه ، وماقبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير الامام احمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم وبقي بن مخلد ، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد وتفسير عبد الرزاق ووكيع بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول أهل السنة والجماعة ما لا يحصى ، فمن أراد ذلك فليطالع في تلك الكتب . وهؤلاء الائمة هم الذين يعرفون مذهب اهل البيت ، ويميزون بين صحيح القول من ذلك والمكذوب منه وهم المتبعون لأهل البيت حقا ، وبهذا تبين بطلان قول المعترض

فصل

وأما قوله في الكلام على الاستواء (وقوله قال الامام الاعظم القاسم بن محمد في كتابه الاساس: جمهور أئمتنا ان العرش عبارة عن عز الله وملكه الى آخره) قال في شرحه: اعلم ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة . ثم ذكر الحامل له على التأويل)

(فالجواب) أن يقال هذا يدل على جهل المعترض وانه لايعرف المذاهب في هذه المسئلة وجهل من نقل عنه ذلك ، فان مذهب اهل السنة في هذه المسئلة من التابعين وأتباعهم والائمة الاربعة وأصحابهم أمر مشهور معلوم عند من له أدنى معرفة بمذاهب الناس ، حتى المأولة من المعتزلة والاشعرية وغيرهم يقرون بذلك إذا ذكروا آيات الصفات وأحاديثها في تفاسيرهم وعقائدهم يقولون: فيها مذهبان مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت مع اعتقاد انها صفات لله لا تشبه صفات المخلوقين وقالوا ذلك أسلم (والثاني) مذهب الخلف وهو تاويلها وصرفها عن ظاهرها كتأويل الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالقدرة والنعمة وأشباه ذلك وقد نقل مذهب السلف في هذه المسئلة كما ذكرنا غير واحد من الائمة كحرب الكرماني صاحب الامام

احمد في مسائله ، والامام البخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد ، والخلال في كتاب السنة ، وأبي عثمان اسماعيل الصابوني وعثمان بن سعيد الدارمي الذي هو من أقران البخاري ومسلم وذكروا مذهب التاويل عن جهم بن صفوان وبشر المريسي وأشباههم ممن هو معروف بالبدعة والضلالة ، وهذا نص كلامهم بحروفه:

﴿ نقول مصنفي السلف في مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى ﴾

قال ابو محمد حرب الكرماني في مسائله المعروفة التي نقلها عن الامام احمد وإسحاق وغيرهما وذكر من الآثار عن النبي ﷺ وأصحابه وغيرهم ماذكر وهو كتاب كبير صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات. قال في آخره في الباب الجامع

قول الامام الكرماني في مذهب السلف

(باب القول في المذهب) هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الشام والعراق والحجاز وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئا منها او طعن فيها او عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة ، وزائل عن منهج السنة وسبيل الحق. وهو مذهب احمد وإسحاق بن ابراهيم وبقي ابن مخلد ، وعبدالله بن الزبير الحميدي وسعيد ابن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الايمان في القدر والوعد والوعيد والامامة ، وما أخبر به الرسول ﷺ من اشراط الساعة وغير ذلك إلى أن قال

« وهو سبحانه بائن عن خلقه لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد والله أعلم بحده ، و لله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ، ولا إله غيره ، والله سبحانه سميع لايشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ويتحرك[1] ويسمع

(١) يعني بالتحرك ما ورد في مجيئه وإتيانه وهو في القرآن ومن نزوله الى سماء الدنيا في الحديث ولكن لفظ التحرك لا نعرفه في الكتاب والسنة ولا آثار الصحابة

ويبصر وينظر، ويقبض ويبسط ويفرح، ويحب ويكره ويبغض ويرضى، ويسخط ويغضب، ويرحم ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع ، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) - إلى أن قال - ولم يزل الله متكلما عالما، فتبارك الله أحسن الخالقين »

قول الامام الاثرم في مذهب السلف

وقال الفقيه الحافظ ابو بكر الاثرم صاحب الامام احمد في كتاب السنة، وقد نقله عنه الخلال في السنة: حدثنا ابراهيم بن الحارث - يعني العبادي - حدثني الليث ابن يحيى، سمعت ابراهيم بن الاشعث، قال ابو بكر صاحب الفضيل: سمعت الفضيل ابن عياض يقول « ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لان الله وصف نفسه فأبلغ فقال (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف ، وإذا قال لك الجهمي أنا كافر برب يتحرك او يزول عن مكانه. فقل أنا مؤمن برب يفعل مايشاء »

وقد ذكر هذا الكلام الاخير عن الفضيل بن عياض رحمه الله البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد، هو وغيره من أئمة أهل السنة وتلقوه بالقبول . قال البخاري: وحدث يزيد بن هارون عن الجهمية فقال: « من زعم ان (الرحمن على العرش استوى) على خلاف مايقر في قلوب العامة فهو جهمي »

قول اسحق بن ابراهيم في كتاب السنة

وقال إسحاق بن ابراهيم في كتاب السنة أخبرني عبيد الله بن حنبل أخبرني ابي حنبل بن اسحاق قال: قال عمي احمد بن حنبل « نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف او يحده أحد، فصفات الله له ومنه، وهو

كما وصف نفسه لاتدركه الابصار بحد ولا غاية ، وهو يدرك الابصار ، وهو عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب ، ولا يدركه وصف واصف وهو كما وصف نفسه وليس من الله شيء محدود ، ولا يبلغ علم قدرته أحد. غلب الاشياء كلها بقدرته وسلطانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وكان الله قبل أن يكون شيء . والله هو الاول والآخر لايبلغ أحد حد صفاته »

قال وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال سألت أبا عبد الله عن الاحاديث التي تروى « ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا » «وان الله يرى» «وان الله يضع قدمه» وما أشبه هذه الاحاديث فقال ابو عبدالله « نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى » أي لانكيفها ولا نحرفها بالتأويل فنقول معناها كذا ، ولا نرد منها شيئا ، ونعلم أن ماجاء به الرسول حق، إذا كان باسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله با كثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وقال حنبل في موضع آخر عن احمد قال« ليس كمثله شيء »في ذاته كما وصف به نفسه ، وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفه لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء، فصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف نفسه، قال فهو سميع بصير بلا حد، و نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفات من صفاته لشناعة شنعت، لانتعدى القرآن والحديث ،والخبر «يضحك الله» ولا يعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ . لايصفه الواصفون ، ولا يحده أحد . تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة »

قلت والمشبهة مايقولون ؟ قال «من قال بصر كبصري ، ويد كيدي وقدم كقدمي، فقد شبه الله بخلقه، وهذا يحده، وهذا كلام سوء وهذا محدود ،والكلام في هذا لا أحبه » انتهى

والكتب الموجودة فيها ألفاظهم الثابتة بأسانيدها عنهم وغير أسانيدها كثير مثل كتاب الرد على الجهمية لابن أبي حاتم والرد عليهم لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري والرد عليهم للحكم بن معبد الخزاعي وكتاب السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل والسنة لحنبل ابن عم الامام احمد والسنة لابي داود السجستاني، والسنة للاثرم، والسنة لابي بكر الخلال والرد على الجهمية للدارمي ونقضه على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد، وكتاب التوحيد لابن خزيمة والسنة للطبراني ولابي الشيخ الاصبهاني، وشرح السنة للالكائي والابانة لابن بطة وكتب ابن منده والسنة لابي ذر الهروي، والاسماء والصفات للبيهقي، والاصول لابي عمر الطلمنكي، وكتاب الفاروق لابي اسماعيل الانصاري، والحجة لابي القاسم التيمي وغير ذلك من الكتب التي يذكر مصنفوها مذاهب السلف بالنقول الثابتة بألفاظهم الكثيرة المتواترة في اثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه تبارك وتعالى فكيف يقول هذا الجاهل ان تأويل الاستواء متفق عليه إلا عند ابن عربي والمجسمة؟ اللهم إلا ان يريد بالمجسمة أهل السنة والحديث كالصحابة والتابعين والائمة الاربعة واتباعهم من أهل الحديث وغيرهم كما يلقبهم بذلك الجهمية والمعتزلة فانهم يسمون كل من أثبت صفات الله مجسما .

وأما ابن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود فهم من غلاة الجهمية، وانما حملهم على ذلك المبالغة في انكار الصفات، وذلك ان الجهمية لما أنكروا ان يكون الله تكلم بالقرآن، قالوا ان الله خلقه وأحدثه في بعض الاجسام، فنسبة ذلك إلى الله مجاز، فلزم ان يكون كلام جميع الخلق كلام الله لانه خالق ذلك فيهم ولهذا قال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ومعلوم ان من خالف ما جاءت به الرسل عن الله بمجرد عقله فهو أولى بالكفر والجهل والتشبيه والتجسيم ممن لم يخالف ما جاءت به الرسل، وانما خالفه

ماعلم بالعقل إن كان ذلك حتماً كما قال بعض نفاة الصفات لما تأمل أحوال أصحابه وحال مثبتيها قال لاريب ان حال هؤلاء عند الله خير من حالنا فانهم إن كانوا مصيبين نالوا الدرجات العالية والرضوان الاكبر ، وإن كانوا مخطئين ، فلنهم يقولون: يارب نحن صدقنا مادل عليه كتابك وسنة رسولك إذ لم يتبين لنا بالكتاب والسنة نفي الصفات كما دل كلامك على اثباتها. فنحن أثبتنا مادل عليه كلامك وكلام رسولك محمد ﷺ فان كان الحق بخلاف ذلك فلم يبين لنا الرسول ﷺ مايخالف ذلك، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببدائه العقول ، بل ان قدر انه حق فانما يعلمه الافراد فكيف والمخالفون في ذلك يقرون بالحيرة والارتياب . قال النافي فان كنا نحن المصيبين فانه يقال لنا أنتم قلتم شيئا لم آمركم بقوله ،وطلبتم علما لم آمركم بطلبه فالثواب انما يكون لاهل الطاعة وأنتم لم تمتثلوا أمري ، قال وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرانا مبينا

فصل

وأما قوله في تأويل الاستواء بالاستيلاء ويساعده من كلام العرب مانقله الغزالي من قول الشاعر :

قد استوى عمرو على العراق من غير سيف أو دم مهراق

(فالجواب) ان يقال أنت قد نقضت كلامك المتقدم ،وقولك ولغة العرب حاكة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض وبيان ذلك ان الشاعر أخبر ان عمرا استوى على العراق أي ملكه فتقول ان معناه جلس على العراق كله وعطف رجليه على جميعه فان قلت هذا فهذا مكابرة ، وإن قلت ان المعنى باستواء عمرو على العراق ملكه فقد نقضت ما أصلته ، وهدمت ما قررته ، فاعجب لبان يخرب ما بنى ولم تعلم

بجهلك بلغة العرب ، وما يجوز على الله وما يمتنع عليه ان ذلك لايجوز في حقه تبارك وتعالى وذلك ان الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلها فأي فائدة في تخصيص العرش ؟ وأيضاً الاستيلاء يكون بعد قهر وغلبة والله تعالى منزه عن ذلك

وقد أخرج اللالكائي في السنة عن ابن الاعرابي-وهو من أكابر أئمة اللغة- انه سئل عن معنى(استوى على العرش)فقال: هو على عرشه كما أخبر ، فقيل ياأبا عبد الله معناه استولى ؟ فقال اسكت لايقال استولى على الشيء إلا إذا كان له مضاد ، فاذا غلب أحدهما قيل استولى

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ان الاستواء في لغة العرب يطلق على معاني متعددة (أحدها) بمعنى الاستقرار كقوله (واستوت على الجودي) (ثانيها) بمعنى الاستيلاء ومنه قول الشاعر

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

(وثالثها)القصد والاقبال على الشيء كقول القائل كان الامير يدبر أمر الشام ، ثم استوى إلى أهل الحجاز اي تحول فعله وتدبيره اليهم (رابعها) انه معنى التمام والكمال كقوله تعالى (فلما بلغ أشده واستوى) اي كمل عقله

فتبين بذلك كذب هذا المفتري وجهله بلغة العرب ، وما أحسن ماقال بعضهم أكثر مايفسد الناس نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي ، هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

فصل

أما قوله(وقد ذكر القاضي العلامة إسحاق بن محمد العبدي رحمه الله في كتاب الاحتراس بعد أن طول بما يشفي الصدور في تقرير حجة المئولين للعرش بالعز والملك والاستواء بالاستيلاء والقهر ولكنه كلام طويل تضيق عنه هذه الرسالة فاقتصرنا على آخر كلامه قال مالفظه (إذا استبان لك ماأشرنا اليه فأمر الاختيار مفوض اليك فاما جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم فقد جنحوا إلى التأويل، ورأوا ان ذلك أوفق وأليق لمن يرد إلى سواء السبيل. وأما المحافظون على بقاء الظواهر وكذلك التاركون للتفصيل والتأويل، فقد ظنوا أن في ذلك نوعا من التعطيل، وماالتفتوا الى التأويل، وما يرفع الشبه لا بد منه عند الفريقين إما في نفس العرش أو الاستواء عليه، واما ان يكون التأويل تفصيليا أو اجماليا، وإذا كان لابد من التأويل فالتأويل بما يرفع مطالبة الوهم بالكيف، ويقطع مادة تلفته إلى ادراك تلك الحقيقه أحق وأوفق وأليق، وقد كشفت لك الغطاء في التعيين والتوقف والتأويل، وانت بعد ذلك مخير على أي جانبيك تميل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

(فالجواب) أن يقال : هذا الذي نقلته من هذا الكلام قد نقض عليك مانقلته قبل ذلك باسطر يسيرة من ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة، وذلك انه ذكر في كلامه الاقوال في المسئلة فذكر أن جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم يميلون إلى التأويل فكلامه يدل على ان بعض المعتزلة يميل إلى القول المقابل لقول اهل التأويل. ولهذا قال : وأما المحافظون على بقاء الظواهر، وكذا التاركون للتفصيل والتأويل، فقد ظنوا ان في ذلك نوعا من التعطيل ثم انه خير الناظر في كلامه على أي وجه يميل اليه من تلك الاقوال وان كان القول الاول هو الاوفق والاليق والراجح عنده . فلو ان هذا المعترض

قال مثل مقالة هذا الرجل لكان أليق به وأوفق .

وأما ماذكره من كلام الزمخشري وغيره من أئمة المعتزلة فكلامهم في نفي الصفات والقول بخلق القرآن مشهور معروف ، وليسوا من أئمة العلم والدين المقتدى بهم بل هم من أئمة البدع والضلال، ولهذا نقل عن بشر بن غياث المريسي حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا كان رجاله الذين ينقل عنهم كلام اهل البيت مثل بشر بن غياث المريسي واضرابه الذين كفرهم اهل العلم وبدعوهم واشتهروا بينهم بالزندقة والكفر والكذب تبين لك ان عامة ماينقله هذا وأشباهه عن أهل البيت كذب وافتراء عليهم نسأل الله أن ينتقم لاهل البيت ممن كذب عليهم وأبغضهم

وقد قال البخاري رحمه الله في كتاب (خلق أفعال العباد) حدثني أبو جعفر حدثني احمد بن خالد الخلال، قال سمعت يزيد بن هارون ذكر أبا بكر الاصم وبشر المريسي فقال : هما والله زنديقان، كافران بالرحمن، حلالا الدم . وقال الخطيب في تاريخه المشهور: وبشر بن غياث من أصحاب الرأي ، أخذ الفقه من أبي يوسف القاضي الا انه اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكى عنه اقوالا شنيعة ومذاهب مستنكرة، اساء اهل العلم قولهم فيه بسببها، وكفره أكثرهم لاجلها . ثم ذكر الخطيب كلام اهل العلم في تكفيره والامر بقتله . وقد صنف علماء السنة مصنفات كثيرة في الرد على بشر المريسي ونحوه من أئمة الجهمية والمعتزلة . فمن ذلك ماصنفه ابو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الامام المشهور من طبقة البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وطبقتهم وسماه (نقض عثمان بن سعيد، على المريسي الجهمي العنيد، فيما افترى على الله في التوحيد) قال فيه

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين ان الله في السماء الا المريسي الضال وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك إذا ضرب الصبي رفع يده الى السماء يدعو ربه ،وكلامه بالله وبمكانه أعلم من الجهمية حدثنا

احمد بن منيع حدثنا معاوية عن شبيب بن شيبة عن عمران بن حصين ان النبي ﷺ قال لابيه « ياحصين كم تعبد اليوم؟ — قال سبعة، ستة في الارض وواحداً في السماء قال — فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟ — قال الذي في السماء» فلم ينكر النبي ﷺ على الكافر اذ عرف أن اله العالمين في السماء .

فحصين الخزاعي في كفره يومئذ كان اعلم بالله الجليل من بشر المريسي وأصحابه مع ماينتحلون من الاسلام، اذ ميز بين الاله الخالق الذي في السماء وبين الآلهة والاصنام المخلوقة في الارض

(قال) وادعى المعارض أيضاً ان قول النبي ﷺ « ان الله ينزل الى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر هل من داع هل من تائب ؟ » فادعى ان الله لاينزل بنفسه انما ينزل امره ورحمته وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال، لانه الحي القيوم ، والقيوم بزعمه لا يزول

(قال) فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان ، لان امر الله ورحمته ينزلان في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار ؟ ويوقت من الليل شطره أو الاسحار، فأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار؟ او يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولان: هل من داع فأجيب؟ هل من مستغفر فأغفر ؟ هل من سائل فأعطي؟ فان قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والامر هما اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله . وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟ وقد علمتم ذلك، ولكن تكابرون. وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطراً من الليل ، ثم لا يمكثان إلا الى طلوع الفجر، ثم يرفعان؟ لان رفاعة يرويه في حديثه حتى ينفجر الفجر ، وقد علمتم ان شاء الله ان هذا التاويل أبطل باطل، ولا يقبله الا كل جاهل ،

وأمادعواك ان تفسير الحي القيوم: الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك ، فلا يقبل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ماثور عن رسول الله ﷺ او عن بعض اصحابه أو التابعين، لان الحي القيوم يفعل مايشاء ويتحرك اذا شاء، ويهبط ويرتفع اذا شاء، ويقبض ويبسط اذا شاء، ويجلس اذا شاء، لان امارة ما بين الحي والميت التحرك، فكل حي متحرك لامحالة، ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة، اذ فسر نزوله مشروحا منصوصا ،ووقت لنزوله وقتا مخصوصا، لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لبسا ؟

(قال) ثم اجمل المعارض جميع ماتنكره الجهمية من صفات الله تعالى وذاته المسماة في كتابه ، وفي آثار رسوله ﷺ فعد منها بضعة وثلاثين صفة نسقا، وأخذ يحكم عليها ويفسرها بما حكم به المريسي وفسرها وتأولها حرفا حرفا معتمداً فيها على تفسير الزائغ الجهمي بشر بن غياث المريسي متستراً عند الجهال بالتشنيع على قوم يؤمنون بها ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل فزعم أن هؤلاء مؤمنين بها يكيفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم ، وان العلماء بزعمه قالوا ليس في شيء منها اجتهاد رأي ليدرك كيفية ذلك ، أو يشبه شيئا منها بشيء مما هو للخلق موجود . قال وهذا خطأ كما ان الله ليس كمثله شيء فكذلك ليس ككيفيته شيء .

قال ابو سعيد: فقلنا لهذا المعارض المشنع اما كقولك ان كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو في الخلق خطأ فانا لا نقول انه خطأ كما قلت، بل هو عندنا كفر ونحن بكيفيتها وتشبيهها بما هو في الخلق موجود أشد اتقاء منكم غير انا كما انا لا نشبهها ولا نكيفها لانكفر بها ولا نكذب بها ، ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها امامك المريسي في أماكن من كتابك ، واما ماذكرت من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الله فانا لانجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والاحكام التي نراها بأعيننا ونسمعها في آذاننا فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون؟ غير أنا

لا نقول فيها كما قال امامك المريسي : ان هذه الصفات كلها كشيء واحد وليس السمع منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، ولا اليد منه غير النفس ، وان الرحمن ليس يعرف بزعمكم لنفسه سمعا من بصر ولا وجها من يدين ولا بصراً من سمع ،هو كله بزعمكم سمع وبصر ووجه ويد ونفس وعلم ومشيئة وارادة،مثل الارضين والسماء والجبال والتلال والهواء التي لايعرف لشيء منها شيء من هذه الصفات والذوات. والله تعالى عندنا متعال أن يكون كذلك. فقد ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال (انني معكما أسمع وأرى ـ وقال ـ انا معكم مستمعون) وقال (لايكلمهم الله ولا ينظر اليهم) ففرق بين الكلام والنظر دون السمع فقال عند السماع (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ـ الى قوله ـ ان الله سميع بصير) وقال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ولم يقل قد رأى الله ، وقال في موضع الرؤية (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ـ وقال ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ولم يقل سمع الله تقلبك وسمع عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السماع فيما يرى، كما انهما عنده خلاف ماعندكم . وكذلك قال الله تعالى (تجري باعيننا ـ وقال ـ ولتصنع على عيني) ولم يقل لشيء من ذلك على سمعي. فكما انا لا نكيف هذه الصفات لا نكذب بها كتكذيبكم ، ولا نفسرها كباطل تفسيركم انتهى

فتأمل رحمك الله كلام هذا الامام بعين البصيرة يتبين لك بطلان كلام هذا المعترض وكذبه على أهل البيت وانه هو وشيعته من أبعد الناس عن اتباعهم وانما يتبعون اعداء الملة الاسلامية والطريقة المحمدية ، كجهم والمريسي وأحزابهما من أهل البدع والضلال والله أعلم

فصل

قال المعترض (فان قلت انت تروي اجماع أهل البيت في هذه المسائل، وقد عرفت تفرقهم في المذاهب فمنهم الاشعري والحنبلي وغير ذلك. قلت أجل ولكن لم يحدث التفرق إلا بعد انعقاد إجماع الآل في العصور المتقدمة، ولا يضر ذلك التفرق بعد وشب فروخ من ذكر عن منهج أهل البيت الاولين نشأتهم بين من لم يعرف اهل البيت ولا كتبهم فأخذوا عن العلماء إلى آخره)

(فالجواب) ان يقال قد نقضت بكلامك هذا الاصل الذي أصلته، وهو ان جميع اهل البيت لايخالفون كتاب الله وانهم العصمة وباب حطة وجميع دلائلك التي استدللت بهـا من الآيات والاحاديث ينازعك خصومك في دلالتها على ماأردت، وقد تقدم جواب ذلك مبيناً. وهذا على التقدير والتنزل والا فاكثر هذه الاحاديث التي رويتها عن رسول الله ﷺ قد طعن فيها أهل العلم بالاخبار، وبينوا انها من وضع الكذابين على رسول الله ﷺ

فاذا كنت قد أقررت ان أهل البيت في هذا الزمان وقبله بازمنة متطاولة قد افترقوا وصار بعضهم مع خصومكم. فكذلك أهل البيت في العصر الاول ودعواك اجماعهم كذب ظاهر، وهذه نصوص أهل البيت قد نقلناها لك فيما تقدم من الرد عليك. وهذا ابن عباس رضي الله عنهما من أكابر علماء أهل البيت وقد فسر الاستواء في حقه تبارك وتعالى بالاستقرار كما حكى ذلك مقاتل والكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « استوى بمعنى استقر »

وقد ذكر الطبرسي وهو من أئمة الشيعة في كتاب (مجمع البيان بعلوم القرآن) في تفسير قوله (وسع كرسيه السموات والارض) فقال مالفظه: اختلف فيه على أقوال (أحدها) وسع علمه السموات والارض، عن ابن عباس ومجاهد

وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ويقال للعلماء «كراسي» كما يقال لهم «الأوتاد» لان بهم قوام الدين والدنيا ، (وثانيها) ان الكرسي ههنا هو العرش، عن الحسن وانما سمي كرسيا لتركيب بعضه على بعض (وثالثها) ان المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة (ورابعها) ان الكرسي سرير دون العرش. وقد روي ذلك عن أبي عبد الله . وقريب منه ماروي عن عطاء انه قال «ما السموات والارض عند الكرسي إلا كحلقة في فلاة» ومنهم من قال ان السموات والارض جميعا على الكرسي، والكرسي تحت العرش والعرش فوق السموات. وروى الاصبغ بن نباتة أن عليا (رض) قال «السموات والارض ومافيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه باذن الله تعالى» انتهى .

وهذا يبين كذب هذا المعترض على اهل البيت في دعوى الاتفاق منهم في هذه المسائل

فصل

وأما قوله في الاعتراض على قول المجيب في قوله (وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) ثم ذكر أن مراد السائل عن ذلك استظهار ماعند المسئول ،هل يقدم أبا بكر (رض) على علي (رض) في الخلافة أم العكس ؟ وان المجيب أتى بما يعهده من تفسير الآية ،فأعرض عن غرض السائل وقصده ،ثم انه قد اطلع على روايات مسندة ان الحديث الذي أسره رسول الله ﷺ هي خلافة علي على الامة وتقديمه على أبي بكر رضي الله عنه

ثم قال المعترض (وأنا أقول ينظر في تصحيح هذه الروايات،وإذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه)

(فالجواب) أن يقال : هذا المعترض قد كفانا المؤنة في رد هذه الروايات الباطلة ،وذكر انها إذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه. وذلك

ان الامر إذا صح عن رسول الله ﷺ انه فعله أو أمر به لا يقال فيه فما فائدة الاسرار بذلك ، بل إذا صح أن رسول الله ﷺ فعل شيئا أو أمر به فلا يفعله ولا يأمر به إلا لما فيه من الفائدة العظيمة ، والمصلحة العميمة ، ولا يقول مثل هذا الكلام إلا من هو من أجهل الجاهلين ، وأبطل المبطلين ، كيف يجوز عند من له أدنى مسكة من العقل والدين ان يصح عنده أن رسول الله ﷺ فعل شيئا أو أمر به ولا يكون في ذلك فائدة أصلا؟ ولكن هذا شأن أهل البدع والضلال لا يقدرون رسول الله ﷺ حق قدره ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه

فصل

وأما قوله (وقد علمنا بالتواتر المعنوي من السنة أن النبي ﷺ قد أعلن وأنذر وأفصح وأكثر في تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الصحابة رضي الله عنهم في الولاية ، ولكن أهل البيت بعد علمهم بتقديم علي لم يخوضوا في جانب من تقدم إلا كخوضه رضي الله عنه ، من ابانة الحق للامة ، وانه الاقدم والتوجع فقط في مواطن ، خروجا منه عن التلبيس والمداهنة في الدين ، إذ الحق لله تعالى ، فإذا هو رضي الله عنه قد فرض انه أسقط حقه وجب عليه ابانة ماهو لله إذ هو المولي له ، فلم يسكت بل أعلن رضي الله عنه بما يجب عليه ، وأهل البيت وصفوة شيعته لم يصنعوا الا كما صنع علي ، فلم يغلوا غلو الامامية ولا الباطنية نسأل الله السلامة)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان هذا من أظهر الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى علي رضي الله عنه . وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره بالاسانيد الثابتة قصة خروج علي والعباس من عند النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه حين قال الناس لعلي ، ياأبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال . «أصبح بحمد الله بارئا» فقال له العباس رضي الله عنه « انت والله بعد ثلاث عبد العصا اني لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا الى رسول الله ﷺ نسأله :

فيمن هذا الامر فان كان فينا عرفنا ذلك ، وان كان في غيرنا علمناه فاوصى بنا»
فقال علي رضي الله عنه «انا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها
الناس بعده ، واني والله لاأسألها رسول الله ﷺ» أخرجه البخاري عن إسحاق،
أخبرنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة حدثني أبي عن الزهري أخبرني عبد الله بن
كعب بن مالك الانصاري، وكان كعب أحد الثلاثة الذين تيب عليهم: ان ابن عباس
أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي منه
وذكر الحديث كنحو ماسقناه ، وكل هؤلاء الذين رووا هذا الحديث أئمة مشاهير

(الوجه الثاني) ما أخرجه احمد والبيهقي بسند حسن عن علي أنه قال لما ظهر
يوم الجمل «أيها الناس ان رسول الله ﷺ لم يعهد الينا في هذه الامارة شيئا حتى
رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فاقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم ان أبا بكر
رأى من الرأي أن يستخلف عمر فاقام واستقام، ثم ضرب الدين بجرانه ثم ان أقواما
طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها»

(الوجه الثالث) ماروى جمع من اهل الحديث كالدارقطني وابن عساكر
والذهبي وغيرهم: ان عليا أقام بالبصرة حين بايعه الناس: فقام اليه رجلان فقالا له،
اخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولي على الامر وعلى الامة ، تضرب
بعضها ببعض ، أعهد من رسول الله ﷺ عهده اليك ؟ فحدثنا فانت الموثوق به
والمأمون على ماسمعت . فقال «اما أن يكون عندي عهد من رسول الله ﷺ في
ذاك فلا والله ، لأن كنت أول من صدق به فلا أكون اول من كذب عليه،
ولو كان عندي منه عهد في ذلك ماتركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب
يثبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ، ولو لم أجد الا بردي هذه ، ولكن رسول الله
ﷺ لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة ، ومكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه
لصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس ، وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من

نسائه تصريفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال « أنتن صواحب يوسف، مرو أبا بكر فليصل بالناس » فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا ،وكانت الصلاة أعظم شعائر الاسلام، وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه فكان لذلك أهلا، لم يختلف عليه منا اثنان ـ وفي رواية ـ فاديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده فكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو اذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما قبض رضي الله عنه بايعنا عمر، لم يختلف عليه منا اثنان، فأديت له حقه وغزوت معه وعرفت طاعته وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو اذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما قبض رضي الله عنه تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن ان لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيئا الا لحقه في قبره فاخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة لآثر بها ولده وبرىء منها لرهط أنا أحدهم فظننت الا يعد لوا بي فأخذ عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان ، فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه ، وكنت آخذ اذا اعطاني، وأغزو إذا أغزاني، واضرب بين يديه الحدود بسوطي . فلما أصيب فاذا الخليفتان اللذان اخذاها بعهد من رسول الله ﷺ اليهما بالصلاة قد مضيا . وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين واهل هذين المصرين ـ الكوفة والبصرة ـ فوثب فيها من ليس مثلي، ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي، ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بها منه، يعني معاوية »أخرجه هؤلاء الأئمة واخرجه اسحاق بن راهويه من طرق اخرى. قال الذهبي وهذه طرق يقوي بعضها بعضا، قال وأصحها مارواه اسماعيل بن علية فذكره، وفيه لما قيل لعلي : اخبرنا عن مسيرك اعهد عهده اليك النبي ﷺ أم رأى رأيته

فهذه الطرق كلها عن علي رضي الله عنه متفقة على نفي النص بامامته ووافقه على ذلك علماء أهل بيته فقد اخرج ابو نعيم عن المثنى بن الحسن السبط انه لما قيل له «من كنت مولاه فعلي مولاه» نص في امامة علي فقال « أما والله لو اراد النبي ﷺ بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم به فان رسول الله ﷺ كان افصح الناس ولقال لهم يا أيها الناس هذا ولي امري. والقائم عليكم بعدي، فاسمعوا له واطيعوا ما كان من هذا شيء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر والقيام به للمسلمين من بعده، ثم ترك علي امر الله ورسوله أن يقوم به ، او يعذر فيه للمسلمين - إن كان اعظم الناس خطيئة لعلي اذ ترك امر الله ورسوله - وحاشاه من ذلك»

وكلام علي واهل بيته في الثنا على ابي بكر وعمر كثير جدا بعد ماافضت اليه الخلافة وتواتر عنه انه قال « خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »

وروى البخاري في صحيحه عن سفيان الثوري عن منذر عن محمد بن الحنفية قلت لأبي: ياأبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال «يا بني أبو بكر» قلت ثم من؟ قال «عمر» فخشيت أن يقول ثم عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال «يا بني انما أنا رجل من المسلمين» وصح هذا عنه من وجوه كثيرة وطرق متغايرة يصدق بعضها بعضا

قال بعض أهل الحديث انه رواه عن أكثر من ثمانين نفسا من خواص أصحابه وأهل بيته

فقد تبين بما ذكرنا بطلان دعوى المعترض أن رسول الله ﷺ نص على إمامته فاذا ادعوا أن هذا مكذوب على أهل البيت امكن خصومهم أن يدعوا الكذب فيما رووه عن أهل البيت والدلائل الصحيحة التي احتجوا بها على النص على امامة علي رضي الله عنه كقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله) وكحديث غدير خم وقوله « من كنت مولاه فعلي مولاه » فكل هذا ليس بصريح في

النص على امامته والله تبارك وتعالى قد فرض على رسوله ﷺ البلاغ المبين الذي يفهمه عامة الناس وخاصتهم وتلك الدلائل معارضة بما هو اصح منها واصرح ، لكن هؤلاء لا يقبلون رواية اهل السنة ، فلا حاجة الى الاطالة بذكرها

(الوجه الرابع) أن دعواهم النص على إمامته رضي الله عنه قد عارضها أقوام ادعوا النص على العباس وعلى غيره ، فالدعاوي الباطلة تمكن كل احد . وقد قال الامام أبو محمد بن حزم في كتاب (الملل والنحل)

«اتفق جميع فرق اهل القبلة وجميع المعتزلة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج — حاشا النجدات من الخوارج خاصة[1] — على وجوب الامامة فرضا ، وان على الامة الانقياد لامام عدل يقيم فيهم أحكام الله عز وجل ، ويسوسهم بأحكام الشريعة . ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على فرقتين: فذهب أهل السنة وجميع الشيعة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة الى أن الامامة لا تجوز الا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك. وذهبت الخوارج كلها وبعض المرجئة وبعض المعتزلة الى انها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان أو عربيا او عجميا . قال أبو محمد : وبوجوب الامامة في ولد فهر بن مالك نقول، لنص رسول الله ﷺ على أن الأئمة من قريش . وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ، رواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومعاوية رضي الله عنهم ، وروى (جابر) ابن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم معناها . ومما يدل على معناها اذعان الانصار يوم السقيفة وهم أهل الدار والمنعة والعدد والسابقة في الاسلام رضي الله عنهم ، ومن المحال الممتنع الباطل أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم في ذلك

ثم قال : ولا يخلو قول رسول الله ﷺ « الأئمة من قريش » من أحد

(١) وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة

وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكون أمراً وإما أن يكون خبراً ، فان كان أمرا فمخالف امر رسول الله ﷺ فاسق ، وعمله مردود ، وان كان خبرا فمجيز تكذيب رسول الله ﷺ كافر

«ثم اختلف القائلون بأن الامامة لاتكون إلا في صلبية قريش فقالت طائفة :

هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط ،وهذا قول اهل السنة وجميع المرجئة وبعض المعتزلة . وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وقال بعض بني الحارث بن عبد المطلب: لا تجوز الخلافة الا لبني عبد المطلب خاصة وهم أربعة فقط لم يعقب لعبد المطلب غيرهم وهم : العباس والحارث وأبو طالب وأبو لهب . وبلغنا عن رجل من أهل طبرية الاردن: لا تجوز الخلافة الا في بني امية بن عبد شمس وكان له في ذلك تأليف مجموع وروينا كتابا مؤلفا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا في ولد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقط

قال أبو محمد « وهذه الفرق الاربعة لم نجد لهم شبهة تستحق ان يشتغل بها الا دعاوي كاذبة لا وجه لها مع انقطاع القائلين بها ودثورهم

وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد العباس وهو قول الراوندية[1] واحتجوا بأن العباس كان عاصب رسول الله ﷺ ووارثه . قالوا فاذا كان كذلك فقد ورث مكانه، وهذا ليس بشيء لان الميراث لو صح له لما كان ذلك الا في المال خاصة، وأما المرتبة فما جاء قط في الديانة أنها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ،

«وقد صح باجماع جميع أهل القبلة — حاشا الروافض — ان رسول الله ﷺ قال « إنا لا نورث ، ماتركناه صدقة » فاعترضوا بقول الله عز وجل (وورث سليمان داود) وقوله تعالى حاكيا عن زكريا (فهب لي من لدنك وليا يرثه

---

(١) نسبة الى ابن الراوندي

ويرث من آل يعقوب) وهذا لا حجة لهم فيه لان الرواة وحملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة وكواف بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم : ان داود عليه السلام كان له بنون ذكور جماعة غير سليمان فصح أن سليمان ورث النبوة وهكذا القول في ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قول زكريا عليه السلام (يرثني ويرث من آل يعقوب) فاي شيء كان يرث من آل يعقوب؟ لكل سبط من أسباط يعقوب عصبات عظيمات وهم مئو ألوف فصح انه انما رغب في ولد يرث عنه وعن آل يعقوب النبوة فقط وأيضا فمن المحال أن يرغب زكريا في ولد يحجب عصبته عن ميراث اذ انما يرغب في هذا ذو الحرص على الدنيا وحطامها ، وقد كان العباس حيا قائما إذ مات رسول الله ﷺ فما ادعى العباس لنفسه في ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك فصح انه رأي محدث فاسد لا وجه للاشتغال به ومارضيه أحد قط من خلف ولده ولا من اماثلهم ترفعا عن سقوط هذه الدعوى ووهنها وبالله التوفيق

«وأما القائلون بان الامامة لاتكون إلا في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانهم انقسموا قسمين، فقالت طائفة: ان رسول الله ﷺ نص على علي رضي الله عنه بانه الخليفة بعده . وان الصحابة رضي الله عنهم بعد موته اتفقوا على ظلم علي رضي الله عنه وعلى كتمان ذلك النص وهؤلاء هم الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبي ﷺ على علي، لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالخلافة، وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، ثم اختلفت الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه ، فكفروا كل من خالفه من الصحابة رضي الله عنهم، وهم الجارودية، وقالت طائفة لم يظلموه لكن طابت نفسه بتسليم حقه إلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، وانهما اماما هدى ووقف بعضهم في عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وجميع الزيدية لايختلفون في ان الامامة في جميع بني

علي بن أبي طالب رضى الله عنه من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه

«وقالت الروافض باجمعهم: الامامة في علي رضي الله عنه وحده بالنص عليه، ثم في الحسن ثم في الحسين رضي الله عنهما، وادعوا نصا آخر من النبي ﷺ عليهما بعد أبيهما، ثم علي بن الحسين لقول الله عز وجل (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قالوا فولد الحسين أحق من بني أخيه الحسن، ثم محمد بن علي بن الحسين، ثم في جعفر بن محمد، ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة ابنه اسماعيل ابن جعفر وادعوا انه حي لم يمت، والذي لاشك فيه انه مات في حياة أبيه وهو كان أكبر بنيه. وقالت طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر. وقالت طائفة جعفر بن محمد حي لم يمت

«وقال جمهور الروافض بامامة ابنه موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد ابن علي بن موسى ثم علي بن محمد بن علي بن موسى، ثم الحسن بن علي ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن ولد فأخفاه، وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل

« وكانت طائفة قديمة رئيسهم المختار بن أبي عبيد الثقفي وكيسان المكنى بابي عمرة وغيرهم يذهبون إلى ان الامام بعد الحسين بن علي رضي الله عنه اخوه محمد المعروف بابن الحنفية، ومن هذه الطائفة السيد بن اسماعيل الحميري الشاعر، وكثير عزة الشاعر، وكانوا يقولون ان محمد بن الحنفية حي بجبل رضوى، ولهم من التخليط ماتضيق عنه الصحف الكثيرة.

«وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث مكذوبة موضوعة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء

قال ابو محمد « لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها وانما يجب أن

يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام به عليه الحجة سواء صدقه المحتج به اولم يصدقه لان من صدق شيئا لزمه القول به أو بما يوجب العلم الضروري فيصير الخصم حينئذ ان خالفه مكابراً بالباطل منقطعاً . إلا أن بعض مايشغبون به أحاديث صحيحة منها قول رسول الله ﷺ لعلي « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي »

قال أبو محمد « وهذا لايوجب فضل علي على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده لان هارون عليه السلام لم يل أمر بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام وانما ولي الامر بعد موسى عليه السلام فتاه يوشع بن نون وهو صاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الامر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إذ هاجر ﷺ إلى المدينة وإذا لم يكن علي نبيا كما كان هارون ولا كان هارون خليفة على بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام . فقد صح أن كونه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام انما هو في القرابة فقط . وأيضا فانما قال رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون استثقله فخلفه فلحق علي رضي الله عنه برسول الله ﷺ حينئذ فشكا اليه فقال ﷺ « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » لاستخلافه إياه على المدينة مختاراً له . ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعدها على المدينة في غزواته وعمره وحجه رجالا سوى علي رضي الله عنه

فصح أن هذا الاستخلاف لايوجب لعلي فضلا على غيره ممن استخلفه ، ولا يوجب أيضا ولاية الامر بعده ﷺ كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين

قال أبو محمد « وعمدة ما احتجت به الامامية أنه لابد أن يكون إمام معصوم ، عنده جميع علم الشريعة يرجع الناس اليه في أحكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين .

قال أبو محمد « هذا لا شك فيه وهو معروف ببراهينه الواضحة ، وأعلامه

المعجزة وآياته الباهرة ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله الينا ببيان دينه الذي الزمنا اياه ﷺ ، فكان كلامه وعهوده وما بين وبلغ من كلام الله عز وجل حجة باقية معصومة من كل آفة ـ الى كل من بحضرته وإلى من كان في حياته غائبا عن حضرته وإلى كل من يأتي بعد موته ﷺ الى يوم القيامة ـ من جن وانس قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)

فهذا نص ما قلناوابطال اتباع أحددون رسول الله ﷺ ، وانما الحاجة الى فرض الامامة لينفذ الامام عهود الله عز وجل الواردة الينا على من عند فقط لا لان يأتي الناس بما لا يشاؤونه في معرفته من الدين الذي أتاهم به رسول الله ﷺ. ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ ادعي الى التحاكم بالقرآن اجاب. واخبر ان التحاكم الى القرآن حق ، فان كان على رضي الله عنه أصاب في ذلك فهو قولنا ، وان كان أجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ، ولو كان التحاكم الى القرآن لا يجب الا بحضرة الامام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الامام المبلغ عن رسول الله ﷺ

فان قالوا إذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من أمام يبلغ الدين . قلنا هـذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته ، وانما الذي يحتاج اليه أهل الارض من رسول الله ﷺ فهو بيانه ﷺ وتبليغه فقط سواء في ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس في شخصه المقدس ﷺ اذا لم يتكلم أو يعمل بيان عن شيء من الدين فالمراد عنـه ﷺ ق أبدا مبلغ الى كل من فى الارض .

وأيضا : فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى أمام موجود ابدا لـكان ذلك منتقضا عليهم بمن كان غائباعن حضرة الامام في أقطار الارض ، اذ لا سبيل

الى مشاهدة الامام لجميع أهل الارض في المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذي يهلك أن أغفله ، فلا بد من التبليغ عن الامام. فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع من التبليغ عمن دونه . وهـذا مالا انفكاك منه

قال أبو محمد « لا سيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد على ابن أبي طالب والحسن والحسين ابنيه رضي الله عنهم ماأمروا قط في غير منازل سكناهم ولاحكموا على قرية فما فوقها بحكم. فما الحاجة اليهم لاسيما منذ مائة ونيف وثمانين عاما فانهم ينتظرون اماما ضالة من الضوال لم يخلق كعنقاء مغرب هم أولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لا يعجز عنها أحد

«ويقال لهم أيضا كون الدين كله عند امام واحد معصوم من حين موت النبي ﷺ الى انقضاء الدهر لايخلو من أن يكون أحكام الدين عند ذلك الامام من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها إما عن وحي من الله عز وجل فهذه نبوة ومن قال بنبوة بعد رسول الله ﷺ غير المسيح فقد كفر وارتد وحل دمه أو عن إلهام وهذا وسواس من الشيطان وليس هو اولى بدعوى الالهام من غيره او بتعليم من رسول الله ﷺ فان كان رسول الله ﷺ أعلم سائر الناس بما اعلم به على بن ابي طالب فعلي وغيره في ذلك سواء ولا فرق (وان كان ﷺ كتم من سائر الناس ما علمه علي بن ابي طالب فلم يبلغ كما امر . قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فمن قال انه ﷺ لم يبين للناس ما انزل الله اليه بل كتمهم إياه وخص به علي بن أبي طالب سرا فقد كفر اذ وصف النبي ﷺ بانه عصى أمر ربه تعالى له بالبيان للناس جهاراً فبطل ما ادعوه يقينا من كل وجه والحمد لله رب العالمين .

«وايضا فنقول لهؤلاء المخاذيل وبالله التوفيق : هل بين هؤلاء ما ادعوه من

الدين أو لم يبينوا ولا بد من أحدهما فان قالوا بينوا ما عندهم قلنا وتبيين أولهم يكفي عن الآخر منهم لانه يصير ما بين عند الناس ينقلونه جيلا عن جيل فبطلت الحاجة اليهم فان قالوا لم يبينوا وهو قولهم لانهم عندهم صامتون حتى يأتي الامام الناطق

(الثاني عشر) قلنا لهم فهل حاقت بهم اللعنة من الله تعالى بنص القرآن اذ لم يبينوا ماعندهم من الهدى . وبالجملة فما أمة أحمق من الروافض والنصارى جملة

قال ابو محمد «وبرهان آخر ضروري وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم حضور – حاشا من كان منهم في النواحي – فما منهم أحد أشار إلى الناس في علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله ﷺ نص عليه ولا ادعى ذلك علي رضي الله عنه قط، لا في ذلك الوقت ولا بعده، ولا ادعاه أحد له ولا بعده في ذلك الوقت. ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن ألبتة ولا يجوز اتفاق أكثر من عشرين ألف انسان متنابذي الهمم والنيات والانساب أكثرهم موتور من صاحبه في الدماء من الجاهلية على طي عهده ﷺ اليهم وما وجدنا قط رواية عن أحد بهذا النص المدعى إلا رواية موضوعة واهية عن قوم مجهولين لا يعرفهم أحد عن مجهول يكني أبا الحمراء لا يعرف من هو ، ووجدنا عليا رضي الله عنه قد توقف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع طائعا مبادراً راجعا عن تأخره عنها مختاراً غير مكره، فكيف حل لعلي عند هؤلاء النوكي أن يبايع طائعا لرجل كافر أو فاسق جاحد لنص رسول الله ﷺ وأن يعينه على أمره ، وأن يشاهد في مجلسه وأن يواليه إلى أن مات . ثم بايع بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعاً ، وصحبه وأعانه على أمره ، وأنكحه ابنته من فاطمة رضي الله عنها، ثم قبل ادخاله في الشورى أحد ستة رجال؟ فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء الجهال أن

يشارك بنفسه في شورى ضلالة أو كفر ،وأن يغر الامة هذا الغرور؟ هذا الامر أدى أبا كامل — وهو من أئمة الروافض — إلى تكفير علي لأنه زعم انه أعان الكفار على كفرهم،وأيدهم على كتمان الديانة،وعلى ستر مالا يتم الدين إلا به

قال ابو محمد « ولا يجوز أن يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات ثم يوم الجمل وصفين، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين؟ وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي رضي الله عنه ومنعه حقه مذ مات رسول الله ﷺ الى أن قتل عثمان رضي الله عنه ؟ ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه إذ دعا لنفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه، ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه ؟ فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة أيام، أو يوم السقيفة ؟

وأظرف من هذا كله بقاؤه ممسكا عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما سئلها، ولا أجبر عليها ولا كلفها ،وهو متصرف بينهم في أموره، فلولا أن رأى الحق فيها فاستدرك أمره فبايع طالباً حظ نفسه في دينه راجعا عن الخطا الى الحق لما بايع . فان قالت الروافض انه بعد ستة أشهر رأى الرجوع عن الحق الى الباطل، فقولهم هو الباطل حقا ، لا ما فعل علي رضي الله عنه ثم ولي علي رضي الله فما غير حكما من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. ولا أبطل عهداً من عهودهم، ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه.

«وأيضاً فقد نازع الانصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عبادة . ودعا المهاجرون الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه، وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، ليس معه أحد غير الزبير بن العوام رضي الله عنه،

ثم استبان الحق للزبير فبايع سريعاً ، وبقي علي وحده لايرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ، ولا يمنع أحد من لقائه، فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه من أن يكون عن أحد ثلاثة أوجه لارابع لهـا ألبتة : إما عن غلبة، وإما عن ظهور حقه اليهم فأوجب عليهم الانقيـاد لبيعته ، وإما فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى . فان قالوا بايعوه بغلبة ظهر فاحش كذبهم ، لانه لم يكن هناك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد، ولا وقت طويل ينفسح للوعيد ولا سلاح مأخوذ ، ومن المحال الممتنع أن يترك أزيد من ألفي فارس انجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة ، وقد ظهر من شجاعتهم مالا مرمى وراءه، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهم ، موطنـين على الموت متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤتة وغيرها، ولحروب كسرى والفرس ببصرى، من يخاطبهم يدعوه ويدعوهم الى اتباعه ، وأن يكونوا كأحد من بين يديه. هذه صفة الانصار التي لاينكرها الا رقيع مجاهر بالكذب

«فمن المحال الممتنع الذي لايمكن البتة أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا إلى مجلسهم فقط ، وابو بكر رضي الله عنـه لايرجـع الى عشيرة كثيرة ولا إلى موالي، ولا الى عصبة ، ولا إلى مال،فرجعوا اليه ـ وهو عندهم مبطل ـ وبايعوه بلا تردد نصف يوم فأكثر

«وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا معنى ولا خوف ولا ظهور الحق اليهم. فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطرهم إلى ذلك ، ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه، بل فيما فيه ترك العز والرياسة والدنيا وتسليم كل ذلك لرجل أجنبي لا عشيرة له ولا منعـة ولا حاجب ولا حراس على بابه ،ولا قصر يمنعه ولا موالي ولامال، فأين كان علي وهو الذي لا نظير له في

الشجاعة ومعه جماعة بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه لو كان عنده ظالما ، أو عن منعه وزجره إن لم يستحل قتله ، بل قد علم والله علي أن أبا بكر رضي الله عنه على الحق ، وان من خالفه على الباطل ، فأذعن للحق إذ تبينه بعدما عرضت له فيه كبوة

« وكذلك الانصار رضي الله عنهم انما رجعوا الى بيعته بلا شك ولا مرية لبرهان حق صح عندهم عن النبي ﷺ لا لاجتهاد كاجتهادهم ، ولا لظن كظنهم ، إذ لم يبق غير ذلك ، وبطل كل ما سواه يقيناً

« وإذ قد بطل أن يكون الامر في الأنصار ، وزالت الرياسة عنهم فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبي ﷺ على إمامة علي رضي الله عنه ؟ ومن المحال الممتنع أن تتفق آراؤهم كلهم على معاونة من ظلمهم ، وغصبهم حقهم بالباطل ، إلا أن يدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد . فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ، ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شاء من المحال انه قد كان وان الناس كلهم نسوه ، وهذا إبطال الحقائق كلها

« وأيضا فان كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه ، واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه ، فمن أين وقع الى الروافض علمه ؟ ومن بلغه اليهم ؟ وهذا هوس ومحال . فبطل الامر في دعوى النص على علي رضي الله عنه بيقين لا يشك فيه ، والحمد لله رب العالمين

« فان قال قائل : ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب بين يدي رسول الله ﷺ . فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، فلذلك انحرفوا عنه ، قلنا لهم هذا تمويه ضعيف كاذب لانه ان ساغ لكم في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر بن لؤي لانه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلا أو رجالا ، فقتل من بني عامر بن لؤي رجلا

واحداً فقط وهو عمرو بن عبدود ، وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجالا وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وقيل انه قتل عقبة بن أبي معيط ، وقيل لم يقتله الا عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه ولا مزيد ،

«فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منها يوم السقيفة عقد ولا حل ، ولا رأي ولا أمر ، اللهم الا أن أبا سفيان بن حرب بن أمية كان مائلا الى علي رضي الله عنه في ذلك تعصباً للقرابة لا تدينا ، وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام المخزومي رضي الله عنهم مائلين مع الانصار تدينا ، والانصار رضي الله عنهم قتلوا أبا جهل أخا الحارث ، وكان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى علي رضي الله عنه حين قصة عثمان رضي الله عنه وبعد ذلك ، ولذلك قتله معاوية رضي الله عنه صبراً على عثمان رضي الله عنه ، فعرفونا من قتل علي من بني تيم بن مرة أومن بني عدي بن كعب أومن بني الحارث بن فهر رهط أبي عبيدة رضي الله عنه حتى يظن أهل القحة انهم حقدوا عليه ؟ ثم أخبرونا من قتل علي من الانصار رضي الله عنهم أو من جرح منهم أو من آذى منهم؟ ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها ، بعضهم متقدم ، وبعضهم مساو له ، وبعضهم متأخر عنه ؟ فأي حقد له في قلوب الانصار حتى يطبقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه ، وعلى ترك ذكر اسمه جملة ، وعلى إيثار سعد بن عبادة عليه ، وعلى إيثار أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم عليه ، والمسارعة إلى بيعتهم دونه بالخلافة ، وهو بين أظهرهم ، يرونه غدوا وعشيا لا يحول أحد بينهم وبينه ؟

«ثم أخبرونا من قتل علي من أقارب المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يطبقوا كلهم على كراهة ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ؟ وان هذه العجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلا

« ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص من القتل في المشركين كالذي كان لعلي فما الذي خصه باعتقاد الاحقاد له لو كان للروافض حياء وعقل؟ ولقد كان لابي بكر رضي الله عنه في مضادة قريش في الدعاء الى الاسلام مالم يكن لعلي، فما منعهم ذلك من بيعته، وهو أسوأ الناس أثراً عندهم في حال كفرهم. ولقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على زعمهم مالم يكن لعلي

« فليت شعرى ما الذي اذهب آثار هؤلاء وأوجب أن ينسى وأوجب أن يعادوا عليا من بينهم كلهم؟ لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم، حتى بلغ الامر بهم الى أن عدوا على سعد واسامة وابن عمر رضي الله عنهم وعلى رافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وابي هريرة وأبي الدرداء وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم سواء هؤلاء من المهاجرين والانصار ـ انهم لم يبايعوا عليا إذ دعا الى نفسه، ثم بايعوا معاوية رضي الله عنه ويزيد ابنه ـ من أدركه منهم ـ وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك .

قال ابو محمد « حمق الروافض وشدة ظلمة جهلهم وقلة حيائهم هورهم في الدمار والبوار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح

« وليت شعري أي خماشة وأي كلمة خشنة كانت بين علي وبين هؤلاء او واحد منهم؟ وانما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة، في فرقة فلما أصفق المسلمون على من أصفقوا عليه كائنا ما كان دخلوا في الجماعة، وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير ومروان، فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن مروان دخلوا في الجماعة وبايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير، لكن لما ذكرناه. وهكذا كان أمرهم في علي ومعاوية رضي الله عنهما ،

« فلاحت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين .

« فصح ضرورة بكل ماذكرنا أن القوم أنزلوه منزلته غير غالين فيه ، ولا مقصرين به رضي الله عنهم اجمعين ، وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل ، وساووه بنظرائه منهم

«ثم أوضح برهان وأبين بيان في بطلان أكاذيب الروافض أن عليا رضي الله عنه اذ دعا لنفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف من المهاجرين والانصار الى بيعته، فهل ذكر أحد من الناس قط أن أحداً من الذين بايعوه اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؟ أوهل تاب أحد منهم من جحده للنص على امامته ؟ او هل قال أحد منهم لقد تذكرت النص الذي كنت نسيته في أمر هذا الرجل ؟ ان عقولا خفي عليها هذا الظاهر اللائح لمقول مخذولة لم يرد الله أن يهديها

«ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة رضي الله عنهم على أحدهم ، ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخافه أحد ولا رئيس يتوقع، ولا مخافة من أحد، ولا جند معد للتغلب

«أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله ﷺ، او من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم . اما كان الواجب على علي رضي الله عنه أن يقول : أيها الناس كم هذا الظلم لي ؟ وكم هذا الكتمان لحقي ؟ وكم هذا الجحد لنص رسول الله ﷺ علي ؟ وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين بي ؟ فاذ لم يفعل فلا أدري لماذا ؟ أما كان في بني هاشم على كثرتهم يومئذ أحد له دين يقول هذا الكلام ؟ إما العباس عمه - وجميع المسلمين على توقيره وتعظيمه، حتى ان عمر رضي الله عنه توسل به إلى الله عز وجل بحضرة المسلمين في الاستسقاء ، واما أحد بنيه ، واما عقيل، وإما أحد بني جعفر وبني الحارث او بني أبي لهب او مواليهم. فاذا لم يكن أحد منهم يتقي الله عز وجل ولا يأخذه في قول

الحق مداهنة، اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول : يامعشر المسلمين قد زالت الرقبة ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب له حق واجب بالنص عليه، وله فضل بائن ظاهر لا يمترى فيه، فبايعوه ، فامره بين اصفاق جميع الامة أولها عن آخرها من برقة إلى خراسان ومن اذربيجان وأرمينيه الى أقصى اليمن إذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه ، وليس هنالك شيء يخافونه - لأحدى عجائب المحال المتنع ، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك إذ صار الحق حقه وقتلوا أنفسهم دونه ، فاين كانوا عن إظهار ماتنبهت له الروافض الانذال بعد مائة وخمسين عاما ؟ ثم مع هذا الكتمان والنسيان كيف بلغ الروافض علمه ؟ ومن بلغه اليهم ؟ ثم العجب اذا كان غيظهم عليه هذا الغيظ الذي تزعمه الروافض كذبا منهم ، واتفاقهم على جحد حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه؟ ام كيف أكرموه وبروه » انتهى ماذكرته من كلام الامام ابي محمد بن حزم ملخصا وهو شاف كاف في الرد على هذا المعترض واهل مذهبه

فصل

﴿ في وصف العالم الزيدى الشيعة الامامية بالغلو كالباطنية ، وإثباته غلو الزيدية دون غلوهما ﴾

وأما قوله (واهل البيت وصفوة شيعتهم لم يصنعوا إلا كما صنع علي، فلم يغلو غلو الامامية ولا الباطنية ، نسأل الله العافية)

(فالجواب) أن يقال: ماذكره هذا المعترض كاف في غلوه في حق علي رضي الله عنه ، وفي الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وفي قلة الحياء، ودعواه تشبه دعوى الامامية، لان دعوى الفريقين من أبطل الباطل وأبين المحال ، وان كان

قول الامامية والباطنية أظهر بطلانا وأبين ضلالا ، وعنـدهم من الدلائل الباطلة والاحاديث المكذوبة أكثر مما عندهذا وسلفه، حتى انهم يستدلون بآيات كثيرة من القرآن كما رأيناه مسطوراً في كتبهم ، وفي هذا لك عبرة عظيمة تبين لك أن ليس كل من ادعى اتباع اهل البيت مصيب في دعواه . والله أعلم

وأما قوله: في المسئلة الرابعة ـ ما المراد بقوله تعالى (وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) ثم ذكر ماذكره ابن مردويه عن أسماء بنت عميس سمعت رسول الله ﷺ يقول « وصالح المؤمنين: علي بن أبي طالب » فهذا أصل دعوى اهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم في تخصيص علي بالآية الكريمة ـ إلى قوله ـ وانظر بعين الانصاف في آية المباهلة حين جعل علي عليه السلام مع أخيه المصطفى نفس الانفس، وهل أخرج رسول الله ﷺ بيانا للانفس غير علي؟ بل ترك القريب والبعيد وأبرز عليا وفاطمة والحسين سلام الله عليهم)

(فالجواب) من وجوه (الوجه الاول) أن يقال ذكر صاحب الدر المنثور في تفسير الآية أقوالا عن المفسرين، فأول ماذكر في ذلك قال: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أبي يقرؤها وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر . وأخرج ابن عساكر عن ميمون بن مهران مثله ، وأخرج ابن عساكر عن الحسن البصري في قوله (وصالح المؤمنين) عمر بن الخطاب رضي الله . وأخرج ابن عساكر عن مقاتل بن سليمان قال: ابو بكر وعمر وعلي . وأخرج ابن عساكر من طريق مالك بن أنس عن زيد بن زيد في قوله (وصالح المؤمنين) قال الانبياء ، وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) ابو بكر وعمر . وأخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم في فضائل الصحابة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر، وأخرج في الاوسط وابن مردويه عن ابن عمر

وابن عباس في قوله(وصالح المؤمنين) قال نزلت في أبي بكر وعمر. وأخرج سعيد ابن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله (وصالح المؤمنين) قال نزلت في عمر بن الخطاب خاصة . وأخرج الحاكم عن أبي أمامة في قوله (وصالح المؤمنين) قال أبو بكر وعمر

فكل هذه الروايات نقلها السيوطي، ثم ذكر الروايات في انها في علي ،وذكر ان اسنادها ضعيف،فهؤلاء أئمة التفسير قد نقضوا عليك ما ادعيت من الخصوص

(الوجه الثاني) قوله (الملازم له في جميع الطرائق، المؤنس له في مدلهمات المضايق)

فيقال : تخصيص علي بذلك دون سائر الصحابة كذب ظاهر ، ومكابرة عند أولي البصائر ، كما يعرف ذلك من طالع كتب السير والتواريخ ، وهو رضي الله عنه من صغار السابقين الاولين في السن

(الوجه الثالث) قوله (وعند ابتداء النبوة والتفرد عن الناس بدين الله الأتم المستنكر عند أهله وقومه ﷺ استوحش غاية الوحشة ، وكان علي هو الولي الأتم ، والفاضل الأقدم)

فيقال :تخصيص علي بذلك دون خديجة وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم اجمعين كذب ظاهر فاحش، وغلو لا يمتري فيه إلا كل جاهل غبي، ومعلوم ان خديجة عليها السلام ورضي الله عنها أعظم من آنسه عند ابتداء الوحي، كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والسير وكتب التفاسير «انه عليه السلام لما نزل عليه الوحي في غار حراء وغطه الملك ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق ــ الى قوله ــ مالم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة . وقال « زملوني زملوني » وأخبرها الخبر وقال « لقد خشيت على نفسي »فقالت له خديجة : ابشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم،

وتعين على نوائب الحق. ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل -وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب- فقالت: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ «أو مخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً — الحديث بطوله» ولهذا استحقت أن يرسل اليها ربها تبارك وتعالى بالسلام على لسان رسوليه جبرائيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، كما ثبت ذلك بالاسانيد الصحيحة

(الوجه الرابع) انه من المعلوم المقرر عند اهل الاخبار والسير أن علي بن أبي طالب كان حال البعثة صغيرا قيل ابن ثمان سنين وقيل عشر. فهم متفقون على انه لم يبلغ الحلم حين البعثة. وأما أبو بكر الصديق وزيد بن حارثة وغيرهما من كبار الصحابة فلم يختلف احد من اهل العلم في انهم حال البعثة رجال بالغون، وهم أعظم ملازمة ومؤانسة للنبي ﷺ إذ ذاك من علي. ولهذا ذكر أهل العلم أن زيد بن حارثة هو الذي كان معه حال خروجه الى الطائف يدعوهم الى الله، وان أهل الطائف لما ضربوه وأخرجوه وأمروا سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه جعل زيد بن حارثة يقيه بنفسه، ولهذا ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها انها سألت رسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم اشد عليك من يوم أحد؟ فقال «لقد أتى علي من قومك وكان اشد ما لقيت منهم اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال، فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب» الحديث

وكذلك ابو بكر رضي الله عنه ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه قيل له: أخبرنا باشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟

قال « بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله» الآية ـ الحديث، وكان رفيقه وأنيسه وصاحبه في الغار وسفر الهجرة . كما اتفق عليه الموافق والمخالف

(الخامس) قوله : حتى أحجم أصحاب أخيه ﷺ ـ ثم ذكر قصة قتل علي رضي الله عنه عمرو بن عبدود .

(فيقال) قوله ان الصحابة أحجموا عن عمرو كذب ظاهر ، وأما كون علي رضي الله عنه هو الذي قتله فأمر مشهور، وذلك لا يقتضي فضله على من سواه

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق « من يأتينا بخبر القوم ؟» فقال الزبير: انا ، ثم قال « من يأتينا بخبر القوم ؟» فقال الزبير : انا ، فقال النبي ﷺ « ان لكل نبي حواري وان حواريي الزبير » وفي رواية: أن رسول الله ﷺ ندب الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ « إن لكل نبي حواري وان حواريي الزبير»

فالسابقون الاولون قد ورد لهم من الفضائل والخصائص مثل ماورد لعلي

(الوجه السادس) قوله : حتى ردت راية رسول الله ﷺ حتى قال «لأ بعثن بالراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله »

فيقال قد ثبت ان رسول الله ﷺ قال هذا لغيره من الصحابة وليست من خصائصه ، بل هي فضيلة شاركه فيها غيره ، بخلاف ماثبت من فضائل أبي بكر وعمر. فان كثيراً منها خصائص لهما لاسيما فضائل ابي بكر. فان عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ انه قال « إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده ابو بكر» وقال «ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر »

(الوجه السابع) احتجاجه بحديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» تقدم الجواب عليه في كلام ابن حزم بما يكفي

وأما احتجاجه بحديث المباهلة فنفس الحديث يدل على ان ذلك ليس من خصائص علي رضي الله عنه لانه قد شاركه فيه فاطمة وحسن وحسين كما شاركوه في حديث الكساء، فعلم أن ذلك لايختص بالرجال ولا بالذكور ولا بالأئمة ، بل شركه فيه المرأة والصبي فان الحسنين كانا صغيرين عند المباهلة فان المباهلة كانت لما قدم وفد نجران بعد فتح مكة سنة تسع او سنة عشر والنبي ﷺ مات ولم يستكمل الحسين سبع سنين والحسن أكبر منه بنحو سنة،وانما دعا هؤلاء لان الله أمر أن يدعو كل واحد من المتباهلين الابناء والنساء والانفس ، فيدعو الواحد من أولئك أبناءه ، ونساءه ، وأخص الرجال به نسبا ،وهؤلاء أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وإلا كان غيرهم أفضل منهم عنده، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه لان المقصود ان يدعو كل واحد أخص الناس به، لما في جبلة الانسان من الخوف عليه وعلى ذوي رحمه الاقربين اليه. ولهذا خصهم في حديث الكساء لهم، والمباهلة مبناها على العدل فاولئك أيضاً يحتاجون ان يدعوا أقرب الناس اليهم نسباً ، فهم يخافون عليهم مالا يخافون على الاجانب . والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (حتى روى المحدثون من فضائله قول رسول الله ﷺ « أنت مني كرأسي من جسدي »)

فالجواب أن يقال : هـذا الحديث لايعرف في شيء من الكتب المعتمدة كالصحيحين والسنن والمسانيد ، ولم يصححه أحد من أهل الحديث المعروفين بنقد الحديث ، والتمييز بين صحيحه من موضوعه ، ومجرد رواية بعض اهل الكتب لا توجب صحته، لان كثيرا من اهل الكتب يروون في كتبهم الصحيح والحسن والضعيف والموضوع . وذلك لانهم يميزون بين الحديث الذي تقوم به الحجة

عما لاتقوم به الحجة . ولهذا كانوا يخرجون في كتبهم جميع الاحاديث الصحيحة والضعيفة والحسنة والموضوعة ، وأهل الخبرة بالحديث وعلله ورجاله يميزون الحديث الصحيح من غيره ، كما يميز الصيرف البصير الدراهم المغشوشة ، والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل

ثم قال المعترض (فاذا تقرر ذلك فقد قال كثير من العلماء المحققين إن المطلق اذا ورد صرف وخص بالأغلب المألوف المعروف حال الورود مثل تحريم الميتة في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع والترطب ، ولا يدخل تحريم غير الاكل بالآية بأدلة السنة ، فكذلك نصنع في قوله (وصالح المؤمنين) فانه مطلق فيصرف الى تخصيص الولاية بعلي رضي الله عنه . ويؤيد التخصيص الاضافة لتتم فائدتها وهو التخصيص ، اذ هو اولى من جعلها للعموم كما ذكره المجيب ، لان العموم يوجب المصير الى كون الاضافة بيانية وهو خلاف الغالب في الاضافة ، ولو جازت غلبت الولاية ، وحصلت لصحابي بملازمته لرسول الله ﷺ مثل علي عليه السلام لتلقيناه بالقبول ووضعناه على الرأس ولا نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فالجواب) من وجوه (احدها) أن يقال : امكنت والله الرامي من سواء الثغرة ، ونقضت الاصل الذي اصلت ، والدلائل التي اوردت من الاحاديث التي سطرت ، كحديث زيد بن ارقم في قوله « فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين: كتاب الله وعترتي اهل بيتي» الخ . فيقول لك خصمك :هذا محمول على اهل بيته المعهودين المعروفين في زمانه ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية . وهذا عكس مراد المعترض ، لانه قرر في كلامه ان اهل البيت كلهم ، من كان منهم من الصحابة ومن جاء بعدهم من ذرياتهم - انهم كلهم داخلون في عموم هذه الآيات التي

أورد ، والاحاديث التي ذكر ، فكيف يقول هذا الجاهل بكلام الله ورسوله ، وكلام اهل العلم : ان المطلق اذا ورد صرف وخص بالاغلب المألوف المعروف حال الورود . فيقول لك خصمك : دلائلك هذه التي اوردت محمولة على اهل بيته المعهودين المعروفين في زمانه كالعباس واولاده وجعفر واولاده وعقيل وأولاده وأبي سفيان بن الحارث وأولاده وأولاد أبي لهب، وعلي وأولاده منهم، ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية، فاهذا الاعتراض البارد الذي كشف الله به عورتك وجعلك به ضحكة عند من نظر في كلامك ؟ وهذا الوجه كاف في رد كلام هذا المعترض

(الوجه الثاني) أن يقال قوله عن كثير من العلماء المحققين ، ان المطلق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المألوف المعروف حال الورود مثل تحريم الميتة في قوله (حرمت عليكم الميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع والترطب الخ . فهذا يدل على جهل هذا المعترض بما ذكره علماء الاصول المحققون . فقد قال ابو زرعة أحمد بن الامام عبد الرحيم بن الحسين العراقي الشافعي في شرحه على جمع الجوامع لابن السبكي تقي الدين رحمه الله — وهذا لفظ المتن والشارح :

(العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر) [ش] فهم من تصدير تعريف العام باللفظ انه من عوارض الالفاظ ، والمراد لفظ واحد للاحتراز عن الالفاظ المتعددة الدالة على أشياء متعددة ، وخرج بقوله (يستغرق) المطلق فانه لا يدل على شيء من الافراد اصلا، والنكرة في سياق الاثبات مفردة كانت أو مثناة أو مجموعة أو عددا ، فانها انما تتناول الافراد على سبيل البدل ، واحترز بقوله (الصالح له عما لا يصلح ، فعدم استغراق « ما » لمن يعقل انما هو لعدم صلاحيتها له أي عدم صدقها عليه لا لكونها غير عامة ، وخرج بقوله (من غير حصر) أسماء العدد فانها متناولة للصالح لها لكن مع الحصر ، وهذا مبني على انها ليست عامة ، وتبعه المصنف هناك ، وزاد البيضاوي وغيره في هذا التعريف « بوضع واحد » ليخرج المشترك اذا أريد به معناه ،

فانه مستغرق لما يصلح له لكن بوضعين لا بوضع واحد، فتناوله لها ليس من العموم

(ص) والصحيح دخول النادرة وغير المقصودة تحته ، وانه قد يكون مجازاً ، وانه من عوارض الالفاظ ،قيل والمعاني وقيل به في الذهن ويقال للمعنى أعم، واللفظ عام)

(ش) فيه مسائل (الاولى) الصحيح أن الصورة النادرة تدخل في العموم . وقال الشارح: زعم المصنف ان الشيخ أبا اسحاق الشيرازي حكى فيه خلافا ولم أجده في كتبه وانما يوجد في كلام الاصوليين اضطراب فيه يمكن أن يؤخذ منه الخلاف ، وكذا في كلام الفقهاء ولهذا اختلفوا في المسابقة على الفيل على وجهين (أصحهما) نعم لقوله عليه السلام « لاسبق إلا في خف أو حافر » (والثاني) لا، لأنه نادر عند المخاطبين في الحديث

(الثانية) الصحيح دخول الصور التي ليست مقصودة في العموم ، فان اللفظ متناول لها ولا انضباط للمقاصد ، وممن حكى الخلاف في ذلك القاضي عبد الوهاب ويوجد في كلام أصحابنا ، ولهذا قال في البسيط ـ بعد حكاية الخلاف في ذلك فيما لو وكله بشراء عبد فاشترى من يعتقه على الموكل . ومثار الخلاف التعلق بالعموم والالتفات إلى المقصود

(الثالثة) الصحيح ان المجاز كالحقيقة في انه قد يكون عاما، فلم ينقل عن أحد من أئمة اللغة ان الالف واللام أو النكرة في سياق النفي أو غيرهما من صيغ العموم ـ لاتفيد العموم إلا في الحقيقة، وخالف فيه بعض الحنفية، فزعم أن المجاز لا يعم بصيغته لانه على خلاف الاصل

(الرابعة) لا خلاف ان العموم من عوارض الالفاظ وليس المراد وصف اللفظ به مجرداً عن المعنى، بل باعتبار معناه الشامل للكثرة . وعطف المصنف ذلك على ما عبر فيه بالاصح يقتضي خلافا فيه . قال الشارح : وينبغي أن يجعل استئنافا لاعطفا على ماقبله ، قلت : يمكن انه أراد انه من عوارض الالفاظ فقط ، فيرجع

التصحيح إلى تضعيف القول بانه من عوارض المعاني أيضاً لا إلى كونه من عوارض الالفاظ ، ولذلك عقبه بقوله : قيل والمعاني . والذاهبون اليه اختلفوا في ان عروضه للمعاني هل هو حقيقة أو مجاز، فقال بعضهم حقيقة، فكما صح في الالفاظ شمول أمر لمتعدد صح في المعاني شمول معنى لمعاني متعددة بالحقيقة فيهما . وقال القاضي عبدالوهاب: مراد قائله حمل الكلام على عموم الخطاب وان لم يكن هناك صيغة تعمها ، كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) ان نفس الميتة وعينها لما لم يصح تناول التحريم لها عممنا بالتحريم جميع التصرف فيها، من الأكل والبيع واللبس وسائر أنواع الانتفاع ، وإن لم يكن للاحكام ذكر في التحريم لا بعموم ولا بخصوص . انتهى ما ذكره ابن السبكي وابو زرعة احمد بن عبد الرحيم في الشرح المذكور ،

وقال المقدسي من الحنابلة: قوله (حرمت عليكم الميتة) هي ظاهرة في جميع انواع التصرف واستدل على ان المراد جميع أنواع التصرف فيها بأدلة ذكرها

وكذلك قال ابن عقيل يحرم جميع الافعال فيها ، وقد ذكر انه قول الجبائي وابنه وعبدالجبار ، فظاهر هذا ، بل صريحه ان هذه الآية عامة في كل نوع من الانتفاع ولهذا احتج بها احمد في دباغ جلود الميتة، قال في رواية صالح: إن الله قال (حرمت عليكم الميتة) فالجلد هو من الميتة وههنا احتج بها احمد على عدم الانتفاع بالجلد

فظهر بما ذكر عن هؤلاء الائمة بطلان ماذكره هذا المعترض في عدم شمول الآية في أنواع الانتفاع ، ولهذا ثبت في الصحيح والسنن من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال - عام الفتح وهو بمكة - « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » فقيل يارسول الله: أرأيت شحوم الميتة، فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال رسول الله ﷺ « لا، هو حرام » قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود إن الله تعالى لما حرم عليهم شحوم الميتة جملوها ثم باعوها فأكلوا ثمنها »

وروى ابوداود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ جالسا عند الركن، قال فرفع بصره الى السماء فضحك فقال «لعن الله اليهود -ثلاثا- ان الله تعالى حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وان الله عز وجل إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم أكل ثمنه»

فصل

واما قوله (فلو جاءت غلبة الولاية وحصلت لصحابي لملازمته لرسول الله ﷺ مثل علي لتلقيناه بالقبول ووضعناه على الرأس، ولا نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فالجواب) ان يقال: قد كذبت في هذه الدعوى، فقد علمتم انه قد ورد لغيره من الفضائل ماهو مثل فضائل علي رضي الله عنه او أعظم، ولم تضعونها على الرأس، بل كذبتم به ورددتموه بمجرد الدعاوي الباطلة التي يمكن كل أحد أن يدعيها فيمن يحبه ويهواه. فان كنت صادقا كما زعمت فقل لنا، حتى نكتب لك ذلك وننقله من الكتب الصحيحة والتفاسير المأثورة.

فان قلتم لانقبل رواية خصومنا قال لكم خصومكم: لانقبل روايتكم لانكم خصومنا، والروايات التي رويناها في فضائل اهل البيت قد روينا في فضائل الصحابة ماهو مثلها او اعظم منها، ولم يمكنكم أن تحتجوا عليهم بحجة صحيحة لا معارض لها، فاستحيوا من الله تعالى ومن خلقه من هذا الجنون والخبال، الذي يفضحكم عند الرجال والنساء

فصل

واما قوله - في الاعتراض على كلام المجيب على حديث عمار رضي الله عنه- وذكر أن المجيب قد أقر على لسان اهل السنة والجماعة بان معاوية رضي الله عنه

قد أخطأ واذنب . وقد قال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) ثم قال:
وقد نص تعالى على موجب الظلم وما يحكم به لصاحبه فقال عز من قائل (ماللظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع) ثم انك أقررت ببغي معاوية (رضي الله عنه) وأصحابه
ثم حكمت له بالمغفرة وبالجنة بعد ثبوت الفاحشة منه، وهو البغي . وقد قال تعالى
(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) ويقرنه بالفحشاء والمنكر ويدخل فاعله الذي لم يتب
منه ومات مصرا عليه الجنة ؟ ماهذا حكم بالعدل ؟)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال : انت قد نقضت كلامك هذا
كله في كلامك الذي قبل هذا بأسطر يسيرة، بقولك قال كثير من العلماء المحققين
ان المطلق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المألوف المعروف حال الورود ــ إلى
آخره ، وذلك انه من المعلوم ان هذه الآيات التي جعلتها متناولة لاصحاب رسول
الله ﷺ ، وهو معاوية رضي الله عنه ومن معه ، يقول لك منازعوك : ان المعروف
المشهور عند اهل التفسير انها نزلت في اهل الشرك والكفر ، فكيف جعلتها في
أصحاب رسول الله ﷺ ولم تخص بها اهل الكفر المألوف المعروف في حقهم ؟

(الوجه الثاني) ان المجيب ذكر ان الحديث على ظاهره ولم يغيره ولم يؤوله
ولكن ذكر ان اثبات البغي لهم لايوجب فسقهم ولا كفرهم إذا كانوا متأولين
مخطئين في ذلك ، والمجيب لاينزههم من الذنوب والخطأ ، لكنه ذكر مادل عليه
كتاب الله من أن البغي لاينفي الايمان عمن فعله ، كما قال تعالى (وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي
تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فسماهم الله مقتتلين مع الايمان

(الوجه الثالث) قوله: فأين فائدة كلام الحكيم ﷺ؟ فيقال انما يعرف فائدة
كلام الرسول ﷺ أهل العلم والايمان ، فهم الذين يهتدون به ويعرفون معناه

ويعقلونه كعلي رضي الله عنه وأصحابه ومن شابههم من أهل الفهم والمعرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما أهل الجهل والضلال فهو عليهم عمى وضلال كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) كهذا المعترض ومن شاكله الذي يتناقض في السطر الواحد ويرد كلامه بعضه بعضاً وهو لايشعر ولايدري. والفائدة في حديث عمار قد عقلها أهل السنة والجماعة، وهو انهم علموا أن قتلة عمار فئة باغية على الامام ، وان علياً رضي الله عنه وأصحابه أولى بالحق من معاوية رضي الله عنه وأصحابه وهذا هو الفائدة في الحديث ، ومن فهم منه غير ذلك فقد أبعد النجعة وتكلف مالا علم له به

(الوجه الرابع) أن يقال حمله هذه الآيات التي ذكرها على معاوية وأصحابه مثل حمل الخوارج آيات الشرك والكفر والظلم على علي رضي الله عنه وأصحابه سواء بسواء ، فكما ان كلام الخوارج معلوم البطلان بضرورة العقل فكذلك حمل هذه الآيات على معاوية رضي الله عنه وأصحابه معلوم البطلان بالضرورة فما هذه الوقاحة وقلة الحياء وصفاقة الوجوه ؟

(الوجه الخامس) أن يقال قوله ماهذه السوابق والحسنات التي لهم؟ هل قتل عمار وخزيمة ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وغيرهم من المهاجرين والانصار؟ فيقال الحسنات العظيمة التي لا مطمع لأحد فيها هي صحبتهم لرسول الله ﷺ وجهادهم معه الذي لو أنفق الرجل مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه، كما ثبت أن رسول الله ﷺ قال لخالد بن الوليد — لما جرى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما كلام ومنازعة ، فقال له النبي ﷺ « ياخالد ، دع عنك أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقت مثل أحد ذهباً مابلغت مد أحدهم ولا نصيفه » هذا كلامه في خالد وهو من جملة الصحابة . لكنه ليس من السابقين الاولين ، فكيف بمن لم يصحبه ؟

وأما قتل عمار وخزيمة وأبي الهيثم وغيرهم رضي الله عنهم فانمـا فعلوا ذلك بتأويل واجتهاد وكل من الفريقين يظن أن الحق والصواب معه وعلي رضي الله عنه وأصحابه قتلوا الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وغـيرهم من السابقين ومن الصحابة رضي الله عنهم فما ذكرت في معاوية وأصحابه ففي علي وأصحابه ماهو مثلهم

فصح يقيناً ان مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق والصواب وهو محبـة جميع الصحابة رضي الله عنهم ، والترضي عنهم، والدعاء لهم ، والكف عما شجر بينهم رضي الله عنهم أجمعين

فصل

وأما قوله (فهـذا ابن رسول الله ﷺ محمد بن علي بن القاسم ابو طالب حفظه الله قد حكمك وفوض اليك بسؤاله بان تحكم بين جده علي بن ابي طالب ومن معه من المهاجرين والانصار وشيعة اهل العراق واهل اليمن اهل الايمان ، من حمير وهمدان، وبين معاوية ومن معه من اهل الشام الطغام أعداء الرحمن، فحكمت بما قاله خصماء علي بن أبي طالب ، وهم ممن رضي فواقر معـاوية وصنيعه ، وهم الموالون له المحبون له ولاصحابه المتسمون باهل السنة والجماعة. فكأن السائل عندكم لم يعرف كتاب الله ولا ماجاء به جده ﷺ ـ الى قوله ـ وهيهات أن يطمع في ذلك طامع ، فقلوبهم قد نبت فيها حب آل محمد ﷺ ورسخ لما رأوا من حلاوته ، وقد سقاه حسن الوفاء باجر سـيد المرسلين من المودة لذريته المباركة نجوم اهل الارض، وباب حطة وباب السلام ، وسفينة نوح، وقرناء القرآن، والله المستعان)

(فالجواب) من وجوه (احدها) أن يقال قوله: فحكمت بما قاله خصماء علي ابن ابي طالب رضي الله عنه، وهم ممن رضي فواقر معاوية وصنيعه كذب ظاهر، فان المجيب قد بين ان قوله هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

وبما تواتر عن علي رضي الله عنه أنه كان يسمي اهل الشام اخوانه . وقال : « هؤلاء اخواننا قد بغوا علينا » كما ذكره غير واحد من علماء السير والتواريخ

(الوجه الثاني) قوله في اهل الشام: الطغام اعداء الرحمن ـ كذب وفجور ، وقول بلا دليل ، ومخالفة لما عليه جماعة جميع اهل البيت ، ولازمه الطعن في أكابر اهل البيت كالحسن والحسين وابن عباس وابن جعفر لان هؤلاء كلهم قد بايعوا معاوية رضي الله عنه وصاروا من جملة رعيته بلا إكراه كما تقدم تقريره وكما سيأتى في فصل كلام اهل البيت رضي الله عنهم في معاوية رضي الله عنه

(الوجه الثالث) قوله في اهل السنة : وهم ممن رضي فواقر معاوية ـ وهذا ايضا كذب بين وبهتان فان المجيب وسلفه من اهل السنة لا يرضون بقتال معاوية واصحابه لعلي ، بل الصواب عندهم ان معاوية ومن معه في طاعة امير المؤمنين وبيعته ، ولا يرضون بسب علي وأهل بيته، بل ينكرونه على من فعله اورضيه، كما ملئت كتبهم بذلك وهذا المعترض يعلم ولكنه ممن يجادل بالباطل

(الوجه الرابع) قوله: وهم الموالون له المحبون له ولاصحابه فهذا صدق وصواب فان اهل السنة يتولون جميع الصحابة كلهم ، ويطهرون ألسنتهم من الخوض في تلك الحروب الواقعة بينهم، بمعنى انهم يحملون ذلك على المحمل الحسن اللائق بهم لأن الله أثنى على جميع الصحابة في كتابه العزيز بقوله (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل. اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) ويعرفون للسابقين الاولين حقهم على من بعدهم وينزلون كلا منزلته التي أنزله الله إياها فلم يفعلوا كفعل الروافض والزيدية والخوارج الذين يفرقون بينهم فيتولون بعضهم ويبغضون ويتبرءون من بعضهم ، وهذا هو الذي تدل عليه الدلائل الصحيحة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الثابتة بالاسانيد المرضية

(الوجه الخامس) قوله :فوجدك قد قلت بمقالة أهل الانحراف عن الآل ـ وهذا أيضاً من نمط ماتقدم من كذبه وفجوره وقلة حيائه من الناس فان المجيب قد بين ان مقالته التي ذهب اليها هو وسلفه هي التي عليها آل محمد ﷺ. وقد نقل في كلامه لفظهم بحروفه ، وبين ان دعوى المعترض اتباع الآل كذب وجهل وخبال لايعجز عنه أحد من الناس

(الوجه السادس) قوله عن أهل السنة: انهم أصلوا اصولهم وقعدوا قواعدهم على اساس أسسه لهم بنو أمية وبنو العباس ـ وهذا أيضا من كذبه وفجوره ، وذلك ان اهل السنة انما أصلوا اصولهم على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وجوب طاعة أولي الامر كما تقدم ذكر الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة اول هذا الجواب بما اغنى عن إعادته

فان قال: ان تلك الآيات والاحاديث لاتدل على ذلك، او انها مخالفة لكتاب الله ،او انها مكذوبة على رسول الله ﷺ أمكن خصمك ان يقول مثل ذلك في الاصول التي أصلت ، والدلائل التي قررت

(الوجه السابع) أن يقال : أنت قد تبرأت وتنصلت من الملوك الظلمة من بني العباس، وهم من آل محمد بالاجماع ، وداخلون في مسمى عترته عند جميع فرق الامة ، فهذا يبطل جميع ماأوردته من الدلائل التي معك في اتباع اهل البيت ، فاذا كان من اهل البيت من هو من الملوك الظلمة أئمة جور فكذلك يقال فيمن خالفوا الكتاب والسنة من آل علي سواء بسواء ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة لا معارض لها في دخول آل علي في تلك الدلائل وخروج غيرهم منها ، فأبطلت بكلامك ما أصلته ورددت على نفسك بنفسك ماقررته وأنت لاتشعر، وهذا حال من يتكلم في مثل هذه الامور العظيمة بمثل هذه الجهالات والخبالات التي يأنف منها اهل العرفان، بل ينفر منها الصبيان، عياذا بالله من الخزي والخذلان

(الوجه الثامن) ان يقال قوله عن السائل وشيعته وهم اهل اليمن من همدان وحمير وذرية من قاتل معاوية وأهل الشام في صفين مع وصي رسول الله ﷺ وأخيه القائل في همدان ،حين شقت سيوفهم قلوب العدوان من اهل الشام الطغام في ذلك الاوان :

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

فهذا من اظهر الكذب وأفجر الفجور في انه قد مدحهم بما ليس فيهم ، والدليل على ذلك ماذكره اهل الاخبار والسير من ان عسكر علي اختلفوا عليه اختلافا كثيراً وآذوه اذى عظيما، حتى مل منهم وتمنى الموت

وقد قال ابوعبيد القاسم بن سلام -وهو من ائمة الحديث والفقه واللغة- عمن حدثه عن ابي سنان العجلي قال قال ابن عباس لعلي رضي الله عنه « ابعثني إلى معاوية فوالله لأفتلن له حبلا لاينقطع وسطه » فقال« لست من مكري ومكره في شيء ، ولااعطيه الا السيف حتى يغلب الحق الباطل » فقال ابن عباس رضي الله عنه «اوغير ذلك » قال« كيف ؟ »قال« انه يطاع ولا يعصى، وأنت عن قريب تعصى ولا تطاع » قال :فلما جعل اهل العراق يختلفون على علي رضي الله عنه قال « لله ابن عباس انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق »

وحدثني خلاد بن يزيد الجعفي حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي أو أبي جعفر الباقر — شك خلاد — قال: لما ظهر أمر معاوية (رض) دعا علي(رض) رجلا وأمره أن يسير إلى دمشق، فيعقل راحلته على باب المسجد، ويدخل بهيئة السفر ففعل الرجل و كان قد وصاه ، فسألوه: من أين جئت ؟ قال من العراق قالوا ماوراءك ؟ قال تركت عليا قد حشد اليكم ونهد في اهل العراق ، فبلغ معاوية رضي الله عنه فأمر أبا الاعور السلمي يحقق امره ، فأتاه فسأله فأخبره بالامر الذي شاع ، فنودي الصلاة جامعة، فامتلأ الناس في المسجد، فصعد معاوية المنبر وتشهد

ثم قال : ان عليا قد نهد اليكم في اهل العراق فما الرأي ؟ فضرب الناس أذقانهم على صدورهم، ولم يرفع اليه احد طرفه . فقام ذو الكلاع الحميري فقال : عليك الرأي وعلينا امفعال ـ يعني الفعال ـ فنزل معاوية و نودي في الناس، اخرجوا إلى معسكركم ، ومن تخلف بعد ثلاث أحل نفسه ، فخرج رسول علي حتى وافاه وأخبره بذلك ، فأمر علي رضي الله عنه فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان رسولي الذي أرسلته إلى الشام قد قدم علي وأخبرني ان معاوية قد نهد اليكم في اهل الشام فما الرأي ؟ قال فأضب اهل المسجد يقولون يا اميرالمؤمنين الرأي كذا الرأي كذا، فلم يفهم علي كلامهم من كثرة كلامهم وكثرة اللغط ، فنزل وهو يقول إنا لله وإنا اليه راجعون ، ذهب بها ابن أكالة الاكباد . يعني معاوية (رض)

وقال الاعمش حدثني من رأى علياً يوم صفين يصفق بيديه ويعض عليها ويقول « ياعجباً أعصى ويطاع معاوية؟ »

وذكر ابن الانباري عن ابيه عن احمد بن عبيد عن هشام بن محمد عن ابي مخنف لوط قال لما توجه بسر بن ابي ارطاة اخبر عبيدالله بن عباس بذلك وهو على اليمن عامل لعلي (رض) فدخل بسر بن ابي ارطاة اليمن فأتى بابني عبيدالله بن عباس فذبحهما وهما صغيران ، فنال امهما عائشة بنت عبد الدان من ذلك امر عظيم

وذكر ابو عمرو الشيباني في خروج بسر انه اغار على همدان فقتل وسبى نساءهم، وكن اول نساء سبين في الاسلام ، وبسر هذا له اخبار سوء بجانب علي (رض) ولا تصح له صحبة قاله الامام احمد ويحيى بن معين ، قال يحيى بن معين : كان رجل سوء ، وذكر ان عليا (رض) دعا عليه ان يطيل الله عمره ويذهب عقله ، فكان كذلك

قال ابن دحية : ولما ذبح الصغير بن وفقدت أمها عقلها كانت تقف بالمواسم تنشد شعرا يبكي العيون ، ويهيج بلابل الاحزان والغبون

ها من أحس بني اللذين هما   كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس بني اللذين هما   سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
حدثت بسراً وما صدقت ما زعموا   من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أحنى على ودجي ابني مرهفة   مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

ومعلوم عند من له أدنى معرفة بالاخبار ماجرى من أهل الكوفة مع الحسين ابن علي رضي الله عنهما حين كاتبوه وأمروه بالشخوص والقدوم عليهم ووعدوه أن يبايعوه فاغتر بهم وبمواعيدهم الكاذبة ، وامانيهم الباطلة ، فشخص اليهم باهله وولده ، وكان قد أرسل اليهم قبل ذلك ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنهما ، فلما قرب الحسين منهم خذلوه واسلموه للقتل ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلا من اصحابه مبارزة ، ثم قتل جميع بنيه إلا عليا المسمى بعد ذلك بزين العابدين ، كان مريضا فأخذ أسيراً ، وقتل أ .ثر اخوة الحسين وبني اعمامه

فهؤلاء شيعة اهل البيت الذين أثنى عليهم هذا المعترض ، وهم اهل اليمن من همدان وحمير ، وقد كان مع معاوية رضي الله عنه جموع كثيرة من حمير وغيرها من قبائل اليمن منهم ذو الكلاع الحميري كان من اشراف اصحاب معاوية وساداتهم وقتل يومئذ ومن اصحاب معاوية وأمرائه .ومثذ كريب بن الصباح الحميري أحد الابطال قتل يومئذ جماعة ثم بارزه علي فقتله

فصل

﴿ في اعتدال اهل السنة بين غلو الشيعة وجفوة النواصب ﴾

واما قوله (وانظر تواريخ الاسلام وماقال الناس ،هل أحد روى ان معاوية واصحابه ضمنوا ماافسدوا من حقوق المسلمين ، وانهم تابوا من تلك الطامة ، والفاحشة العامة ، والمعصية الكبيرة ، وهو البغي الذي اقررت به ؟ وهل ودوا عماراً وخزيمة وابا الهيثم وأويسا القرني سيد التابعين وغيرهم وسلموا دياتهم إلى اهليهم؟ ام ماتوا متلطخين بدمائهم وبالفسق والعصيان ؟)

(فالجواب) ان يقال كل ماذكرت في معاوية واصحابه قد جرى مثله لعلي واصحابه او ماهو أعظم من ذلك ، وهو قتل طلحة والزبير ومن معهما من المهاجرين والانصار ، واعظم من ذلك ان قتلة عثمان امير المؤمنين رضي الله عنه كانوا مع علي وكانوا من رءوس عسكره ، فما قلت في معاوية يقال في علي رضي الله عنه . فكما تأول علي رضي الله عنه في الدماء كذلك تأول معاوية وأصحابه فإن صحت هذه الدعوى ففيها من القدح والغضاضة في علي والحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم مالايخفى

وهذه الحجة التي ذكرت مما يحتج بها معاوية رضي الله عنه واصحابه على علي رضي الله عنه وأصحابه ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة تبرىء بها عليا واصحابه دون معاوية واصحابه ، إلا بالمكابرة والمعاندة

فظهر بما ذكرناه ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الصواب الذي لايتناقض لأن الباغي قد يكون متأولا معتقدا انه على حق وقد يكون متعمدا يعلم انه باغ وقد يكون بغيه مركبا من شبهة وشهوة وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لايقدح فيما عليه اهل السنة . فاصلهم مستقيم مطرد في هذا الباب واما انتم فتتناقضون ،

وذلك ان النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون عليا او يفسقونه او يشكون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم لو قالوا لكم : ماالدليل على إيمان

علي وامامته وعدله ؟ لم يكن لكم حجة ، فانكم ان احتججتم بما تواتر من اسلامه وعبادته قالوا لكم: وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وغيرهم. فليس قد حنا في ايمان علي واصحابه الامثل قد حكم في ايمان معاوية واصحابه . وان احتججتم بما في القرآن من الثناء والمدح على الصحابة . قالوا: آيات القرآن عامة تتناول غير علي منهم مثل ماتتناول عليا رضي الله عنه ، وإن أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فاخراجنا عليا أيسر وأهون. فان احتججتم عليهم بالنص الذي تدعونه. كان احتجاجهم بالنصوص التي يدعونها في أبي بكر بل في العباس معارضا لذلك رضي الله عنهم، ولا ريب عند كل من يعرف الحديث ان تلك أولى بالقبول والتصديق فاذا قال الرافضي ان معاوية رضي الله عنه كان باغيا ظالما ، قال له الناصبي: وعلي كان باغيا ظالما ، قتل المسلمين على امارته و بدأهم بالقتال وصال عليهم، وسفك دماء الامة بغير فائدة لهم لا في دينهم ولا في دنياهم ، وكان السيف في خلافته مسلولا على أهل الملة مكفوفا عن الكفار

والقادحون في علي رضي الله عنه طوائف : طائفة تقدح فيه وفيمن قاتل جميعا ، وطائفة تقول : فسق أحدهما لا بعينه ، كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ، يقولون في أهل الجمل: فسقت إحدى الطائفتين لا بعينها: وهؤلاء يفسقون معاوية ، وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما تقوله المروانية، وطائفة تقول كان في أول الامر مصيباً فلما حكم الحكمين كفر وارتد، وهؤلاء الخوارج. وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون، وخطأ الشيعة مثله او أظهر بطلانا منه

فان قال الذاب عن علي رضي الله عنه هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة ، لما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لعمار « تقتلك الفئة الباغية » ؟ فللناس في هذا الحديث أقوال منهم من قدح في حديث عمار ومنهم من تأوله على ان الباغي الطالب ، وهو ضعيف . ومنهم من تأوله على علي وأصحابه - كما قال معاوية ، لما

قيل له . إن عماراً قتل، وقد قال النبي ﷺ «تقتلك الفئة الباغية» فقال . أفنحن قتلناه ؟ انما قتله علي وأصحابه. جاؤا به حتى ألقوه بين أسيافنا ورماحنا. وانما ندفع عن أنفسنا. وهذا تأويل باطل ولهذا رده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بما لاحيلة فيه فقال اذاً فرسول الله ﷺ قتل حمزة رضي الله عنه حين جاء به يقاتل المشركين

وأما أهل السنة والجماعة رحمهم الله فكلامهم مستقيم ولا مطعن فيه لأحد لأنهم اتفقوا على انه لاتفسق واحدة من الطائفتين ، وإن قالوا في إحداهما إنهم كانوا بغاة ،لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، والمجتهد المخطيء لايكفر ولا يفسق ، وإن تعمد البغي فهو ذنب من الذنوب والذنوب يرفع عقابها باسباب متعددة كالتوبة والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وشفاعة النبي ﷺ ودعاء المؤمنين وغير ذلك من الاسباب. ولهذا قال محمد بن شهاب الزهري ـ وهو من أئمة التابعين ـ «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمع رأيهم على ان كل دم او مال أصيب بتأويل القرآن فهو هدر» او كلاما هذا معناه . أخرجه غير واحد من الائمة

فصل

وأما قوله في تحقيق مذهب الزيدية في لعن معاوية (أنهم يظهرون — حيث يخشون التهمة — بموالاته المحرمة بنص الكتاب العزيز حيث قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فلا يوجبونها مطلقا ولا يستحبونها مطلقا) إلى آخر كلامه

(فالجواب) ان يقال: انت قررت في اول اعتراضك انه لو جاء ملك بلعن إبليس ـ لعنه الله ـ على المنابر لعد مبتدعا، فكيف استجزتم ايها المنتسبون إلى زيد رضي الله عنه لعن معاوية رضي الله عنه ؟ ما هذا التناقض العظيم والتهور فيما يوجب العذاب الاليم ؟

واما استدلاله بهذه الآية الكريمة (ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — وقوله — واذا رأيت الذي يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم) الآية — فهي دعوى باطلة ، كدعوى الخوارج والمبغضين لعلي رضي الله عنه وأهل بيته بان هذه الآيات فيهم، فكما ان دعواهم ظاهرة البطلان فكذلك دعواكم

واما دعواه ان اهل السنة قد رضوا بسب علي رضي الله عنه ـ فكذب عليهم لا يمتري فيه أحد، بل هم ينكرون سب علي رضي الله عنه اشد الانكار في قديم الزمان وحديثه، وهم الذين عملوا بقوله تبارك وتعالى (ياأيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين) الآية

فصل

واما قوله (قد حكمت بدخوله الجنة)

(فالجواب) ان يقال هذا كذب ظاهر على المجيب، وذلك أنه هو وسلفه من أهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعين بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بانه من أهل الجنة ، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم الذين ثبتت الاحاديث في تعيينهم انهم من اهل الجنة . واما من سواهم فلا يشهدون له بذلك ولكنهم يرجون لجميع المؤمنين دخول الجنة ويخافون على من أذنب من النار. ولا يقطعون لمعين بانه من أهل الجنة او من اهل النار إلا من ثبت له ذلك في القرآن كابي لهب والوليد بن المغيرة وقوم نوح وجميع المهلكين من الامم ، ومن ذكره رسول الله ﷺ

ويقال أيضا ان كان ماقلت حقا فاول من يدخل في هذه الآيات الحسن بن علي رضي الله عنهما وأخوه الحسين ومن معهما من اهل البيت وربيعة ومضر وهمدان ، حين انخلع الحسن لمعاوية رضي الله عنه من الخلافة وولى عليهما من هو عدو لله ورسوله ﷺ عندكم ، ووافقه على ذلك أخوه الحسين وكل من معه من

المسلمين ، ورضوا بذلك من غير اكراه ولا غلبة من معاوية واهل الشام ، بل بمجرد ماتقابل الجمعان جرت بينهما المفاوضة في الصلح قبل أن يقع بينهما قتال ، أفلا يستحي العاقل من هذه الخرافات ، التي تنادي على قائلها بالارتكاس في الظلمات ؟ وهذا كاف في بطلان كلامك

فصل

واما قوله (وإذا كان معاوية في الجنة فليت شعري ، أين تضع الاحاديث الواردة في دواوين الاسلام ، كقوله عليه الصلاة والسلام « يؤتى برجال من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال » الى آخره ، أفتنزه معاوية ومن معه مثل عمرو بن العاص وابنه عبدالله وتضعها في سعد بن معاذ وعمار وخزيمة ذي الشهادتين ، ومن قاتل مع علي رضي الله عنه بصفين؟ ام في العشرة المبشرة بالجنة رضي الله عنهم؟ فاختر لنفسك أين تضعها على مقتضى شهواتك أنت وأهل السنة والجماعة) إلى آخره

(فالجواب) أن يقال قد بينا فيما تقدم أن أهل العلم الذين رووا هذه الاخبار حملوها على من ارتد من جفاة الاعراب بعد موت الرسول ﷺ وماتوا على الردة ، كالاسود العنسي وأصحابه الذي تنبأ بصنعاء وتبعه خلق من أهل اليمن حتى قتله الله . وكمسيلمة صاحب اليمامة وأصحابه ، وكأصحاب طليحة الاسدي الذين قتلهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خلقا عظيما ، ومنهم من قدم على النبي ﷺ وصحبه . أفتنكر انه لم يقع ردة بعد النبي ولا كفر أحد ممن أسلم في حياة النبي ﷺ حتى جرى قتال معاوية لعلي رضي الله عنهما

ويقال أيضاً ، دعواك أن هذه الاحاديث محمولة على معاوية ومن معه من الصحابة من جنس دعوى الخوارج الذين يكفرون عليا ومن والاه ويحملون هذه الاحاديث عليهم ، فما يمكنك أن تأتي بحجة إلا عارضوك بما هو من جنسها ، فاتق الله ولا تكن من الذين يجادلون بالباطل فتكون مع الهالكين

فصل

وأما قوله (إن المراد بقوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي أرادوا الاقتتال . وانها كقوله تعالى (من يرتد منكم عن دينه) وقول الرسول ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » إلى آخر كلامه)

(فالجواب) أن يقال هذا لو عارضناه بكلام أهل التفسير من أهل السنة والجماعة أو بما رووه من الاحاديث لم يقبل ذلك. فالواجب معارضته بمالا يقدر على انكاره ، وهو مااتفقنا نحن وهم عليه وهو أن الحسن بن علي رضي الله عنهما انخلع من الخلافة لمعاوية مع حضور أهل البيت وجمهور المسلمين معه، أفتقول ان الحسن لايفهم كلام الله ولا كلام رسوله ﷺ وانما عرفته أنت وشيعتك ؟ فيلزم من كلامك ان الحسن ومن معه هم الذين سلطوا الكفار والفساق على فساد الدين ، والكفر برب العالمين

(وجواب ثان) وهو انه تواتر عن علي رضي الله عنه انه لما قتل أهل الجمل لم يفعل فيهم كفعله في الكفار المرتدين من السبي وأخذ الاموال والاجهاز على الجريح كما احتج بهذه الحجة على الخوارج حبر الامة ، وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما

(وجواب ثالث) وهو أن يقال الآية نفسها مصرحة بنقيض مافسرها به هذا المعترض لان الله تبارك وتعالى قال في أولها (اقتتلوا) وهـذا فعل ماض باجماع النحويين ثم قال (فان بغت إحداهما على الاخرى) أي بعـد الاقتتال والاصلاح . ثم قال (فان فاءت) اي رجعت عن البغي(فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ثم قال (انمـا المؤمنون اخوة فأصلحوا بين

اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) فالآية من أولها إلى آخرها تنادي بتكذيب هذا المعترض الذي يفسر كتاب الله برأيه

(وجواب رابع) وهو أن يقال: اذا جوزت أن يكون المراد بقوله تبارك وتعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) ان يكون المعنى أي ارادوا الاقتتال او قوله (فان بغت إحداهما) اى أرادوا البغي - جاز ان يقال ذلك في قوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» فيكون معنى الحديث عندكم من أراد تبديل دينه وهمّ بذلك وإن لم يتكلم ويعمل فاقتلوه. وهذا لا يقوله من يفهم مايقول. وذلك لان مافي القلوب من الارادات والنيات لايعلمه إلا الله، وجاز أن يكون معنى قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم) اى يرد قتله وإن لم يقتله. وجاز أيضاً ذلك في جميع آيات الوعد والوعيد كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها) اى يرد أن يعصي الله ورسوله ويتعد حدوده وإن لم يفعل ذلك. فان طردت ماقلت لزمك ان تقول ذلك في جميع ماشابهها في آيات الوعد والوعيد والامر والنهي.

وأما الحكاية التي ذكرها ان معاوية رضي الله عنه اظهر لأهل الشام ان علياً لايصلي، حتى حاج بذلك بعض اهل الشام هاشم بن عتبة رضي الله عنه - فهي من اظهر الكذب والبهتان عند من له ادنى معرفة بهذا الشأن، وقد ذكرنا بالنقول المتواترة أن اهل الشام انما قاتلوا عليا ومن معه للطلب بدم عثمان رضي الله عنه لان قتلة عثمان كانوا رءوس جيش علي، ولا يحكي مثل هذه الحكاية إلا من لا يستحي من الكذب

فصل

وأما ماذكره من استدلاله بحديث غدير خم، وانه ورد من روايات جماعة من الصحابة فقد قدمنا الجواب عنه. وقد بين أهل العلم انه لا يدل على ما ذهب اليه الروافض والزيدية لان المولى يطلق على معاني متعددة.

وأما قوله « اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه » فهذا ليس في الاحاديث الصحيحة التي صححها أهل العلم بالحديث، بل طعن كثير منهم في هذه الزيادة، قالوا: والواقع يشهد بكذبها لان النصر والغلبة والاعانة وقع لمن حاربه وقاتله، ومعلوم أن دعاء الرسول ﷺ مجاب، فلو كان هذا حقا وصدقا لوقع الامر بخلاف ما وقع، وأنت لا تنكر أن الغلبة والظفر والاعانة كان لمن قاتله وحاربه فبطل ما ذكرت ولله الحمد والمنة

وأكثر هذه الاحاديث التي ذكرها في أول هذا الاعتراض وآخره قد بين أهل العلم بالحديث انها كذب موضوعة مفتراة على رسول الله ﷺ.

ثم من العجب استدلاله بكلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين ذكروا عثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم وما كان منهم فأكثروا وعمر ساكت. فقال القوم: ألا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال « لا أقول شيئاً، تلك دماء طهر الله منها كفي فلا أغمس فيها لساني » اه

وهذا هو الذي أراد المجيب لان الله أثنى عليهم في كتابه جملة قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأثنى على من جاء بعدهم فدعا لهم بالمغفرة فقال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رءوف رحيم)

فان قلت: ان هؤلاء الآيات في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار،

قلنا جاءتك قاصمة الظهر وهي قوله تبارك وتعالى (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى)

ومعلوم باجماعنا وإجماعكم أن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ممن اسلم بعد الفتح . والاحاديث الواردة في فضل معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما قد رواها من روى تلك الاحاديث في فضل علي رضي الله عنه وأهل البيت . فإما ان تقبل الجميع وإما ان ترد الجميع ، وأما أن تقبل ماوافق هواك وترد ماخالفه بلا برهان ولاحجة يوافقك عليها اهل المعرفة فهذا تناقض . وقد قال السيوطي أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن ابي عمرة الصحابي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال لمعاوية « اللهم اجعله هادياً مهدياً »

وأخرج الامام احمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب »

وأخرج ابن ابي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال لي معاوية (رض) مازلت اطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ « يامعاوية إذا ملكت فأحسن »

وأخرج الترمذي عن ابي ادريس الخولاني قال لما عزل عمر بن الخطاب (رض) عمير بن سعد عن حمص وولى معاوية (رض) فقال الناس: عزل عميرا وولى معاوية فقال عمير : لا تذكروا معاوية إلا بخير فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اهد به »

وقال آدم عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال النبي ﷺ « ابناء العاص مؤمنان عمرو وهشام » وقال عبد الجبار ابن الورد عن ابن ابي مليكة قال طلحة ألا احدثكم عن رسول الله ﷺ

بشيء الا اني سمعته يقول « عمرو بن العاص من صالح قريش » وسمعته ﷺ يقول « نعم اهل البيت ابو عبد الله وام عبد الله وعبد الله » اه ماذكره الحافظ ابو الحجاج المزي في تهذيبه

فصل

واما ما ذكره من احداثات معاوية، منها إلحاقه زياد بن سمية بأبيه ـ فأهل العلم ينكرون ذلك على معاوية في قديم الزمان وحديثه ، وكذلك اخذ البيعة لابنه الظالم، ينكرون ذلك ولا يرضونه حتى أنكر من أنكر منهم ذلك عليه بنفسه في حياته . وأما قوله : انه أمر علماء السوء بأن يضعوا أحاديث في فضائل الصحابة الذين تقدموا علياً وفي مثالب نبي ـ فهذا من أظهر الكذب عند الخاصة والعامة من اهل العلم بالاخبار والسير. وأهل الوضع للحديث هم الشيعة كما تقدم ذكره عن أهل الحديث ، وأما لعن علي (رض) فهو من المنكرات وأهل السنة والجماعة ينكرون على من فعله كائنا من كان

ومن العجب قوله : ولو لم يقطعه عمر بن عبد العزيز (رض) لبقي في الشام إلى اليوم . فيقال وما يدريك بذلك . أقرأت في اللوح المحفوظ فكتبت هذا الكلام منه ؟ام بلغك ذلك في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ انه اخبر بذلك فهو الصادق فيما أخبر به ؟وأيضاً أنت ذكرت عن ابن تيميـة رحمه الله في أول كتابك وفي هـذا الموضع انه لم ينقطع إلا قبل وقته ، فهذا يرد قولك انه لو لم يقطعه عمر لبقي إلى اليوم ، وأيضاً أنت كذبت على ابن تيمية فانه لم يقل ذلك ، وابن تيمية رحمه الله أجلُّ من ان يقول مثل هذه الخرافات والجهالات في المنقولات

وأيضاً من المعلوم المتواتر أن بني امية بعد موت عمر بن عبد العزيز (رض) استمروا على سب علي ولم ينقطع من الشام ولا من غيره من بلاد الاسلام إلا بعد انقراض دولة بني أمية في ولاية بني العباس

وأما قوله: ومن احداثاته ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة ـ فهذا كذب ظاهر ، وما ذكره عن الرازي دعوى مجردة لادليل عليها ، وأيضاً معارضة بما هو من اصح الاسانيد، وهو ماثبت في الصحيحين عن انس رضي الله عنه انه قال: صليت مع النبي ﷺ ومع ابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في آخرها

واما تشريعه الاقامة في صلاة العيدين ـ فكذب ظاهر، فان الذي احدثه بنو امية بعد معاوية في العيدين هو تقديم الخطبة على الصلاة كما في الصحيحين : ان اول من فعل ذلك مروان بن الحكم فانكر عليه ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

فصل

واما دعواه العصمة لعلي رضي الله عنه وقوله (قد حصل القطع بها ولا ينكرها الا مكابر ـ الى آخره

(فالجواب) ان يقال (أولا) هذه الدعوي من جنس دعوى الامامية بالنص والعصمة لعلي وأولاده ، ومن جنس دعوى الباطنية وجنس دعوى السبائية في محمد ابن علي المعروف بابن الحنفية ، وما أحسن ماقال بعضهم :

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتي فيه قليلة

وقد تقدم الجواب عن أدلته التي ذكر مفصلا مبينا ولكن نذكر فصلا نختم به كتابنا هذا ، ننقل فيه كلام اهل البيت في الرد على هذا المعترض وأشباهه ليتبين الحق لمن أراد الله هدايته . وأما من أراد الله به الشقاء والخذلان فذلك لا حيلة فيه كما قال تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي) الآية

فصل

﴿ في كلام بعض أهل البيت في الثناء على معاوية ﴾

في ذكر شيء من كلام اهل البيت رضي الله عنهم في الثناء على معاوية رضي الله عنه .

من ذلك ما أخرجه غير واحد من اهل العلم ان عليا رضي الله عنه قال « لاتكرهوا امارة معاوية فانكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤس تندر على كواهلها » وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاقال له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، انه أوتر بركعة؟ فقال « أصاب انه فقيه» فهذه شهادة ابن عباس وهو من أكابر علماء اهل البيت

ومن ذلك انسلاخ الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه . قال ابو عمر بن عبد البر في (كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب) في ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنه : كان رحمه الله حليما ورعا،دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله . وقال:والله ماأحب منذ عرفت ماينفعني وما يضرني ان ألي امر امة محمد ﷺ على ان يهراق في ذلك محجمة دم. وكان من المبادرين الى نصرة عثمان رضي الله عنه والذابين عنه ، ولما قتل ابوه علي رضى الله عنه بايعه أكثر من أربعين الفا كلهم قد بايعوا أباه عليا قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن واحب فيه منهم في أبيه ، فبقي نحو سبعة أشهر خليفة في العراق وما وراءها من خراسان، ثم سار إلى معاوية وسار معاوية اليه-وذكر ماجرى بينهما ، إلى أن قال - وكان كما قال رسول الله ﷺ « ان بني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان أصحاب الحسن يقولون : ياعار المؤمنين فيقول [العار خير من النار] وذكر باسناده عن أبي روق الهمداني ان أبا العريف حدثه قال: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنى عشر الفا مستميتين تقطر

أسيافنا من الجد والحرص على قتال اهل الشام . وعلينا ابو العمرطة ، فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن ، فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عامر فقال : السلام عليك يامذل المؤمنين ، فقال لا تقل هكذا ياأباعامر فاني لم أذل المؤمنين، ولكني كرهت أن اقتلهم على طلب الملك قال ابو عمر: ورويناه من وجوه ان الحسن بن علي رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه « ياأخي إن أباك رحمه الله لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الامر ورجا أن يكون صاحبه فصرف الله ذلك عنه ووليها ابو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف اليها وصرفت عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك انها لاتعدوه فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف فطلبها وما صفاله شيء منها، واني والله ماأرى أن يجمع الله فينا ـ اهل البيت ـ النبوة والخلافة، فلاعرفن ربما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك » انتهى. فانظر رحمك الله إلى كلام هذا السيد وما فيه من الرد على هذا المعترض من دعواه النص على علي رضي الله عنه وغير ذلك من الدعاوى الباطلة يتبين لك مخالفته لأهل البيت وان دعواه محبة اهل البيت كذب وافتراء ودعوى لاحقيقة لها

ومن العجب أن يدعي عصمة أهل البيت فيحتج بالاحاديث والآيات على ذلك وانهم كسفينة نوح وباب حطة ، ثم يخالفهم ويرد كلامهم ولازم كلامه ان فعل الحسن رضي الله عنه من نزوله عن الخلافة ومصالحته معاوية هو سبب افتراق الامة وضلالتها ، وان كلام الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما كلام باطل بل الواجب على الحسين وغيره من المسلمين الخروج على معاوية رضي الله عنه ومقاتلته وانتزاع الخلافة منه ، ونحن نقول بل الحسن مصيب بار راشد ممدوح وليس يجد في صدره مما صنع حرجا ولا تلوما ولا ندما بل هو راض بذلك مستبشر به، وإن كان هذا قد ساء خلقا من ذويه وشيعته ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جرا

إلى يومنا هذا . والحق في ذلك اتباع السنة ، وقد مدحه جده ﷺ كما ثبت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما بالاسانيد الصحيحة عن الحسن البصري - وكان من سادات التابعين وأفاضلهم - قال : استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية اني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بامور المسلمين ، من لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم . فبعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه ، فأتياه فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا اليه ، فقال لهما الحسن رضي الله عنه « انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عاثت في دمائها » قالا له فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك ، قال : من لي بهذا ، من لي بهذا ؟ قالا : نحن لك به ، فما سألهما شيئاً إلا قالا نحن لك به ، قال الحسن فصالحه . قال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ - والحسن بن علي رضي الله عنه إلى جنبه وهو ينظر إلى الناس مرة واليه مرة ويقول « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »

ففي هذا الحديث الصحيح ان معاوية رضي الله عنه هو الذي طلب اليه الصلح والذي ذكره أهل السير والاخبار ان الحسن هو الذى كتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الامر اليه على شروط اشترطها عليه

وقد أخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال قلت للحسن ان الناس يقولون انك تريد الخلافة ؟ فقال « قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمت ، تركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد ﷺ من أهل الحجاز » أو كما قال

ففي هذا من الرد على المعترض مايعرفه كل منصف . وذلك أن هذا المعترض جعل هذا الصلح والاجتماع الذى فعله الحسن بن علي ووافقه عليه أهل بيته وجمهور المسلمين هو سبب فساد الامة وافتراقها فعلى كلامه يكون الحسن هو الذى تسبب في فساد الامة وظهور الفتن فيها

فان قال: ألجأه إلى ذلك الخوف والضعف . قلنا: هذا باطل من وجوه كثيرة (منها) ماتقدم من كثرة جيش الحسن رضي الله عنه ومحبة الناس له وانقيادهم معه. وقد بين رضي الله عنه أن الذى حمله على ذلك هو كف الفتنة وايثار الآخرة على الدنيا ، ولهذا مدحه النبي ﷺ على فعله ذلك .

قال العلماء رحمة الله عليهم: فدل هذا على ان قتال أهل الشام ليس بواجب قد أوجبه الله ورسوله ، ولوكان واجباً لم يمدح النبي ﷺ الحسن بتركه. فدل الحديث على ان مافعله الحسن بن علي مما يحبه الله ورسوله، وتواترت الاخبار عن علي رضي الله عنه بكراهة القتال في آخر الأمر، لما رأى اختلاف الناس واختلاف شيعته عليه وتفرقهم وكثرة الشر الذى أوجب أنه لو استقبل من أمره مااستدبر مافعل مافعل . وكان يقول رضي الله عنه ليالي صفين «لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك: إن كان براً ان أجره لعظيم، وإن كان اثما ان خطره ليسير» وكان يقول لابنه الحسن رضي الله عنه : ياحسن ياحسن ماظن أبوك أن الامر يبلغ إلى هذا ، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة»

حتى ذكر ابن كثير وغيره من أهل التواريخ ان في سنة أربعين بعد وقعة صفين جرت بين علي ومعاوية المهادنة على وضع الحرب وأن يكون ملك العراق لعلي ولمعاوية ملك الشام ، ولا يدخل أحد على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غيرها، ذكر ذلك من رواية زياد عن ابن اسحاق . وذلك لان معاوية رضي الله

عنه بعد أن رجع من صفين إلى الشام ورجع علي رضي الله عنه إلى الكوفة فرق معاوية رضي الله عنه جيوشاً كثيرة في أطراف معاملات علي رضي الله عنه، فبعث النعمان بن بشير في ألفي فارس على عين التمر وبها مالك بن كعب في ألف فارس مسلحة لعلي رضي الله عنه فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا عنهم ، فلم يبق مع مالك إلا مائة رجل، فكتب إلى علي يخبره بأمر النعمان ، فندب علي الناس إلى اغاثته ، فتثاقلوا عليه ونكلوا ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم علي رضي الله عنه فقال في خطبته «يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمسير لاهل الشام قد أظلكم انحجر كل امرىء منكم في بيته وغلق عليه بابه انحجار الضب في جحره والضبع في وجاره ، المغرور من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ، لا احرار عند النداء ، ولا اخوان ثقة عند الالتجاء ، انا لله وانا اليه راجعون، ماهذا مليت به منكم، عمي لاتبصرون ، وبكم لاتنطقون، وصم لاتسمعون، انا لله وانا اليه راجعون» قال أهل الاخبار حتى كره الحياة بينهم وتمنى الموت وكان يكثر أن يقول « ماذا يحبس أشقاها ؟ » أي ماينتظر ؟ ماله لايقتل ؟ ثم يقول « والله لتخضبن هذه ـ ويشير إلى لحيته ـ من هذه ـ ويشير الى هامته»

قال ابن كثير: في تاريخه وقد روى ذلك عن النبي ﷺ من طرق كثيرة ثم سرد تلك الطرق

وقال الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الارقم قال: خطبنا علي رضي الله عنه قال «نبئت أن قراءكم قد خلعوا الامام، واني والله لاحسب هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم امامكم وطاعتهم امامهم، وخيانا تكم أماناتكم، وأدائهم أماناتهم، وافسادكم في أرضكم واصلاحهم في أرضهم، قد بعثت فلانا فخان وغدر وبعثت فلانا فخان وغدر، وبعث بالمال إلى معاوية، لو ائتمنت أحدكم على قدح لاخذ علاقته. اللهم سئمتهم وسئموني

ﺷ كرهتهم وكرهوني، اللهم فأرحني منهم وأرحهم مني. قال فما صلى الجمعة الاخرى حتى قتل . انتهى ما نقله من تاريخ ابن كثير الذى سماه البداية والنهاية

وقد كان رآه عليا رضي الله عنه في دماء أهل القبلة لم يعهده اليه رسول الله ﷺ ولا أمره به ، كما في سنن أبي داود وغيره عن قيس بن عباد قال قلت لعلي اخبرنا عن مسيرك هذا، عهد عهده اليك رسول الله ﷺ أم رأى رأيته؟ قال « ماعهد إلي النبي ﷺ شيئا » وهذا أمر ثابت عنه، ولهذا لم يرو علي في قتال أهل الجمل وصفين عن النبي ﷺ كما روى في قتال الخوارج، فانه روى هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج أحاديث كثيرة أخرجها علماء اهل السنة كالبخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. قال الامام احمد صح الحديث في الخوارج عن النبي ﷺ من عشرة اوجه .

واما الحديث الذي يروى انه امر بقتل النا كثين والقاسطين والمارقين فقد قال اهل العلم بهذا الشان انه حديث موضوع على النبي ﷺ

وقد روى البخاري وغيره عن سهل بن حنيف ـ وهو ممن قاتل مع علي بصفين « أيها الناس اتهموا الرأي على الدين لقد رأيتني يوم أبي جندل ، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، وما أردت بذلك إلا الخير ، وما رفعنا سيوفنا على عواتقنا الا اسلمنا بها الى امر نعرفه غير امركم هذا ، ماسددنا خصما إلا انفجر لنا خصم آخر » وذلك لان هذا القتال لم يحصل به مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم ، بل أريقت به دماء الوف مؤلفة من المسلمين ، ونقص الخير عما كان ، وزاد الشر على ما كان . ولما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة واستتم له الامر اتفقت الكلمة ، وكان الناس في ولايته متفقين يغزون العدو ويجاهدون في سبيل الله فلما مات معاوية رحمه الله جرت فتن عظيمة منها قتل الحسين واهل بيته ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة ثم حصر ابن الزبير بمكة ثم لما مات

يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ،وجرت فتنة مصعب ابن الزبير وقتل مصعب ،ثم حاصر الحجاج ابن الزبير وقتله ، وجرت فتنة لما تولى الحجاج العراق وخرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث معه خلق عظيم من القراء ، وكانت فتنة كبيرة

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك الاسلام خيراً من معاوية، ولا كان الناس في زمن ملك من ملوك المسلمين خيراً منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه الى أيام من بعده.

وقد روى ابوبكر الاثرم حدثنا محمد بن عمرو حدثنا محمد بن مروان عن يونس عن قتادة قال « لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي » وكذلك رواه ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال «لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي»

ومعلوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي رضي الله عنهما فضلا عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فكيف يشبه غير الصحابة بهم والله اعلم،

وروى اسد بن موسى قال حدثنا محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة قال ما بلغني ان عمر بن عبدالعزيز جلد سوطا في خلافته إلا رجلا شتم معاوية عنده فجلده ثلاثة أسواط

وروى اسد أيضا قال حدثنا ابو هلال قال حدثنا قتادة قال قلت للحسن يا أباسعيد ان ههنا أناسا يشهدون على معاوية انه من اهل النار. قال : لعنهم الله وما يدريهم من في النار

فقد تبين بما ذكرنا لكل منصف اريب، ولمن له قلب منيب، جهل هذا المعترض وأشباهه بما عليه اهل البيت، وان دعواه اتباعهم ومحبتهم كذب وافتراء، ومجرد دعوى لا حقيقة لها، كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خالفوهم وسلكوا غير طريقهم، وكذلك الامامية والغالية من الرافضة يدعون اتباع علي

واهل بيته وهم قد خالفوا طريقتهم وسلكوا غير منهاجهم

فقد تقرر وظهر ولله الحمد والمنة. ان أسعد الناس باتباع اهل البيت ومحبتهم هم اهل السنة والجماعة ، القائلون بما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وقد قال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) الآية وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون) الآية .

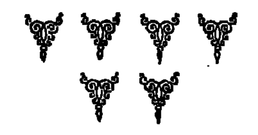
ونسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل ، وأن يجنبنا ما يسخطه من الخطأ والزلل ، ويرينا الحق حقا ويوفقنا الى اتباعه ،ويرينا الباطل باطلا ، ويوفقنا الى اجتنابه ، ولا يجعله ملتبسا علينا فنضل

وينبغي للمؤمن عند الاشتباه أن يلجأ الى الله ويضرع اليه ويدعو بما دعا به رسول الله ﷺ في صلاة الليل وهو « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً انتهى

﴿ تم الكتاب ﴾

طبع عن نسخة كتب في آخرها :—

وقع الفراغ من نسخه نهار الاربعاء عاشر رجب سنة ١٣٤٣ بقلم الفقير الى رحمة ربه القدير ، المقر بالذنب والتقصير عبد الرحمن بن محمد بن براك غفر الله له ولوالديه ولاخوانه المسلمين آمين



﴿ فهرس رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

﴿ كتاب جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية ﴾

(تأليف الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

تم الفهرس



FI 'AQĀ'ID AL-ISLĀM

MIN RASĀ'IL AL-SHAYKH

MUHAMMAD IBN 'ABD AL - WAHHAB

&

JAWĀB AHL AL-
-SUNNAH AL-NA
BAWIYAH

FI NAQḌ KALĀM AL -SHĪ'AH WA

AL -ZAYDĪYAH

By

'ABDULLĀH IBN MUHAMMAD IBN 'ABD AL - WAHHAB

EDITED BY

Revival of arabic culture committee

Dar al-Afaq al-Jadida

Dar al-Afaq al-Jadida

BEIRUT - LEBANON